قضايا أوروبية وغربية شائكة

الجزء الثاني

2

الدكتور
ميثاق بيات عبد ألضيفي





قضايا أوروبية

وغربية شائكة

الجزء الثاني

قضايا أوروبية

وغربية شائكة

الجزء الثاني

أستاذ التاريخ الأوربي المساعد الدكتور

ميثاق بيات عبد ألضيفي





رقـــم التصنيـــــــف : 940

المؤلف ومن هـــو في حكمه : الضيفي، ميثاق بيات عبد.

عنـــوان الكتـــــاب : قضايا اوروبية وغربية شائكة الجزء الثاني.

رقـــم الإيـــداع : 2014/5/2300

الواصفــــــات : تاريخ اوروبا// القضايا//

بيـــانـــات الناشـــر : عمان – دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

(ردمك) ISBN 978-9957-32-851-1

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.

الطبعة الأولى 2015-1436هـ



دار الحامد للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - شفا بدران - شارع العرب مقابل جامعة العلوم التطبيقية

هاتف: 5231081 6 962+ فاكس: 5235594 6 962+

ص.ب. (366) الرمز البريدي: (11941) عمان – الأردن

www.daralhamed.net

E-mail : daralhamed@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم
إنا فتحنا لك فتحا مبينا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا
مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا •
صدق الله العظيم

همسة حياء

رأيت نفسي عاجزاً أن أفعل خيراً من المثابرة على العمل الذي اهتديت إليه, أي أن أنفق كل حياتي في تثقيف عقلي، وأن أتقدم قدر المستطاع في معرفة الحقيقة، تبعاً للمنهج الذي خططته لنفسي... فالكثيرون يجهلون أنفسهم ويشكون بما يوقنون وما يعتقدون, وذلك لأن الفكر الذي نعرف به الشيء، يختلف عن الفكر الذي نعرف به أننا نعرف هذا الشيء, ولأن كلاً من هذين الفكرين غالباً ما يكون دون الآخر!!

ا م د.ميثاق الضيفي

المحتويات

الموضـــــوع	الصفحة
همسة حياء	7
الباب الأول: حياة وسياسة أنتوني إيدن.	11
الباب الثاني: حياة وسياسة دوايت إيزنهاور.	43
الباب الثالث: أنتوني إيدن وقضية الوحدة العربية 1941-1945م.	65
الباب الرابع: دوايت أيزنهاور وقضية القومية العربية 1953_1961م.	83
الباب الخـــامس: خلاصة تقييميه لتعارض العروبة مع فكرتـــي الوحـــدة العربية والقومية العربية.	103
أنتوني إيدن وقضية السويس 1956م.	111
دوايت إيزنهاور وقضية السويس 1956م.	147
الباب السادس: دوايت إيزنهاور وجبره (اسرائيل) الانسحاب من مصر.	163
الباب السابع: موجز سياسة بنيامين دزرائيلي الخارجية.	179
الباب الثامن: الشعب الأمريكي والثورة الأمريكية	221

البَابُ الأَوَّل

حياة وسياسة أنتوني إيدن

حياة وسياسة أنتوني إيدن

ولد روبرت أنتوني إيدن Anthony Eden في 12 حزيران 1897م في حي وندلستون في مقاطعة ديرهام الانكليزية[1], وكان ترتيبه الرابع بين إخوته.[2] وهو ينتمي إلى عائلة انكليزية عريقة إذ كان جده فريدرك إيدن من ابرز رجال الفكر الاقتصادي في القرن التاسع عشر في حين كان والده وليام إيدن بارونا.[3]

كانت نشأته ارستقراطيه وبدا بتعلم اللغات الأوربية منذ سن الرابعة من عمره إذ تعلم الفرنسية والألمانية واليونانية.[4] واثر إكماله سنته العاشرة دخل مدرسة ساندرويد الإعدادية في بلدة كوبنهام وقد نال في سنته الدراسية الأولى جائزة لتفوقه في مادة اللغة الفرنسية كما نال في سنته الدراسية الأخيرة جائزة أخرى لتفوقه في مادة التاريخ.[5]

في مستهل عام 1911م التحق بكلية ايتون وما إن تخرج منها حتى حاول الالتحاق بالكلية الحربية البريطانية_وولتش_ إلا انه لم يستطع الدخول بها اثر فشله في اجتياز الفحوصات الطبية بسبب ضعف بصره, لكنه واثر اندلاع الحرب العالمية الأولى واشتراك بريطانيا به تطوع للمشاركة بجيش بلاده برتبة ضابط في الكتيبة الملكية,[6] وسرعان ما نال وسام الصليب الحربي وترفعت رتبته ليصبح واحدا من اصغر من نالوا رتبة ميجور في الجيش البريطاني[7], وما إن انتهت الحرب حتى سرح من الخدمة في الجيش[8].

وما إن كان العالم الغربي منشغلا بعقد مؤتمر فرساي[*] في العام 1919م[9], كان إيدن راغبا بلهفة كبرى للالتحاق بالسلك الدبلوماسي لأنه وكما رأى انه أفضل المجالات في الخدمة المدنية ويحضا بفرص أوسع واكبر للترقي السريع[10].

وللتفوق في السلك الدبلوماسي كان لابد له من الاهتمام بالمناطق الأهم عالميا وبما انه كان يرى في منطقة الشرق الأوسط امتيازات حقيقية لذا قرر دراسة اللغات الشرقية واختار منهما اللغتين العربية والفارسية فلذلك التحق بكلية كنيسة المسيح – كراسيت تشيرش – وهي إحدى ابرز كليات جامعة اكسفورد[11]. وما إن تخرج من الكلية حتى مات والده في شهر أيلول 1922 وبما انه كان الابن الأصغر لوالده فلم يحصل من ميراث والده إلا على القليل من المال[12], فتوجب عليه إن يدعم ميراثه المحدود بالحصول إلى عمل سريع فبادر بالعمل بالصحافة فعمل لفترة قليلة في صحيفة اليوركشايربوست ثم رشح نفسه للانتخابات البرلمانية في تشرين الثاني 1922م إلا انه فشل في اجتيازها.[13] وبذلك يعد العام 1922م نقطة ارتكازية تحولية في حياته إذ فيها تخرج من الجامعة كما توفى فيها والده وانكب للعمل في الميدان الصحفي وأكملها بخوضه ولأول مرة تجربة الخوض في الانتخابات للترشح لعضوية مجلس العموم البريطاني.

لكنه لم يطل في انتظار فرصة تكرار الخوض بمعمعة الانتخابات البرلمانية إذ شهدت الحكومة البريطانية أزمات حقيقية بعد منتصف عام 1923م مما اضطرها لإجراء انتخابات جديدة ونتيجة لدعمه من حزب المحافظين لذا نجح إيدن بالفوز بمقعد في مجلس العموم ليمثل دائرة ورويك وليمنغتون,[14] أعقب فوزه بأيام بعقد قرانه على بياتريس بيكت وأردف,[15] كل ذلك بالإعداد المتقن لخطبه البرلمانية التي ركز بها على ضرورة إحكام الدفاع عن أراضي بلاده ضد إي عدو إضافة إلى دعوته للدخول في علاقات خارجية ودية.[16] ولذلك كله تم اختياره من قبل وزير الدولة للشؤون الداخلية ليشغل منصب سكرتيره البرلماني الخاص,[17] ومع بساطة هذه الوظيفة إلا أنها قدمت له معلومات مهمة لكيفية إدارة الدولة وتنظيم مستلزمات العمل السياسي.

وكان لمشاركته في الجولات البرلمانية في إيران واستراليا فتح أفاقه لمداخلات حقيقية في قاعة البرلمان وإعطاءه تقييمات ناضجة لسياسة بلاده

الخارجية وتقلبات الشؤون والعلاقات الدولية. وكل ما تقدم ما كانت إلا عوامل وعناصر أسهمت في زيادة خبرته وعملت على بناء شخصيته.

اثر بزوغ نجمه السياسي حازه وزير الخارجية البريطاني اوستين تشامبرلين(*) إذ قلده منصب السكرتير البرلماني الخاص له, وجعله مرافقه في المؤتمرات الدولية التي كان يشارك بها,(18) مما رفع خبرته السياسية عدة درجات وأضاف أشواط لشخصه السياسي اثر ممارسته الفعلية للعمل السياسي على صعيد السياسة الخارجية فجاءت عصارة ذلك بخطبه ومشاركاته ومداخلاته البرلمانية المتعددة لدرجة انه لم تكن تفوته فرصة الإسهام في المناسبات والموضوعات والمشكلات التي تواجه الحكومة والبرلمان حتى لمع وذاع صيته وأصبح من أعضاء البرلمان المشهورين.

طوال عقد العشرينيات واصل إيدن في الاحتفاظ بمقعده البرلماني ومع استهلال العقد الجديد إلف وبالتعاون مع شباب حزب المحافظين جمعية سياسية عرفت باسم – جمعية إيدن – انصب اهتمامها على الشؤون السياسية الخارجية والتقلبات الدولية ونشر أفكار الحزب وآراءه ووجهات نظره حول القضايا الدولية.(19) وقد كان لهذه الجمعية دورا بارزا في إعلاء سمعته وصيته السياسي وافرز هذا اختياره كأحد أعضاء الوزارة القومية التي تزعمها رمزي ماكدونالد(*) لمواجهة الأزمة الاقتصادية فشغل منصب وزير الدولة للشؤون الخارجية وتولى الإجابة عن استفسارات النواب بما يتعلق بسياسة الحكومة البريطانية الخارجية.(20)

وحين أقدمت الحكومة البريطانية الجديدة على إجراء انتخابات برلمانية جديدة نجح إيدن في الاحتفاظ بمعقده البرلماني وكذلك بمنصبه الوزاري لذا أبعثته الحكومة البريطانية ليمثلها في مؤتمر نزع السلاح الذي عقد في جنيف 1932م.(21) وبما تقدم كله سطع نجمه السياسي وقامت الصحافة البريطانية الممولة من قبل حزب المحافظين بالتركيز على ملامحه وسحر شخصيته وأناقته لتعريف الشعب بأحد

ابرز كوادرها الشباب القادمين للصف القيادي بالمستقبل القريب, فارتفعت شعبيته كثيرا وبمحاولة من رئيس الوزراء لكسب الرأي العام البريطاني أقدم على ترقيته ليشغل منصب – حامل أختام الملك – وبلغتنا السياسية المعاصرة أصبح بمنصب وكيل وزير الخارجية وليكون بعمله هذا تحت الأشراف المباشر لوزير الخارجية.

في هذه المرحلة التاريخية الهامة وبضرورة منصبه ركز انشغاله على الشؤون الخارجية ووسع إلمامه بالقضايا الدولية فقام بجولة أوروبية واسعة شملت معظم دول القارة لإحياء موضوع نزع السلاح الدولي والذي انطفأت ناره اثر تخبط سياسات الدول الكبرى, وفي خضم جولته التقى بكلاً من الزعيم الألماني أدولف هتلر(*) وبالزعيم الايطالي بنيتو موسوليني(*) وبالزعيم السوفيتي جوزيف ستالين(*).[22] وما إن كلف من عصبة الأمم الدولية نتيجة لمهارته الدبلوماسية بان يصبح وسيطا للسلام ليخفف حدة التوتر بين الدول وبانت نجاحاته بسرعة أقدم لذلك رئيس الوزراء البريطاني بترقيته لمنصب وزير لشؤون عصبة الأمم إي بهذا سيكون الممثل الفعلي والدائر لسياسة بريطانيا في عصبة الأمم.[23] وجاءت هذه الترقيات المتلاحقة لتؤكد تميزه ونباهته ولتمثل تطورا حقيقيا في حياته السياسية مما أثمرت مضاعفة شهرته داخل بلاده وخارجها.

في حقبة توليه لوزارة شؤون عصبة الأمم شغلته وشغلت أوروبا آنذاك رغبة ايطاليا لغزو الحبشة– إثيوبيا – فهددها بقطع العلاقات الاقتصادية معها إن قامت بعملية الغزو التي بمجملها ما هي إلا مخالفة صريحة للقانون الدولي ودعاها للالتزام بالشرعية الدولية إلا إن مسعاه لم يكلل بالنجاح, ولحل القضية تقدم وزير الخارجية البريطاني صاموئيل هور(*) بحلول دبلوماسية تقضي بإجراء مشاورات مع ايطاليا للحصول على موافقتها لحل الأزمة فرفضت الوزارة البريطانية مشروعة وقدم استقالته, وهنا وقع خيار رئيس الوزراء على إيدن لشغل منصب وزير الخارجية فتقلدها في 22 كانون الأول 1935 ليدخل بها مرحلة متطورة من حياته السياسية.[24]

توليه لمنصب وزير الخارجية لم تأتي بصورة مفاجئة إنما جاءته اثر نشاطه الدءوب واسهماته المتعددة على صعيد السياسة الخارجية ومشاركته بالنقاشات والإعمال والمتابعات للتطورات السياسية العالمية فضلا عن دخوله معترك الأزمة الاقتصادية وبحثه المستمر لشؤون نزع السلاح الدولي, وكل تلك الفعاليات والأنشطة المتميزة منحته القدرة والخبرة والتدابير التي أهلته لتبؤ منصب وزير الخارجية. ولقد جاء تعيينه كوزير خارجية لتأكيد المكانة والدور المرموق الذي أصبح يتمتع به على صعيد السياسة البريطانية إذ انه أضحى اصغر وزير خارجية في تاريخ بريطانيا الحديث والمعاصر. وبمركزه هذا أصبح وجها لوجه إمام مشكلات وأزمات السياسة الدولية في الظرف العصيب الذي كانت تمر به العلاقات الدولية.

وبما إن بلاده كانت تمر بحالة ترقب وحذر كبيرين من النظام النازي الألماني لذلك اتجهت خطوات إيدن السياسية بمحورين الأول كان تعزيز وتقوية علاقات بلاده مع حلفائها الأوربيين وخصوصا فرنسا حينما أكد لها إن إي اعتداء عليها هو اعتداء على بريطانيا وان بلاده ستدافع عنها بكل ما تستطيع. وقد كان محوره الثاني عمله لشد وجذب ايطاليا بعيدا عن محاولات ألمانيا لكسبها لمحوره فأعلن قرار حكومته برفع وإلغاء الحظر الاقتصادي الذي فرضته بلاده على ايطاليا بسبب غزوها للحبشة.(25)

ولإدراكه تأمين طرق المواصلات للإمبراطورية البريطانية وأهمية دور ومكانة مصر في كرامة التاج البريطاني وفي تأمين هذه الطرق الإستراتيجية أتم في 26 أب 1936م عقد المعاهدة البريطانية– المصرية,(26) وهي المعاهدة التي نظمت العلاقة بين الطرفين وجعلت الوجود البريطاني في مصر يأخذ صفة شرعية موثقة بمعاهدة لهذا الغرض.

وفي خضم الإحداث الجارية بتصاعد على الساحة الأوروبية نظم عمله باتجاهين في ذات الوقت, في الاتجاه الأول نسق عمله مع نظيره الفرنسي بالعمل لتشكيل لجنة دولية تظم إضافة لبريطانيا وفرنسا كلا من ألمانيا وايطاليا والبرتغال والاتحاد السوفيتي لمعالجة أزمة الحرب الأهلية الاسبانية بالالتزام بعدم التدخل الفعلي في هذه الحرب وبذل الجهد لإيقافها.[27] وفي الاتجاه الثاني تحرك نحو ألمانيا التي كانت محور رئيس يحرك السياسة الأوروبية بدعوتها للدخول والاشتراك في معاهدة لوكارنو(*),[28] محاولا في الوقت ذاته الحد من الإطماع والتطلعات الألمانية بكسب ايطاليا إلى الجبهة البريطانية- الفرنسية- البلجيكية فوقع معها في مطلع عام 1937م اتفاقية جنتلمان,[29] قدم بموجبها تأكيدات بحرية الملاحة في مياه البحر المتوسط كما اكدد إن بلاده مستعدة لتدعيم علاقتها الاقتصادية مع ايطاليا وكل ذلك كان لهدف جر موسوليني إلى الجبهة الأوروبية وسحبه بعيدا عن ألمانيا.

من الواضح إن إعمال إيدن وسياساته كانت تحضا بدعم كبير من رئيس الوزراء لكن الوضع لم يدم هكذا فأثر تولى الملك جورج السادس* التاج البريطاني عام 1936م وتولي نيفيل تشامبرلين* منصب رئاسة الوزراء بديلا عن بلدوين* بدأت بوادر الخلاف في الأفق بين الرجلين لانتهاج تشامبرلين سياسة التهدئة مع ألمانيا وايطاليا والتي عارضها إيدن وكان يرى فيها الانطواء الكبير لإذلال بريطانيا.[30] إذ انه كان يرى إن إي تعاون مع الطليان كان لابد إن يشتمل على مختلف شؤون البحر المتوسط وأراد أيضا إن يجعل من مسالة الاعتراف البريطاني لاستيلاء ايطاليا على الحبشة وسيلة للمساومة إثناء المفاوضات معها بشان شؤون البحر المتوسط وأكد إن الاعتراف لايطاليا قبيل إجراء المفاوضات معها أمر لا يدل على الحكمة وبعد النظر السياسي.

هنا لابد إن نؤكد إن إيدن هو أول من انتبه على صعيد السياسة الخارجية لضرورة تحسين وتعضيد وتقوية علاقات بلاده مع الولايات المتحدة الأمريكية كما

يعد من رواد السياسة البريطانية الذين اثأروا وعملوا على إدخال انف الولايات المتحدة الأمريكية بما كان يجري من تقلبات فوضوية في الحياة السياسية الأوروبية, فشهد عهده نقلة نوعية وحقيقية في تطور وتشابك العلاقات البريطانية- الأمريكية.(31)

وبالرغم من الضغط الذي مارسه رئيس الوزراء تجاه وزير خارجيته غير انه واصل وبعناد اكبر سياسته المناهضة للتهدئة فلذلك شهدت نهاية عام 1937م تزايد خطير في خلافات الرجلين لدرجه إن رئيس الوزراء ومن باب التهكم طالب وزيره بالخلود للراحة والهدوء وعدم القلق المبالغ به والانكباب على القضايا الأهم!(32) مما حداه إن يدون رؤيته السياسية للإحداث الجارية وتصوراته لتقلبات مستجدات الأمور برسالة رسمية وبعث بها لمكتب رئيس الوزراء مبرر بها أسباب رفضه وممانعته لانتهاج سياسة التهدئة مع الألمان والطليان, ولمضاعفة الوقع السياسي لرسالته عمد إلى نشرها في الصحف البريطانية مما أوقد نار الجبهة الداخلية المعارضة لسياسة تشامبرلين الخارجية وضاعف بمكانين خلافه بإشكال أعمق مع رئيس الوزراء.

وقد أدى ما تقدم إلى انزعاج رئيس الوزراء بصورة كبيرة فعقد مجلس الوزراء البريطاني جلسة طارئة للوم وتأنيب إيدن وقد شهدت هذه الجلسة تعرضه لنقد شديد من جميع أعضاء المجلس, ومع حبه لمنصبه واعتزازه بما وصل إليه لكن الكلمات النابية التي تفوه بها تشامبرلين ضده اضطرته إلى تقديم استقالته من منصب وزير الخارجية في 20 شباط 1938م. وفي مجلس العموم برر فحوى استقالته لرفضه القاطع انتهاج سياسة التهدئة المنتهجة من قبل تشامبرلين واحتجاجه على مجمل سياسته.(33) وقد اثنت الصحافة البريطانية على موقفه الصارم واستقالته وشغل اسمه العناوين الرئيسة لمعظم الصحف البريطاني ولأيام عدة, واثنت على موقفه وعابت سياسة تشامبرلين.

ما إن رجع إيدن إلى مقعده في مجلس العموم حتى بادر وبالاتفاق مع هارولد ماكميلان[*] إلى تشكيل مجموعتين سياستين من أعضاء حزب المحافظين حملت الأولى اسم - جماعة إيدن- والجمعية الثانية اسم - جماعة ماكميلان- وهدفتا إلى الاهتمام بشؤون الدفاع القومي.[34] ولجانب تداخلاته الكبيرة في مناقشات مجلس العموم عمد دوما إلى نقد الحكومة وبيان خطاها المتعرجة في السياستين الداخلية والخارجية فقوي بذلك مركزة كثيرا في مجلس العموم وبرز كقيادي مرموق في حزب المحافظين وأصبح مقعده يتصدر المقاعد الأمامية في مقاعد مجلس العموم كما أخذت وبرزت علاقته بونستون تشرشل[*] وبدأت ملازمته له منذ ذلك الحين. وطوال عقد الثلاثينات حافظ إيدن على مقعده البرلماني بالرغم من الانتخابات البرلمانية المتعددة مما يدل شعبيته الكبيرة.

مما تقدم نلاحظ انه كان من الشخصيات السياسية التي برزت في بريطانيا في وقت كان يعد ويوصف بأنه من أكثر الأوقات تأزما وتعقيدا على صعيد العلاقات الدولية إذ إن السنوات 1935-1939م كانت حافلة بالإحداث والتقلبات والتطورات التي أفرزت وضعا دوليا متأزم بشدة, فكان له في تلك المرحلة حضور كبير ورؤيا سياسية فهو في الوقت الذي أدرك خطورة السياسة النازية الألمانية جرب وأراد وحاول عزل ايطاليا عنها, ووقف ضد سياسة التهدئة التي طبقها تشامبرلين, وكان على إدراك تام إن الأمور سائرة إلى حرب كبرى فطرح فكرة التهيؤ والاستعداد لها. وما إن تفاقم الوضع الدولي ودخل العالم الحرب العالمية الثانية ثبت للجميع حسن إدراكه السياسي وبعد نظره وحكمته في فهم تقلبات الوضع الدولي.

اثر قيام الحرب العالمية الثانية جرى تغيير وزاري في بعض مناصب الوزارة البريطانية في 1 أيلول 1939م فشغل إيدن فيها منصب وزير وزارة الدومنيان البريطانية,[35] والتي عمل فيها على ضمان مشاركة دول الدومنيون في الحرب إلى جانب بريطانيا عبر تسخير جيوشهم وموارد بلادهم لصالح المجهود

الحربي البريطاني. وحين تفاقم وضع القوات البريطانية في بدايات الحرب قدمت وزارة تشامبرلين استقالتها فقبلت وتكلف ونستون تشرشل بتشكيل الوزارة فشكلها في 10 أيار 1940م واختار صديقه إيدن ليشغل منصب وزير الدفاع فيها.[36] وفور توليه لمنصبه هذا نظم قوات الحرس الوطني وبادر بترقية قادة موهوبين وجعلت أوامره القاضية بالتشبث بمواني القناة الانكليزية من عملية الإخلاء من ميناء دانكرك أمرا ممكنا.

وما إن عدل تشرشل صفوف وزارته في 23 كانون الأول 1940م حتى كلف إيدن بالانتقال من وزارة الدفاع إلى وزارة الخارجية وبذلك شغل للمرة الثانية في حياته منصب وزير الخارجية.[37] فبادر بصورة مباشرة إلى إقامة علاقات وثيقة مع الزعيم الفرنسي المنفي والمعادي للاحتلال الألماني لبلاده شارل ديغول[*], وحذر الحكومة التي أقامها الألمان في فرنسا وعرفت باسم - حكومة فيشي- واتهمها بإعانة النازيين ومؤكدا أنها بهذه الإعمال ستضحي عرضة للانتقام البريطاني.

تطورات الحرب المتسارعة أنتجت انشغال ونستون تشرشل رئيس الوزراء لحد كبير فتعذر عليه مباشرة عمله كزعيم للأغلبية البرلمانية في مجلس العموم مما استدعى إيدن لان يقوم بالحلول محل والذي عمل دوما فيه على إيضاح أهداف بريطانيا الرئيسة من خوضها للحرب ومركزا على هدفها الأمثل القاضي بمحو هتلر وتحقيق السلام للشعوب.[38] وأردف توزيع وقته بين مجلس العموم وممارسة مهام منصبه كوزير خارجية بأعداد وثيقة قام بتوزيعها على أعضاء الوزارة البريطانية للاستئناس بآرائهم وحملت هذه الوثيقة اسم _مشروع الدول الأربعة_ أكدت على إن يتولى الإدارة العليا العالمية مجلس رباعي مكون من بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي والصين,[39] مستثنيا بذلك كلا من ألمانيا وفرنسا معززا اختياره لهذا الرباعي بأنهن من سيحكمن العالم بعد الحرب

لان مجرياتها ما هي إلا وبالا على البشرية وسيبقى العالم ما عدا الدول الأربعة يقاسي من أثارها طويلا.

يبدو إن خلافة إيدن لتشرشل في زعامة حزب المحافظين كانت قاب قوسين أو أدنى فعشية زيارة الخير للخارج في حزيران 1942 نصح تشرشل الملك البريطاني جورج السادس انه إن شاء القدر ومات تشرشل ذاته فعلى الملك بهكذا ظرف عصيب إن يعهد لأيدن ليشكل الوزارة, مؤكدا له قدرته على التمكن بقدرة وجدارة وحزم ودراية تستوجبها الظروف لإدارة شؤون الدولة. كما انه يعد من أوائل الشخصيات الأوروبية الرسمية التي تكهنت بنوايا ستالين التوسعية لما لمسه بمباحثاته المتكررة معه من إطماع ومطامح كبيرة.(40)

هكذا اتسعت خطاه من تقدم إلى أخر لدرجة انه عرض عليه في منتصف عام 1943م منصب – نائب الملك في الهند– ولان من يشغل هذا المنصب لا يحق له إن يرأس الوزارة البريطانية مستقبلا لذلك رفضه لتعارضه مع طموحه في تولي كرسي رئاسة مجلس الوزراء.(41) واتسعت أفاقه السياسية وفاقت اقرأنه لدرجة انه ومنذ مطلع سنوات الحرب العالمية الثانية كان واثقا جدا من النصر وعمل عدة دراسات لاختيار البديل المحتمل لهتلر في حكم ألمانيا.

وما إن بلغت الحرب أيامها الأخيرة حتى عرض عليه شغل منصب الأمين العام للأمم المتحدة وهي المنظمة العالمية الجديدة التي خلفت عصبة الأمم,(42) وقد شعر إيدن بإغراء كبير لشغل هذا المنصب العالمي إلا انه كان مترددا في التخلي عن حلمه الأكبر وهو منصب رئيس الوزراء لذا متأسفا رفض إن يشغل منصب أول أمين عام للأمم المتحدة.

حين انتهت الحرب أصاب حكومة تشرشل ضعف حقيقي لأسباب عدة خارجيا وداخليا كما إن الإمبراطورية البريطانية أوشكت شمسها على الغروب فعليا

لذا لم تكن مفاجأة هزيمة حزب المحافظين في أول انتخابات بعد الحرب فعاد إيدن إلى العمل في صفوف المعارضة في مجلس العموم مع أعضاء حزبه.[43]

وبعد عودته لصفوف المعارضة ولكثرة إسفار تشرشل تولى زعامة المعارضة في مجلس العموم لمواجهة الحكومة التي شكلها حزب العمال, وقد قام في غضون ذلك بتشجيع الليبراليين والتقدميين الذين بغوا وسعوا لتطوير صورة الحزب شعبيا وبرنامجه السياسي. وشهدت هذه الفترة ظهوره كند قوي بوجه حكومة العمال ولم تفد وتنفع معه إي من المساومات الحزبية في التخفيف من حدة هجماته على طريقة إدارة الحكومة لشؤون الدولة.[44] لم تطل فترة بقاءه في صفوف المعارضة إلا ما يقرب من ستة سنوات فقط إذ عاد مجددا للحكم اثر فوز حزب المحافظين يالانتخابات البرلمانية التي جرت في شهر تشرين الأول 1951م فشغل هو وللمرة الثالثة بحياته السياسية منصب وزير الخارجية.[45] وفور توليه مهام عمله بادر إلى طرح فكرة عقد منظمة دفاع أوروبية وأراد تحويلها إلى واقع فعلي حينما بحث مع الفرنسيين تحويل أيدلوجياته الفكرية إلى مقترحات عملية وما إن عقد اجتماع لمجلس حلف الأطلسي حتى استخلص من ممثلي الدول الأوروبية فيه بيان تأييد قيام منظمة الدفاع الأوروبي. وعد هذا الأمر في حينه جديرا بالاهتمام.[46] ثم إصر في اجتماع وزراء الخارجية الأوروبية المنعقد في باريس 27 أيار 1952 على التغلب على جميع عقبات عقد منظمة الدفاع الأوروبية وبتوحيد صفوف الدول الأوروبية بتوقيع كل وزراء الخارجية الأوروبيين لتشكيل هذه المنظمة.[47] لكن الحال لم يستمر ايجابيا إذ أشاعت الخارجية السوفيتية, لإبطال الفكرة ونقضها, أنها في الأصل هي صاحبة فكرة إنشاء منظمة الدفاع الأوروبية لتشكيل جيش أوروبي يأتمر بها,[48] مما اغضب إيدن كثيرا ودفعه إلى شن حملة إعلامية شديدة ضد السوفيت من جهة ومن جهة أخرى استل نفسه من فكرة إنشاء منظمة الدفاع الأوروبي اثر الأقاويل والإشاعات التي انتشرت ضدها وأعلن إن

بريطانيا لن تنضوي تحت سقف هذه المنظمة لكنها وفي الوقت ذاته لن تعارض قيامها ووعد بأن بلاده ستدعمها سياسيا ودبلوماسيا فقط.

كان لمطلع عقد الخمسينات إن يشهد تقلبات عالمية سريعة فلم تكن أوربا لوحدها هي المشتملة على التغيرات والتقلبات السياسية والثورية إلى حد ما فقد شهدت إيران مع وصول محمد مصدق[*] إلى الوزارة بتأميمه للنفط الإيراني في شهر كانون الأول 1952م,[49] والذي عنى في الوقت ذاته صفعه كبيرة للمصالح الاقتصادية البريطانية فأصدر إيدن لمواجهة ذلك بيان أكد فيه ملكية الشركات النفطية البريطانية للنفط الإيراني, ولما لم يجد إي صدى لبيانه سافر بالسرعة الممكنة إلى مقابلة الرئيس الأمريكي الجديد دوايت ديفيد إيزنهاور[*] لمجابهة الفعل الإيراني حتى إن كان استخدام القوات العسكرية لو لزم الأمر.[50] وهناك أتم الاتفاق مع وكالة الاستخبارات الأمريكية لقلب طاولة الحكم في إيران وإلغاء التأميم النفطي وفعلا تم وذلك عبر انقلاب عسكري كان في غاية الدقة والجرأة.

نتيجة للجهد الكبير الذي كان لا ينكف عن بذله في حياته السياسية إن كان في صفوف الحكم أو صفوف الوزارة إضافة إلى تقلبات حياته الزوجية تعرضت صحته إلى نكبات متواصلة تضاعفت بصورة خطيرة في شهر آذار 1953م مما استدعى إلغاء زياراته للخارج وتم إجراء عدة استشارات طبية أظهرت وجود الحصى في المرارة مما استوجب إجراء عملية سريعة, فأجريت لكنها فشلت فقرر أطبائه إجراء عملية ثانية ولم تثمر هي الأخرى عن إي تحسن واستمرت صحته بالتدهور السريع, لذا تم تسفيره إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأجريت له هناك عملية ثالثة تمت بنجاح.[51]

انشغل في خضم استعادته لعافيته بمحاولاته المتواصلة لحل الأزمات العالمية وكانت آنذاك أزمة الحرب في الهند الصينية هي الأزمة الأشد عالميا لذا نسق جهوده مع وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس[*] لاحتواء الأوضاع التي

تفاقمت بشدة تبعا لنتائج المعارك المتواصلة.[52] وبذل هو جهدا كبيرا لإيجاد منفذ للمأزق الفرنسي في الهند الصينية _فيتنام_ ونجح في صياغة وتقديم مشروع تقدم به في مؤتمر جنيف المنعقد في 9 أيار 1954م فحاز على رضا الإطراف المتناحرة وبذلك بدأت المفاوضات لوقف إطلاق النار.[53] لكنه سرعان ما انتشرت الخلافات بعد بروز العراقيل الفعلية في طريق المفاوضين مما استوجبه تقديم صياغة أخرى لمشروعه مما أسهمت فعليا بإنهاء الحرب الفرنسية في الهند الصينية, فكان لذلك دور ناضج في التخفيف من حدة التوتر العالمية.

عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية انشق إلى حد ما إلى معسكرين غربي وشرقي أو رأسمالي واشتراكي وشهد كذلك بروز الأحلاف في كل شق معسكر على حدا, وكان لأيدن دور بارز في عقد ثالوث الأحلاف والوفاقات والمعاهدات, فنراه في تموز 1954م يعقد ويجدد الاتفاق البريطاني المصري,[54] ومن ثم عمل على عقد ميثاق دفاع مشترك لدول جنوب شرق أسيا وجنوب غربي الباسفيك,[55] كما قام باستبدال المعاهدة البريطانية- العراقية باتفاق خاص بين البلدين.[56] ولم يكتف بذلك إنما التف بنظره عائدا إلى أوربا ونجح بعقد الكثير من الاتفاقات الجماعية والمنفردة مع اغلب الدول الأوروبية كان أبرزها اتفاقية أوروبا الغربية التي صيغت واستبدلت محل معاهدة بروكسل. ومن ثم استطاع إقناعها بضرورة السماح لألمانيا للدخول في حلف الأطلسي وفي اتفاقية أوروبا الغربية كجزء من جهاز الحلف الدفاعي.[57]

كان للنجاحات الدبلوماسية التي حققها هي التي دفعت الملكة البريطانية- إليزابيث الثانية-إن تقرر منحه ارفع وسام ملكي وهو وسام الفروسية الذي يعرف باسم-ربطة الساق-,[58] كما منحته مؤسسة كارينجي للسلام جائزة -ووتلر للسلام.[59] وبعد كل التسويف الذي مارسه تشرشل بغية التأخير في موعد استقالته, اضطر نتيجة للضغط الحزبي في تحديد موعد استقالته 4 نيسان 1955م,[60] فكان من الطبيعي إن يخلفه إيدن في المنصب الذي سعى له فترة طويلة.

أصبح في 6 نيسان 1955م أنتوني إيدن رئيسا لوزراء بريطانيا خلفا لونستون تشرشل وكان الكل متفائلا بما حدث ومستبشرا به لأنه وكما اقتنع الكل كانت لديه كل المؤهلات التي تجعل منه رئيس وزراء محافظ من الصف التقليدي الذي ألفته بريطانيا كما انه وبنظرهم كان يتمتع بمركز ممتاز في تقييم الحكومات الأجنبية ولم يكن متطرفا في نزعته العدوانية حيال الاتحاد السوفيتي, وإذا فرض انه كان الطريق إلى تحسين العلاقات مع الاتحاد السوفيتي يقتضي الوسائل الدبلوماسية فهو كان خير سياسي يمثل بريطانيا في هذا المضمار. في الحقيقة كان إيدن رجلا مريضا يحمل أعباء ضخمة من مسؤوليات الحكم, ولقد ظل حتى توليه رئاسة الوزراء رجلا قضى حياته الرسمية مفسرا للعبة الدبلوماسية فهو يتقن تنفيذ السياسات التي يضعها سواه اتقانا كاملا كما يحسن التوسط في مجال لا يكون هو مسئولا عنه مسؤولية سياسية تامة. وقد اظهر في توليه قيادة الوساطة البريطانية في أزمة الهند الصينية كل ما لديه من إمكانيات,(61) لكنه كان آنذاك مجرد إيدن الذي يقف خلف تشرشل بكل ما فيه من مزايا وقوى تفرض إرادتها. وعندما غدا رئيسا للوزراء وجد نفسه في وضع مغاير كل المغايرة ومختلف كل الاختلاف عما إلفه في الماضي. فأصبح شخصا عصبي المزاج شديد الانفعال بالغ الحساسية إلى درجة تختلف كل الاختلاف عن صورة ذلك الإنسان المتأنق الذي يبدو في صوره الفوتوغرافية, وكان مصابا بعقدة التخوف الحاد المطلق من إن يبدو أنسانا مفتقرا إلى القدرة على العمل. كما كان يخشى كل الخشية من إن يعجز عن إثبات كفائتة أو عن إقامة الدليل عن انه رئيس وزراء دولة لا تزال قوية وقادر على إن يعمل كسلفه تشرشل بجرأة والهام.(62) وقد أدت الإحداث الدولية التي جرت في عهده إلى إن يصاب بمزيج من العصبية من الوقوف موقف المتردد إمام إي تحد رئيس ومن التلهف الباطني إلى التحدي وخوض المعارك فكان متلهفا إلى تجربة تخوضها بلاده تحت لواءه.

على كل حال ففور توليه لمنصبه حل البرلمان وهيأ البلاد لانتخابات برلمانية جديدة وبذل بحملته الانتخابيات جهودا كبيرة لأنه وطوال انتخابات الثلاثين العام الماضية كان يمثل فيها نفسه ويأمل جلب أصوات لانتخابه لوحدة فقط إما في هذه الانتخابات فقد تغير وضعه تماما ففي حملته الانتخابية كان يمثل كلا من حزبه حزب المحافظين ووزارته المتولية لشؤون الحكم آنذاك, فلذا كان مجهوده فيها مضاعفا بمرات عما مضى وقام بتوزيع خطبه الانتخابية على جميع مناطق البلاد وعمد فيها على الاستفادة من الوسائل التكنولوجية التي اعتمدت بالانتخابات الأمريكية فقام باستغلال الإمكانيات الدعائية لجهاز التلفاز مما كانت له آثار ايجابية في نجاح حملته الانتخابية. وحين أجريت العملية الانتخابية فاز بها حزب المحافظين ومثلت بذلك بداية طيبة له في الحكم.[63]

مر الاقتصاد البريطاني بفترات عصيبة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتي كان فيها اضطراب الميزان التجاري في قمة المشاكل التي كان على حكومة إيدن مواجهتها فقامت برفع سعر الفائدة وفرض ضرائب جديدة وإصدار سندات في محاولة يائسة لسد العجز المالي المتفاقم.[64] كما واجهت حكومته عدة إضرابات نقابية عمالية كإضراب نقابة عمال أحواض السفن وإضراب نقابة عمال سكك الحديد, مما اجبره إلى مناشدة الشعب عبر الإذاعة والتلفاز إلى عدم اللجوء إلى هذه الطريقة لما لها من مساوئ كبيرة على الاقتصاد الوطني.[65] واثر تردي الأوضاع الاقتصادية في بلاده قام بإجراء تعديل وزاري كبير.

شهدت بداية وزارته, عقده العديد من الاتفاقات المتعددة الجوانب مع مختلف الدول الأوروبية والغربية, كما جاءت اتصالاته الأوروبية المكثفة ليعلن رفضه الموافقة على الإجراءات الاقتصادية,[66] التي كان ينوى منها تحقيق التكامل الأوروبي عن طريق خلق جماعة اقتصادية أوروبية قائمة على مبدأ حرية التجارة في أوروبا بإلغاء التعرفة الكمركية, وقد جاء رفضه نتيجة للعرقلة الكبيرة التي

سيسببها في التعامل التجاري البريطاني مع دول الكومنولث والتي كانت المصدر الرئيس للمواد الأولية الواردة إلى بريطانيا.

كان تشكيل بريطانيا لحلف بغداد ومن ثم انضمامها إليه بطريقة سرية شكل عقبة كبيرة في جلب دول أخرى للمشاركة فيه كالأردن التي جرب معها إيدن كثيرا ورغم ميل الملك الأردني حسين للانضمام إليه إلا إن الهبة الشعبية الكبيرة للمعارضة الأردنية الرافضة للحلف فكرة ومضمونا أدت بالملك إلى تعقيد الطرق بوجه السياسة البريطانية عقب قيامه بطرد قائد الجيش الأردني وهو الجنرال البريطاني الأصل والجنسية – غلوب باشا–(*) والمشهور بلقب _ابو حنيج_. فاجتمع إيدن بوزير الدفاع البريطاني ولتر مونكتون وبعدها بساعات التقى بالسفير الأمريكي في لندن وفي اليوم التالي ابرق إلى سفيره في الأردن بضرورة محادثة الملك الأردني ببالغ الكلمات حادة, ثم أعقبها بإرسال خطاب تهديدي للحكومة الأردنية إن لم تبطل قرارها.(67) ولمناقشة مجلس العموم البريطاني قضية طرد الجنرال غلوب باشا استضاف رئيس الوزراء الذي رفض الإفصاح عن السياسة التي سيتبعها إزاء الأردن وبرر ذلك بأنه لم يحط بعد إحاطة كاملة بمجمل أسباب ودوافع ونتائج هذا الأمر. فثارت ضده ضجة عنيفة في البرلمان ثم جرى تصويت على الثقة بالحكومة في نهاية الجلسة ونالت الحكومة بصعوبة ثقة المجلس.(68)

جراء ذلك بدأت الصحف البريطانية وبمختلف ولائاتها السياسية بمهاجمته فاتهمته الصحف العمالية بالضعف والتردد, بينما اتهمته الصحف المحافظة بفقدان الإرادة في عمله وطالبته بمزيد من الجرأة والحزم في معالجة الأمور. وسرت شائعات قوية في عموم بريطانيا بعزمه على تقديم استقالته من منصبه مما استوجبه إلى إصدار بيانا أكد فيه إن هذه إشاعات مختلقة ولا تملك أدنى أساس من الصحة والمصداقية.(69)

وما إن حل شهر تموز 1956م حتى تسارعت نهاية إيدن كسياسي مخضرم اثر تأميم الرئيس المصري جمال عبد الناصر(*) لقناة السويس فانكب بإحداثها وتطوراتها وعواقبها إلى إن أذل بها وغادر في 23 تشرين الأول 1956م بعد إن ساءت صحته كثيرا.(70) ولما عاد في منتصف كانون الثاني 1957م إلى لندن كان عليه إن يواجه الضغط الكبير الذي وقع عليه لرفضه من قبل أعضاء وزارته وفقدانه لثقة حزبه وخشيته من تسرب البراهين والأدلة الوثائقية على تواطئه في مهاجمة مصر مع الإسرائيليين, فتردت حالته الصحية كثيرا التي أثقلها هو بتدخلاته المبالغ بها في الإدارة اليومية للوزارات لذا قرر اعتزال الحياة السياسية في نهاية كانون الثاني 1957م فخلفه في رئاسة الوزراء هارولد ماكميلان.(71)

منح بعدها بأربعة أعوام لقب أللوردية وأصبح يدعى _اللورد ليرا اوف افون- وشغل احد مقاعد مجلس الشيوخ البريطاني. كما نجح بكتابة مذكراته التي اسماها – الدائرة الكاملة- وهي بثلاثة أجزاء, وقد رافق صدورها حملة دعائية وضجة إعلامية وعاصفة مناقشات حادة ظهرت في مجلس العموم البريطاني وأعمدة الصحف البريطانية والأمريكية. ولم يكتف بذلك فقد شهد العام 1966م تأليفه لكتاب –خطوات نحو السلام في الهند الصينية- أعقبها بعد عشر سنوات بتأليفه كتاب – العالم الأخر- الذي أعطى فيه وحسب وجهة نظره الحلول السياسية للمشاكل الدولية آنذاك.(72) طال عمر إيدن كثيرا إذ شهد رحيل اغلب اقرأنه السياسيين ومع ذلك فقد سقط مريضا إثناء إحدى رحلاته إلى الولايات المتحدة الأمريكية فنقل إلى بريطانيا بعجالة ومات فيها في 14 كانون الثاني 1977 عن عمر ناهز الثمانين عام.(73)

الهوامش

1- David Carlton, Anthony edan, biography, London 1981, p.5.

2- روندولف تشرشل, سقوط إيدن ,ترجمة لجنة من الاساتذة الجامعيين, ط1, بيروت 1059, ص17.

3- Learn, co, uk: teaching history online, joinlist Anthony eden.

4- أنتوني إيدن, مذكرات أنتوني إيدن 1951-1957, ترجمة خيري حماد, ج1, مكتبة الحياة للطباعة والنشر, بيروت, ص276.

5- David Carlton, op cit, p.7.

6- King college London, Liddell hart center, for military archives.

7- Ibid.

8- Learn, co, uk, op cit.

- معاهدة فرساي هي المعاهدة التي أسدلت الستار بصورة رسمية على وقائع الحرب العالمية الأولى .وتم التوقيع على المعاهدة بعد مفاوضات استمرت 6 أشهر بعد مؤتمر باريس للسلام عام 1919. وقّع الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الأولى من جانب اتفاقيات منفصلة مع القوى المركزية الخاسرة في الحرب) الإمبراطورية الألمانية والإمبراطورية النمساوية المجرية والدولة العثمانية وبلغاريا .(تم توقيع الاتفاقيات في 28 يونيو 1919. وتم تعديل المعاهدة فيما بعد في 10 يناير 1920 لتتضمّن الاعتراف الألماني بمسؤولية الحرب ويترتب على ألمانيا تعويض الأطراف المتضرّرة مالياً. وسمّيت بمعاهدة فيرساي تيمناً بالمكان الجغرافي الذي تمّ فيه توقيع المعاهدة وهو قصر فرساي الفرنسي. المصدر:

  - Mowat, Charles , Britain between the wars 1918-1940 , 1955

9- Ibid.
10- Rhodes James, Anthony Eden, London 1986, p.12.
11- Library electric, present encyclopedia, com.
12- Learn, co, uk, op cit.

13- روندولف تشرشل, المصدر السابق, ص23.

14- Encyclopedia Britannic, inc, vol 7, William Benton, Chicago, p.949.
15- Ibid, p.950.
16- The eden memory, facing the dictators, Cassel, London 1962,p.6.
17- Encyclopedia Britannic, op cit,p.950.

* اوستين تشامبرلين, هو سياسي بريطاني درس شامبرلين في معهد ترينيتي بجامعة كمبردج .قام بعد دراسته بالسفر في أوروبا وزار خصوصا كل من فرنسا، ودرس في معهد العلوم السياسية، وبرلين ودرس في جامعتها. بعد عودته إلى لندن انتخب نائبا عن حزب المحافظين في مجلس العموم سنة 1892. في سنة 1900 أصبح وزير المالية. عمل وزير الهند بين 1915 و1917. بين 1925 و1929 خدم في منصب وزير الخارجية. المصدر:

Pelling, H., Modern Britain 1885-1955, London , 1960.

18- The eden memory, op cit, p.7.
19- Ibid, p.30.

* رمزي ماكدونالد, 1866-1937: سياسي بريطاني ومؤسس لحزب العمال وكان زعيمه في مجلس العموم 1911_1914 حتى سحبت عنه الثقة لموقفه المسالم وهو أول رئيس ممن حزب العمال عام 1924 وتولى رئاسة وزارة العمال الثانية 1929 ثم قبل منصب رئاسة الوزارة القومية 1931. المصدر, محمد شفيق غربال, الموسوعة العربية الميسرة, ص1375.

20- David Carlton, op cit, p.21.
21- The times, 17 march 193; daily herald, 12 march 1932.

* أدولف هتلر, 1889- 1945 سياسي ألماني نازي، ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي الوطني والمعروف للعامة باسم الحزب النازي مؤسس النازية . تولى أدولف هتلر حكم ألمانيا حكمًا دكتاتوريًا من عام 1933م إلى عام 1945م. حوّل ألمانيا إلى آلة حرب قوية وأشعل نار الحرب العالمية الثانية عام 1939م. هَزمت قواته معظم أوروبا قبل هزيمتها هي عام 1945م. المصدر:

، Fest ،Joachim C.،The Face Of The Third Reich London: Weidenfeld & Nicolson 1970.

* بينيتو أندريا موسوليني حاكم إيطاليا ما بين 1922 و1943. شغل منصب رئيس الدولة الإيطالية ورئيس وزرائها وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية. وهو من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وزعمائها، سمي بالدوتشي أي القائد من عام 1930م إلى 1943 وتعاضد مع هتلر في الحرب العالمية الثانية وقد قبض عليه واعدم في نهاية نيسان 1945. المصدر:

Mack Smith, Denis. Mussolini. New York: Knopf, 1982

* جوزيف ستالين. هو القائد الثاني للاتحاد السوفيتي ورئيس الوزراء (1941-1953)، ويعتبر المؤسس الحقيقي للاتحاد السوفيتي].بحاجة لمصدر [عرف بقسوته وقوته وأنه قام بنقل الاتحاد السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي مما مكن الاتحاد السوفييتي من الانتصار على دول المحور في الحرب العالمية الثانية والصعود إلى مرتبة القوى العظمى.المصدر:

Péter Szegedi Cold War and Interpretations in Quantum Mechanics^ Acton, Edward Russia1995

22- W n medlicott, British foreign policy since Versailles, London, p.182.

23- William r rock, British appeasement in the 1930 s, London 1977, p.36.

* سير صمويل جون غورني هور 24) فبراير 1880 - 7 مايو 1959) فيكونت تمبلوود وحامل وسام نجمة الهند ووسام الامبراطورية البريطانية ووسام القديس مايكل والقديس جورج وعضومجلس الملكة الخاص، وأحد كبار سياسي حزب المحافظين البريطاني، الذي خدم في عدة مناصب وزارية في حكومات حزب المحافظين في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. شغل منصب وزير الدولة للطيران خلال معظم عشرينيات القرن العشرين، ولفترة وجيزة عام 1940، إلا أن منصبه الأكثر شهرة كان حينما تولى حقيبة وزير الدولة للشؤون الخارجية وشؤون الكومنولث عام 1935، عندما وقّع على اتفاقية هور-لافال مع رئيس وزراء فرنسا بيير لافال .شغل أيضًا منصب وزير الداخلية بين عامي 1937 - 1939، كما أصبح سفيرًا للمملكة المتحدة إلى إسبانيا من عام 1940 حتي عام 1944.المصدر:

Cambridge University Historical Series, An Essay on Western Civilization in Its Economic Aspects

24- Nicholas manserch, survey of British common wealth: affairs, problem of external policy 1931-1939, London 1952, p.97.
25- Kith middlemas, diplomacy of illusion: the British government and Germany 1937-1939, London 1972, p.7.
26- Doc, int, affairs 1936, p.478.
27- Nevill waites, troubled neighbors: Franco-British relations in the twentieth century ,London 1971, p.67.

* معاهدة لوكارنو: ضمنت المعاهدة، المعروفة أيضاً بميثاق لوكارنو، حدود ألمانيا الغربية حيث تعهدت الدول المتجاورة، وهي فرنسا وألمانيا وبلجيكا، بمعاملتها كمنطقة محرم انتهاكها. التزمت بريطانيا وإيطاليا كموقعين على الاتفاقية بالمساعدة في صد أي عدوان مسلح عبر الحدود. صارت راينلاند، وهي جزء من غرب ألمانيا احتلته قوات التحالف

المنتصرة بعد الحرب العالمية الأولى، منطقة منزوعة السلاح نزعاً دائماً وانسحبت منها قوات الاحتلال. وكان دخول الاتفاقية حيز التنفيذ مرهوناً بالتحاق ألمانيا بعُصبة الأُمم وحصولها على مقعد في المجلس، الأمر الذي وقع في عام 1926. كانت لوكارنو بمثابة نهاية فترة الحرب وبداية عهد جديد مبشر بالسلام والتعاون في أوروبا، لكن أودتْ به الأزمة الاقتصادية والسياسية بثلاثينات القرن العشرين. في عام 1936، نَبَذ أدولف هتلر ميثاق لوكارنو وأرسل القوات الألمانية مرة أخرى إلى راينلاند. توجد الوثيقة المبينة هنا في أرشيفات عُصبة الأُمم، التي نُقلت إلى الأمم المتحدة في عام 1946 وأُودعت مكتب الأمم المتحدة في جنيف. المصدر:

- Raymond J. Sontag, A Broken World, 1919-1939 (New York: Harper & Row, 1971).

28- Nicholas manserch, op cit, p.113.

29- W n medlicott, op cit, p.198.

* الملك جورج السادس: جورج السادس. ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا بالفترة بين 11 ديسمبر 1936 – 6 فبراير 1952، وآخر أباطرة الهند من 1936 – 1947. كان الابن الثاني لوالده الملك جورج الخامس كان لقبه الرسمي قبل التتويج الأمير ألبرت دوق يورك. المصدر:

Hilarie Belloc, Europe and the Faith, Chapter I.

* نيفيل تشامبرلين: رئيس وزراء ووزير بريطاني أسبق 18) مارس 9 – 1869 نوفمبر (1940 وهو سياسي ينتمي إلى حزب المحافظين. ولد نيفيل تشامبرلين عام 1869 وهو ابن جوزيف تشامبرلين أحد زعماء حزب المحافظين، ووزير المالية في وزارة سالسبوري وصاحب مبدأ التفضيل الإمبراطوري كما أنه أخ (غير شقيق) لأوستن تشامبرلين؛ وزير الخارجية في وزارة ستانلي بلدوين. المصدر:

dilks, David (1984), Neville Chamberlain, Volume 1: Pioneering and Reform, 1869–1929, Cambridge University Press,

* ستانلي بلدوين: سياسي بريطاني 1867-1947 تولى رئاسة الوزارة في بريطانيا ثلاث مرات في عام 1927 (أثناء وزارته الثانية) تغير الاسم الرسمي للدولة من المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا إلى المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وإيرلندا الشمالية، وذلك لخروج أجزاء كبيرة من إيرلندا من السيادة البريطانية أثناء الحرب العالمية الأولى ي عام 1936 (أثناء وزارته الثالثة) تعاقب على حكم بريطانيا ثلاث ملوك هم جورج الخامس، و إدوارد الثامن، و جورج السادس، ولم يحدث أن عاصر رئيس وزراء بريطاني، في فترة واحدة، ثلاث ملوك غير بلدوين.

المصدر:

Robertson , Charles Grant , England under Hanoverians , London , 1949 .

30- Kith felling, the life of Neville chamberlain, London 1947, p.56.
31- William r rock, Neville chamberlain, new York 1969, p.29.
32- William r rock, British appeasement, op cit, p.68.
33- Doc, int, survey 1938, vol 1, p.135.

* هارولد ماكميلان :سياسي بريطاني. زعيم حزب المحافظين. رئيس الوزراء (1957 ـ 1963)م خلفا لأنطوني إيدن. عمل من أجل تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية بعد تأزّمها نتيجة لحرب السّويس. استقال إثر معارضة الجنرال ديغول دخول بريطانيا السّوق الأوروبية المشتركة. ولد عام (1894)م وتوفي عام (1986.المصدر:

. Butler , David and Gareth Butler , British political facts 1900-1985 , London , 1986.

34- Harold macmillon, winds of change 1914-1939, London and new York 1966, p.321.

* ونستون تشرشل: ونستون ليونارد سبنسر تشرشل، هو رئيس وزراء المملكة المتحدة من العام 1940 وحتى العام 1945. وفي عام 1951

تولى تشرشل المنصب ذاته إلى عام 1955 .يُعد تشرشل أحد أبرز القادة السياسيين الذين انبلجوا على الساحة السياسية خلال الحروب التي اندلعت في القرن العشرين. قضى تشرشل سنوات حياته الأولى ضابطًا بالجيش البريطاني، ومؤرخًا، وكاتبًا، بل وفنانًا، كلٌ في آن واحد. تشرشل هو رئيس الوزراء الوحيد الذي يحصل على جائزة نوبل في الأدب، وكان أول من تمنحه الولايات المتحدة المواطنة الفخرية. المصدر:

Martin , Gilbert , Winston Churchill , New York , 1968

35- David Carlton, op cit, p.53.

36- Lexicon universal encyclopedia, vol 7, new York 1988,p.56.

37- Nevill waites,, op cit, p.131.

* شارل ديغول: شارل ديغول جنرال ورجل سياسة فرنسي ولد في مدينة ليل الفرنسية.، تخرج من المدرسة العسكرية سان سير عام 1912 من سلاح المشاة. ألف عدة كتب حول موضوع الإستراتيجية والتصور السياسي والعسكري. عين جنرال فرقة، ونائبا لكاتب الدولة للدفاع الوطني في يناير 1940 قاد مقاومة بلاده في الحرب العالمية الثانيةوترأس حكومة فرنسا الحرة في لندن في 18 يناير. وفي سنة 1943 ترأس اللجنة الفرنسية للتحرير الوطني والتي أصبحت في حزيران (جوان 1944) تسمى بالحكومة المؤقتة للجمهورية الفرنسية. أول رئيس للجمهورية الفرنسية الخامسة، عرف بمناوراته الاستعمارية تجاه الجزائر، منها مشروع قسنطينة، القوة الثالثة، الجزائر جزائرية، مشروع فصل الصحراء الجزائرية سلم الشجعان .توفي في كولمبي لدو إغليز عام 1970. لم يشفع التاريخ المشرف لرئيس الأسبق والأب الروحي شارل ديجول لدى الشعب الفرنسي الذي خرج في مظاهرات مناوئة له عام 1968، واستجابة لمطالب المتظاهرين الذين شكل الطلاب والعمال الغالبية بينهم قرر ديجول أن يجري استفتاء حول تطبيق المزيد من اللامركزية في فرنسا، وتعهد قبل

إجراء الاستفتاء بالتنحي عن منصبه في حال لم توافق نسبة كبيرة من الفرنسيين على تطبيق اللامركزية في البلاد . وفي مساء يوم 28 أبريل عام 1969 أعلن ديجول تنحيه عن منصبه بعد أن حققت الموافقة على تطبيق اللامركزية نسبة أقل قليلا من النسبة التي حددها سلفا. المصدر: شـــارل ديغول، مذكرات الأمل، التجديد 1958-1962 ترجمة ســـــموحي، منشـــورات عويدات، بيـــروت 1971.

38- David Carlton, op cit, p.62.

39- روندولف تشرشل, المصدر السابق, ص68.

40- ديفيد كانادين, إيدن لماذا فشل في إدارة أزمة السويس, ترجمة كامل يوسف, مجلة افاق عربية, أيار 1988, ص107.

41- المصدر نفسه, ص108.

42- The eden memory, op cit, p.79.

43- Louis Robert country, the Katy massacre, western Illinois university 1993, p.33.

44- David Carlton, op cit, p. 103.

45- Learning net work, fact monster, world history 1950-1959.

46- David Dutton, living with callusing, contemporary, oxford 1991, p.30.

47- Ibid, p.31.

48- الاهرام, 30 كانون الثاني 1953.

- محمد مصدق: حمد مصدق، رئيس وزراء إيران السابق انتخب ديمقراطيا سنة 1951 و1953. إلا أن مخابرات الأمريكية السي آي ايه والبريطانية MI6 خلعته في عملية مشتركة سميت بعملية أجاكس كان مصدق محام وبرلماني بارز قبل أن يصبح رئيسا لوزراء إيران في 1951 قد أدخلت إدارته إصلاحات اجتماعية وسياسية واسعة مثل الضمان الاجتماعي وتنظيم الإيجارات واستصلاح الأراضي ولكن يبقى تأميم صناعة النفط الإيرانية

هي النقطة الأبرز في سياسة حكومته حيث كان البريطانيون يسيطرون عليها منذ 1913 من خلال شركة النفط الأنجلو-إيرانية (APOC / AIOC) سميت لاحقا بإسم شركة النفط البريطانية أو .BP إلا أن ذلك سبب في أزاحته في إنقلاب عليه يوم 19 أغسطس 1953 بعد إجراء استفتاء مزور لحل البرلمان، ويعرف بالفارسية بانقلاب 28 مرداد 1332 حسب التقويم الإيراني فقد طلبت المخابرات البريطانية مساعدة السي آي إيه في تنفيذ الإنقلاب واختيار الجنرال فضل الله زاهدي ليخلف مصدق فأسقطت الحكومة وسجن مصدق ثلاث سنوات ثم أطلق سراحه، إلا أنه أستمر رهن الإقامة الجبرية حتى وفاته سنة 1967المصدر: .

- Saikal, Amin The Rise and Fall of the Shah, Princeton University Press, 1980

49- Lexicon universal encyclopedia, op cit, p.58.

- دوايت ديفيد أيزنهاور، سياسي وعسكري أمريكي والرئيس رقم 34 تولى حكم الولايات المتحدة في الفترة من 1953 إلى 1961. خلال الحرب العالمية الثانية، شغل منصب القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا، المسؤولة عن التخطيط والإشراف على نجاح غزو فرنسا وألمانيا. نهى حرب كورية وحافظ على الضغط على الإتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة. أعاد تنظيم ميزانية الدفاع في اتجاه الأسلحة النووية وأطلق سباق الفضاء ووسع نظام الضمان الاجتماعي وبدء في إنشاء نظام للطرق السريعة بين الولايات. المصدر:

- McMahon, Robert J. "Eisenhower and Third World Nationalism: A Critique of the Revisionists," Political Science Quarterly (1986) .

50- Library of congress: john foster dullas, man of year, time media kit, p.2.

51- مذكرات أنتوني إيدن, المصدر السابق,ج1, ص ص 91-92.

- جون فوستر دالاس: وزير الخارجية في عهد الرئيس دوايت أيزنهاور 1953 حتي 1959. كان شخصية هامة في أوائل الحرب الباردة، واتخذ موقفا عدائيا ضد الشيوعية في جميع أنحاء العالم ودعا إلى دعم فرنسا في حربها ضد فيت مين في الهند الصينية الفرنسية، وأنه يعتقد على نطاق واسع أنه رفض مصافحة تشو ان لاى) بالإنجليزية Zhou : Enlai) في مؤتمر جنيف في عام 1954. كما أنه لعب دورا كبيرا في عمليات وكالة المخابرات المركزية لإسقاط حكومة محمد مصدق الديمقراطية الإيرانية في عام 1953 عملية اياكس) بالإنجليزية(AJAX :، وحكومة أربينز الديمقراطية في غواتيمالا عام 1954) عملية PBSUCCESS). المصدر:

- Divine, Robert A.. Eisenhower and the Cold War.1981.

52- Library of congress: john foster dullas, op cit, p.4.
53- Nevill waites,, op cit, p.166.
54- David Carlton, op cit, p.149.
55- مذكرات إيدن, المصدر السابق, ج1, ص213.
56- Woods hoes, c m British foreign policy since second war, London 1961, pp.78-81.
57- مذكرات إيدن, المصدر السابق, ج1, ص251.
58- ديفيد كانادين, المصدر السابق, ص108.
59- المصدر نفسه.
60- Woods hoes, op cit, p.115.
61- روندولف تشرشل, المصدر السابق, ص ص104-105.
62- ديفيد كانادين, المصدر السابق, ص108.
63- S I a, Anthony Eden, earl of Avon.
64- Ibid.
65- David Carlton, op cit, p.152.
66- Ibid, p.159.

- غلوب باشا: السير جون باغوت غلوب المعروف باسم غلوب باشا ولقبه أبو حنيك ضابط بريطاني عرف بقيادته الجيش العربي الأردني بين العامين 1939 و1956. جلوب باشا (1897 ـ 1986م) اللفتنانت جنرال جون باجوت جلوب، ويطلق عليه (كلوب باشا)، ضابط بريطاني، عمل في الجيش البريطاني في العراق عام 1920م، ثم استقال من الجيش البريطاني عام 1926م، والتحق بقوات الصحراء العراقية ونجح في التصدي للغزوات القبلية بالعراق. فعينته الحكومة الأردنية في الجيش الأردني ليقوم بقمع الغزوات البدوية التي كانت تحدث في الأردن. وظل في منصبه (من 1930 ـ 1939م) إلى أن أُختير رئيسًا لأركان حرب الجيش العربي الأردني عام 1939م، وكان هذا الجيش يتلقى مساعدات بريطانية كبيرة سنويًا، ويعمل به عدد كبير من الضباط البريطانيين. المصدر:
  - Al Bjerg , Victor L. , Europe from 1914 to the present , New York

67- ارسكين تشايلدرز, الحقيقة عن العالم العربي, ترجمة خيري حماد, منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر, بيروت 1960, ص ص117-120؛ مذكرات إيزنهاور,ترجمة هيربرت يونغمان, بيروت 1969, ص20.

68- Woods hoes, op cit, p.160.

69- Ibid, p.163.

- جمال عبد الناصر: جمال عبد الناصر حسين. هو ثاني رؤساء مصر. تولى السلطة من سنة 1956، إلى وفاته سنة 1970. وهو أحد قادة ثورة 23 يوليو 1952، التي أطاحت بالملك فاروق، وشغل منصب نائب رئيس الوزراء في الحكومة الجديدة.المصدر:
- رياض الصيداوي، معارك عبد الناصر، مركز الوطن العربي للأبحاث والنشر، بيروت،. 2003

70- David Carlton, op cit, pp.201-214.

71- ايمري هيوز, ماكميلان_شخصية سياسية_, ترجمة حسين الحوت, مطابع الدار القومية, القاهرة 1963, ص42.

72- Anthony Eden, toward peace in indo_ chine, oxford university press, London 1966; David Carlton, op cit, pp. 267-288.

73- Britannia internet magazine, lic, Anthony Eden.

الباب الثاني

حياة وسياسة دوايت إيزنهاور

الباب الثاني

حياة وسياسة دوايت إيزنهاور

ينتمي أيزنهاور Dwight D. Eisenhower إلى عائلة ذات أصول سويدية[1]، وكان أسلافه قد هربوا من المانيا إلى سويسرا في القرن السابع عشر ثم لجأوا إلى أمريكا في عام 1741م[2]، ويذكر إن عائلته أنظمت إلى العصبة الدينية التي عرفت واشتهرت وانتشرت بأسم (شهود ياهو)[3]. اما والد ايزنهاور فهو (ديفيد يعقوب ايزنهاور) وكان يعمل رجل دين ومزارع وقد تزوج عام 1885 ثم انتقل إلى تكساس وهناك ولد دوايت ايزنهاور في 14 تشرين الاول 1890م[4].

عمل دوايت منذ صغره لكسب المال وعلى عكس أمه وأبيه فلم ينضم للجماعات الدينية, ونشأ منذ صغره على أبراز نفسه ودخل دوايت وأخوته الستة إلى المدارس لكن هو لم يكن لديه اهتمام حقيقي بالجوانب الدراسية بل كان جل اهتماماته في الألعاب الرياضية في كل من المدرسة الابتدائية والمدرسة العليا*.

اثر تخرجه من المدرسة العليا في عام 1909[5]، حثه أحد أصدقائه للتقديم إلى الاكاديمية البحرية إلا انه فشل في اجتياز أمتحانات القبول التي كان لاصوله اليهودية الدافع المباشر لرفضه[6]، وإزاء ذلك قرر التقديم إلى الاكاديمية العسكرية في النقطة الغربية وقبل بها على اثر واسة فعالة لتمكنه من الحصول على توصية بقبوله من عضو في مجلس الشيوخ عن ولاية كنساس وكان ذلك في حزيران 1911[7].

في الأكاديمية العسكرية كان دوايت متوسط المستوى في كل شيء ولم يبرز إلا في الالعاب الرياضية وحتى تقدمه بها توقف اثر تعرضه لحادث في ركبته مما أدى إلى تركه شبه إلتام الاشتراك في الالعاب الرياضية,[8] وأوجس ذلك الأمر في نفسه وافقده بروزة كثيراً ووصف أثناء مدة الكلية أنه رجل فاقد الاهتمام بالحياة[9]،

مع ذلك أنهى سنوات الكلية وتخرج منها في عام 1915[10]. وما أن تخرج من الأكاديمية العسكرية حتى التقى بـ (مامي) التي تزوجها في ايلول 1916[11]. فأنجب منها صبيين مات الأول في طفولته ودخل الثاني إلى الجيش فيما بعد مع والده[12].

ما إن انطلقت الحرب العالمية الأولى حتى نشهد سرعان ما دخلتها ألولايات المتحدة الامريكية الحرب فأراد دوايت الذهاب إلى فرنسا لكنه بقي في البلاد وذلك حسب الاوامر التي صدرت له من قادة الجيش الامريكي ,وحصل على ترقيات عدة[13]، وما إن انتهت الحرب حتى دخل إلى مدرسة قيادة الاركان عام 1925[14]، ثم دخل إلى كلية الجيش الحربي عام 1927[15]، واكتسب سمعة لا بأس بها كضابط بارز فهيأ له ذلك أن يصبح مساعد لرئيس هيئة اركان الجيش الامريكي (دوغلاس ماك ارثر D. MC. ARTHUR), واعتمد ماك ارثر عليه بشكل كبير ولما انتقل إلى الفلبين كمستشار عسكري فيها عام 1935 رافقه دوايت كمساعد له وقد أدى هذا الأمر إلى بروز سمعته بشكل واضح في الجيش الامريكي، ولما عاد إلى البلاد في شباط 1940 عمل كمخطط عسكري في مناورات الجيش الامريكي في لويزيانا[16]، وسرعان ما اعقبه بترقيه إلى منصب عميد مؤقت قبيل اشتراك امريكا الفعلي في اجواء الحرب العالمية الثانية[17]. إذ رسميا أعلنت أنها اشتركت ما أن تعرضت أمريكا على ميناء (بيرل هاربر) لهجوم ياباني[18].

وما أن عين (جورج مارشال G. MARSHAL) كرئيس هيئة اركان الجيش الامريكي حتى استدعى ايزنهاور إلى واشنطن وعينه رئيساً لقسم الخطط الحربية الخاصة وذلك في شهر شباط 1942[19]. وفي خلال ثلاثة اشهر برز ايزنهاور بشكل كبير وحظي بإعجاب المارشال فحصل على نجمة أخرى, وأرسل إلى لندن لتسلم قيادة القوات الامريكية في اوربا, متجاوزاً بذلك عشرات الضباط الامريكان الذين كانوا أعلى منه مرتبة وخبرة[20].

إما الرئيس الامريكي فرانكلين روزفلت فعندما قام بترقية ايزنهاور في الشهر نفسه لكي يكون القائد الإعلى لقوات الحلفاء في أوربا، فقد كانت هذه القيادة فريدة بالكامل لأنها لأول مرة في التاريخ يصبح قائد واحد مسؤول عن القيادات البرية والبحرية والجوية معاً, فانه بذلك أعطى ايزنهاور قيادة كبيرة, كما جعل سلطاته أكبر بكثير من سلطات الجنرال (فوش) في الحرب العالمية الأولى[21].

وعلى الرغم من كل النجاحات الكبرى التي حققها ايزنهاور في الحرب العالمية الثانية فضلاً عن ما يذكر من تاريخ كبير لهذا الرجل وإعماله الجليلة وخبرته العسكرية وتخطيطه المتقن، إلا أن هناك العديد من المعلومات السرية في الكتمان التي تتعلق بحقيقة أصوله وشخصيته وأخلاقه, ومن هذه المعلومات ان ايزنهاور عرف في فترة أنضمامه للأكاديمية العسكرية للنقطة الغربية في عام 1911–1915 بلقب في غابة الغرابة وهو (اليهودي السويدي الفظيع)[22]، فقد عرف ومنذ الايام الاولى لأنضمامه للأكاديمية بأنه يهودي ينتمي إلى عائلة ذات أصول يهودية،[23] وكان سيئ الطبع والخلق والتصرف مع معظم الطلاب في الاكاديمية فلذلك كانوا يلقبونه بذلك اللقب.[24] فضلاً عن ذلك ففي الايام الاولى التي سبقت الحرب العالمية الثانية عرف اشتهاره بلقب (زير نساء), وقد أكد هذا الكلام العديد من الجنرالات الذين خدم معهم والذين أكدوا بأنه شخص فاسد منحط ولا يستحق رتبته ابداً[25].

ومع ذلك إلا أنه تقدم بالرتبة العسكرية بشكل سريع للغاية فمن مقدم في الجيش الامريكي في اوائل عام 1941 إلى عميد ثم جنرال ثم القائد الأعلى لقوات التحالف في اوربا، وكان هذا أمر غريباً جداً لأنه استبق في هذا المنصب عشرات القادة والجنرالات الأمريكان الإعلى منه رتبة والاكفئ والأكثر خبرة، لكن السر لم يكن يكمن في كفاءته أو قدرته أو حتى إستراتيجيته التي عرفت بتناقضاتها بل لا لشيئ اخر سوى انه كان صديقاً حميماً لابنة الرئيس روزفلت وهي التي دعمته

بشكل كبير ليصبح مساعد أول لمارشال[26]، وقد كان هذا كلـــه بموافقـــة الـــرئيس روزفلت مدعوماً من قبل صديقته الحميمة.

فضلا عن ما تقدم لأخلاق وتصرفات أيزنهاور فأن كراهيته للشعب الألماني لم تكن توصف فقد تعامل معهم كأعداء له وقام بقتل وشنق العديـــد مـــن الأســـرى الألمان, وكانت هذه الكراهية مستمدة بشكل كبير من يهوديته,[27] فقد كـــان يحمـــل الشعب الألماني كله ما جرى لليهود من قبل الحكومة النازيـــة وازاء ذلـــك كانـــت اعماله السادية ضد الاسرى الالمان قائمة على اساس تلمودي[28]، وبرسالة لزوجته في نهاية سنة 1944 اعترف بكرهه للألمان عندما قال لها (يا الهـــي كـــم أكـــره الالمان).[29] وما أن استسلمت المانيا النازية في 7 ايار1945م حتى صدر أمر من الرئيس الأمريكي الجديد ترومان بتعيينه بمنصب الحاكم العسكري للجزء المحتـــل من قبل أمريكا فـــي المانيا[30]، واستغل ذلك بشكل كبير فعمل على الانتقام الهمجي والا مسؤول من الالمان عن طريق تعذيب الاســـرى والســـجناء وإمـــاتتهم مـــن الجوع[31]، ونلحظ ذلك في الاسبوع الاول من توليه هذا المنصب لما أصدر أمـــراً يمنع بموجبه السكان المحليين من أعطاء أي طعام مهما كان قليلاً أو رديئاً أو سيئاً للأسرى والسجناء ومن يخالف هذا الامر يعرض نفسه للأعـــدام بالرصـــاص[32]. واستطاع ان يعمم عبر علاقاته السياسية و العسكرية هذا الامر في جميـــع المـــدن الالمانية الأخرى والتي كانت تحت أحتلال دول الحلفاء الأخـــرى[33]، ولـــم يفكـــر ايزنهاور بالأسرى والمساجين ولا بحقوقهم الإنسانية ولا بالشعب الالماني الذي كان يمر بمجاعة انذاك, ولم يستوعب كيف أن عوائل هـــؤلاء الاســـرى والمســـاجين يقتطعون من أفواههم بعض الطعام ليجلبوه لابنائهم الجائعين في معسكرات الاســـر الامريكية.[34]

كان بنفسه يقوم بزيارة السجون والمعتقلات, ويأخذ بنفسه الطعام مـــن أهـــل المساجين الالمان ويضـــعه فـــي صـــندوق القمامـــة ويحرقـــه أمـــام النـــاس[35], وأمر بقتل أحد المساجين عندما كان يشرب الماء من انبوبة صغيرة وذلك برميـــه

برصاصات عدة أن هذا الاسلوب في التعامل إدى إلى موت مليون وسبعمائة ألــف الماني[36]، ومن الغريب بعد ذلك كله فسر ايزنهاور سياسته التي اتبعها تجاه الشعب الالماني, بأن جميع ما قام به من أعمال وسياسات ضد الشــعب الالمــاني كانــت مفروضة عليه لأنه ينبغي على الالمان أن يعانوا من الجوع والقسوة والبــرد، وأن هذه المعاناة أمر لأبد منه ليدرك الالمان عواقب الحرب التي تسببوا بها!![37] مــن يقرأ هذا تعليله هذا لما قام به ضد الالمان يلحظ بشكل أساسي أن كل ذلك ما كــان يعني له إلا اصراره بتحقيق الانتقام بأكبر شكل ممكن من أعداء اليهود، كما يبــرز لدينا أن ما قام به لم يقم به السوفيت الذين أحتلوا الجزء الشرقي مــن ألمانيــا وان سياسته كانت مليئة بالحقد الاعمى المستمد بشكل كبير من اعتزازه بيهوديته, ومــن انه ينتمي إلى شعب الله المختار.

بعد ان أنهى مهامه العسكرية في منطقة الاحتلال الامريكي في المانيا حتــى عاد إلى البلاد في تشرين الثاني 1945 ليتولى بمساندة خفية منصب رئاسة هيئــة الأركان العسكرية الأمريكية[38]، وليبقى في منصبه هذا حتى تشرين الثاني 1948 اذ تقاعد من الجيش لكنه وبمساندة خفية اخرى فقد تولى رئاسة جامعة كولومبيا في كانون الاول من العام نفسه وفي خلال ذلك أكمل كتابه الشهير (الحملة الصليبية في اوربا)[39] وبعدها بثلاثة اشهر من ذلك عين بشكل غير رســمي مستشــاراً أمنيــاً للرئيس ترومان[40].

ما إن اندلعت الحرب الكورية في 25 حزيران 1950* ومن دون الالتفــات إلى الكفاءات العسكرية للقادة العسكريين الامريكيين الاخريين فقد عينــه الــرئيس ترومان القائد العام للقوات العسكرية لمنظمة حلف شمال الاطلسي (الناتو) والتــي شكلت حديثاً[41]، فور عرض هذا الموضوع فرح بالمنصب وارتدى زيه العسكري الرسمي (جنرال ذو خمس نجوم) من جديد[42], وترك بذلك منصب رئاسة جامعــة كولومبيا وتوجه إلى فرنسا في كانون الثاني 1951 ليتولى تنظيم القيادة العســكرية

في الدول المشاركة في حلف (الناتو) بشكل يتفاعل مع أهداف السياسة الامريكيـة وأحلام الجيش الأمريكي بالسيطرة على العالم[43].

بذل ايزنهاور وقتاً كبيراً في محاولة لتأسيس قوة عسكرية كبيرة فـي حلـف الناتو وتنظيمها ورسم الخطط والاستراتيجيات لها واستطاع ان يقنع الأوربيين بأن الناتو لدية قدرة كبيرة على حماية أوربا الغربيـة مـن أي عـدوان.[44] وأن هـذا المنصب منحه سلطات كبيرة فضلاً عن تمتعه بدعم واسع من الـرئيس ترومـان والذي كان يظن أنه مدين لايزنهاور, لرفض الاخير الترشيح مـن قبـل الحـزب الديمقراطي لمنصب الرئاسة الأمريكية بدلاً عن ترومان[45]، أزاء ذلـك اسـتطاع توسيع نفوذه وتحسين صورته وتكوين البداية السياسية لشخصيته التي اصبحت في المقدمة في أمريكا[46].

وعلى الرغم من الأعباء الكبيرة التي خلفتها الحرب العالمية الثانيـة علـى معظم أنحاء العالم ألا انه كان على العكس فقد أكتسـب شـهرة واسـعة, فبـدأت الاحزاب في الولايات المتحدة بالتفكير لترشيحه لمنصب الرئاسة الأمريكية وكـان أول العاملين على ذلك الحزب الديمقراطي,[47] من خلال بعض الاعضاء البارزين فيه لكنهم فشلوا في اقناع ايزنهاور بالترشح للرئاسة في عام 1948[48], وبعـد أن اصبح قائداً عسكرياً لقوات الناتو تسابق نحوه كلا من الديمقراطيين والجمهـوريين إلا أنه كان يمانع دخول السياسة[49], وكان يبتعد بشكل كبير عن النزاع الحزبي[50], ومع ذلك فقد حاول الديمقراطيون إقناعه مجددا وقدموا له مغريات كبيرة ارتكـزت على القبول بكل شروطه, إلا أنه اعلن أنه ميال إلى الحزب الجمهوري[60]. وكـان ذلك لاعتقاده بان السياسات الديمقراطية كانت تروج للحكومة المركزية على حساب الحرية الفردية للمواطن, وأن الإدارات الديمقراطية كانت لا تحارب الشـيوعية[61] بينما كان هو يؤمن بالحرب، وامتازت السياسات الديمقراطية كما راى في ضـعفها في إبراز قوة أمريكا في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية, وأن الحزب الجمهوري كان على النقيض من ذلك[62]. فما أن أتفق مع الجمهوريين حتى عملت الصـحافة

المرتبطة بالحزب الجمهوري على تقديمه للشعب الامريكي بصورة مثالية كما رسمت له شخصية مثالية جداً وبأنه رجل الساعة الذي لابد للأمريكان ان يسلموه زمام الأمور في البيت الابيض لحماية بلادهم من الخطر الشيوعي[63].

عاد ايزنهاور في حزيران1952 إلى الولايات المتحدة مستقيلاً من منصبه كقائد عام لحلف الناتو[64], وما أن وصل الى البلاد حتى دخل في عملية تنافس للفوز بمنصب مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة مع السيناتور (روبرت تافت) حاكم ولاية أوهايو[65]. ونتيجة للدعاية الاعلامية الكبيرة التي قدمته لانصار حزب المحافظين فقد اختاره اغلب الجمهوريين. أثر فوزه أختار بالاتفاق مع زعماء الحزب الجمهوري (ريتشارد نيكسون)* لمنصب نائب الرئيس[66], وهو سيناتور عن ولاية كلفورنيا ولم يكن عمره يتجاوز التاسعة والثلاثين سنة لكنه أمتاز بعداء كبير للشيوعيين[67]، وجاء اختياره إرضاءً لأعضاء الحزب الجمهوري والذين كانوا يمتازون بكرههم الشديد للشيوعية[68].

في خضم السباق الانتخابي الرئاسي اختار انصار الحزب الديمقراطي السيناتور (أدلي ستيفنسون) حاكم ولاية اللنويز كمرشح رئاسي منافس له[69]، وكان ستيفنسون هذا سياسي محنك شارك في الحرب العالمية الثانية عندما شغل منصب المساعد الخاص لوزير البحرية كما شغل بعد ذلك عضوية الوفد الامريكي في الامم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية[70], وفي اثناء حكمه لولاية اللنويز برز بأنه من قادة الاصلاح في البلاد ومعادي للفساد فاكتسب بذلك شعبية كبيرة[71].

اعتمد ايزنهاور بشكل كبير على سمعته العسكرية وصورته البطولية وابتسامات الثقة التي كانت تملأ وجهه وعبارته البسيطة والواضحة والتي كان لها وقع وتأثير كبير على الشعب الأمريكي[72]. وأزاء ذلك قام بزيارات كثيرة لمعظم الولايات المتحدة الامريكية، خاطب الناس فيها بشكل مباشر[73]. وفي هذه المعركة الانتخابية أقر الحزب الجمهوري شعاراً انتخابيا جديدا عرف بأسم (أحب أيك) الذي

اصبح اللغة السياسية لبرنامجه الانتخابي[74], وفي نهاية الحملة وعد الشعب الامريكي بأنه إذا ما فاز في الانتخابات سوف يذهب إلى كوريا وينهي الحرب هناك, وقد اكسبه هذا الأمر تأييدا كبيراً[75].

أجريت انتخابات الرئاسة وفاز بها ايزنهاور بنسبة 55% من اصوات المقترعين, وعنى ذلك أن حوالي أربعة وثلاثين مليون من سكان أمريكا صوتوا له[76]. وكان فوزه هذا أكبر فوز من أي مرشح جمهوري سابق, وفي ذات الوقت استطاع الفوز بولايات عرفت بولائها للحزب الديمقراطي كفرجينيا وفلوريدا وتكساس[77], وصوتت له العديد من الجماعات الدينية الامريكية كالبروتستانت والتطهيريين والكاثوليك واليهود[78]. ومع الفوز الذي حققه الجمهوريون بمنصب الرئاسة الامريكية, فإنهم لم يحظوا بأغلبية في مجلسي النواب والشيوخ، ففي مجلس النواب لم يتجاوزوا الديمقراطيون إلا بثلاثة مقاعد, وفي مجلس الشيوخ مقعد واحد فقط[79], وبهذا الأمر تأكد أن الحزب الجمهوري لم يكن هو الذي حقق الفوز في الانتخابات الرئاسية إذ حاول منذ عام 1933 الوصول إلى المقعد الرئاسي لكنه كان في كل مرة يفشل في ذلك إلى أن جاء ايزنهاور ليفوز له ولهم بهذا المنصب[80].

من الأمور التي تجدر الإشارة إلى ذكرها انه وفي هذه الانتخابات وظف ايزنهاور أمر تكنولوجي وحديث لكسب المؤيدين له، وكان هذا الأمر (التلفاز) لذا فهو يعد أول من وظف جهاز التلفاز في العالم كله كوسيلة أعلامية لتسهيل أمره في كسب الاصوات اثناء حملته الانتخابية[81].

بعد إن تولى منصبه رسميا قام بتشكيل حكومته واستلام مقاليد الأمور في البيت الابيض وعين رسمياً (ريتشارد نكسون) في منصب نائب الرئيس و (جون فوستر دالاس)* في منصب وزير خارجية و(شارلز ويلسن) في منصب وزير الدفاع، وهكذا تم تشكيل حكومته[82], ومن الجدير بالذكر أنه في يوم 20 كانون الثاني1953 ولاول مرة في التاريخ الأمريكي تسلم مكتبه الرئاسي في البيت

الابيض وكان بذلك أول رئيس أمريكي جرى عليه تطبيق التعديل الدستوري والذي نص على أن لا يحق للرئيس تولي الرئاسة أكثر من مرتين[83], وهكذا بدأ عهد ايزنهاور.

فور تسنمه الرئاسة الامريكية جلب معه عدداً كبيراً من المساعدين الذين يثق بكفائتهم ولاسيما في الامور التي لا تستدعي أنشغاله بها ليتفرغ هو للمسائل الكبرى[84], حسب ما كان يردد، لذا أعتمد بشكل أساسي عليهم وحاول هو بلا جدوى أن يتقن طرق حل المشاكل العرقية في البلاد[85], كما عمل على التكيف مع السياسة الحزبية وعمد للاستماع لموظفيه وعدم الدخول معهم في نقاش طويل, لذلك لم يشهد عهده أي مشاكل مع الموظفين في البيت الأبيض[86]. وما أن قاربت فترته الرئاسية الأولى على الانتهاء حتى بدأ العمل على تهيئة نفسه للحكم مرة ثانية عن طريق ترشحه لفترة رئاسية ثانية[87]، واستطاع في ذات الوقت الحصول على تأييد حزبه على ترشيح نائبه نيكسون لمنصب النائب من جديد[88]. أما الديمقراطيون فأختاروا مرشحهم السابق ذاته ليكون نداً لايزنهاور من جديد[89].

وعلى نقيض الجهد الضخم الذي بذلهُ في حملته الأنتخابية الرئاسية الاولى, لم يقم في الحملة للرئاسة الثانية بأية جولات سياسية في الولايات الامريكية ولم يخطب فيها[90]، بل أعتمد على أمرين هما الصحافة والتلفاز أي ارتكز على الاعلام اليهودي وتفرغ بشكل كبير لمسائل السياسة الخارجية ولاسيما أزمتي السويس* وهنغاريا* فضلا عن المشاكل الصحية التي كان يعاني منها هو[91]. في خضم ذلك نجح بتحقيق الفوز وبأغلبية واضحة واستطاع ان يكسب أصوات أكثر من أربعين ولاية, ونجح من جديد بشغل المنصب الرئاسي في 20 كانون الثاني 1957[92].

أستهل ولايته الثانية بسياسة داخلية قائمة على تحقيق الأهداف المحلية لأدارته الجديدة وكان الوصول إلى التوازن في ميزانية الدولة من أهم أهداف أدارته[93], وعمل على تحقيق أنجاز كبير في مجال برامج الخدمات الاجتماعية[94]، كما نجح

بربط الولايات المتحدة بطرق سريعة امتدت بين الولايات جميعاً وقد وصلت هذه الطرق المعبدة إلى عشرات الآلاف من الكيلومترات ما حقق نجاحاً كبيراً لأدارته في السيطرة على البلاد عن طريق ربطها بطرق سريعة وتحويلها من أدارات منفصلة إلى ولايات متحدة حقيقية[95].

كانت فترة ولاية رئاسته الثانية مليئة بالاحداث والتطورات على الشعب الامريكي فقد عدلت التقنيات الجديدة حياة الشعب الامريكي وقفز عدد الامريكان الذين ملكوا جهاز التلفاز من واحد مليون عام 1949 إلى عشرين مليون عام 1953[96], وبشكل لا ينكر أدخل التلفاز تغييرات كبيرة في العلاقات العامة وأساليب الحياة وأفكار الناس ومعتقداتهم وانتماءاتهم السياسية[97]. فأسهمت هذه المتغيرات إلى تنامي المطالبة بتحقيق الحقوق المدنية للأمريكان مما أسهم في اقرار المحكمة الامريكية العليا عام 1954 قرارها الخاص لمنع وألغاء الفصل العنصري بين الطلاب[98]، ومن المفروض على الحكومة الفدرالية أن تأمر ولاياتها الأمريكية بتنفيذ هذا القرار لكن ايزنهاور لم يكن مندفعاً لتحقيق الحقوق المدنية للأمريكان ذوي الأصول الافريقية فترك الأمر معلقاً بين المحاكم الامريكية وحكام الولايات[99].

أمتاز عهده بالنمو والازدهار في الحياة الاستهلاكية الأمريكية فكانت فترة الخمسينات هادئة مزدهرة للشعب الأمريكي[100], كما شهدت زيادة في عدد السكان في معظم المدن[101]، وتوسع الاحياء السكنية في ضواحي المدن وبروز السيارات الحديثة والطرق السريعة والفنادق والمطاعم والراديو والتلفاز وموسيقى الروك وبروز قضية المساواة بين الجنسين[102]. وقد ساعد في هذا النمو السريع الذي شهده الشعب الامريكي, هو تقليل الضرائب التي كانت مفروضة على الشعب مما زاد من شعبية أيزنهاور ووثوق الناس به[103].

وعلى الرغم من ما قدمه في المجال الاقتصادي الا أن البلاد شهدت في عهده كسادين الأول في 1954-1955[102]، أما الثاني فقد كان في 1957-1958[103]. ورغم هذه الكبوات الاقتصادية إلا أن عهده شهد تطورات في الوضع الداخلي الأمريكي اذ أوجد لأول مرة في التاريخ الأمريكي وزارة (الصحة والتعليم والرفاهية)[104]، مما يعنى تغييراً كبيراً في حياة الشعب الأمريكي لاهتمام الإدارة بتقديم الخدمات للمواطنين. ومن المهم أن نذكر هنا أن ايزنهاور تعامل مع الأمور الاقتصادية في بلاده كقسيس كهنوتي ومن أوضح الأمور على ذلك هو قيامه بإضافة تعابير دينية إلى العملة الامريكية النقدية، وذلك عندما أضاف عبارة (نحن نثق بالله)[105]. ومما يذكر له قيامه بتوسيع الولايات المتحدة عن طريق موافقته بانضمام ولاية الأسكا في كانون الثاني 1959 وحملت الرقم الولاية التاسعة والاربعين في الولايات المتحدة[106], ثم سرعان ما وافق على أضافة منطقة هاواي في آب 1959 وقد حملت هذه المنطقة أسم الولاية رقم خمسين في البلاد[107].

كان عهده فاتحة لنهاية الحرب الكورية*1950-1953[108], وأتخاذ أستراتيجية عسكرية وطنية جديدة مستندة بصورة تامة على اعتماد كل من القنابل الذرية و السلاح الجوي[109], وبنى هذا المفهوم على مبدأ سياسي جديد عرف بـ(الانتقام الهائل)[110]، وبناء استراتيجية جديدة فيما يخص القنابل الذرية بأن البلاد ستحتاج إلى رادع نووي ضد التهديد الخارجي لأمريكا. أما فيما يخص السلاح الجوي فقد شهدت القوة الجوية الامريكية بتقدم كبير في عهده لما وضعها في طليعة السياسات الدفاعية[111]. كما قام بتخفيض حاد في ميزانية الجيش لأن سياسته الدفاعية قامت على الردع النووي لاستخدامه كورقة ضغط على الاعداء[112]، وعمل ذلك في سبيل رفع وأزالة التأثير الضخم لميزانية الجيش على ميزانية الدولة، ونجح بذلك لما قدم ميزانية منخفضة لمعالجة ذلك وهكذا واصلت ميزانية الجيش طوال سنوات عهده الانكماش الاقتصادي[113].

وواصل انجازاته إذ عمد إلى تقليل عدد أفراد الجيش الأمريكي والاعتماد على التقنيات الجديدة التي كانت ترتكز على صناعة الصواريخ والقنابل الذرية[114]، وهكذا تم تقليل عدد العسكريين والموظفين في معظم وحدات الجيش الأمريكي وشمل ذلك حتى مقر وزارة الدفاع[115], وبذات الوقت عمد على تزويد الجيش بالأسلحة الضرورية والاجهزة المناسبة والمعدات الكاملة[116]. من يتمعن بما قام به ايزنهاور للجيش الأمريكي يكاد أن يصل إلى أنه كان مستوعباً بشكل كامل للتطورات التي كان يمر بها فن الحرب, اذ اعتمد على قوة الأسلحة كالصواريخ بعيدة المدى والسلاح الجوي والأسلحة النووية بدلاً من الجندي المقاتل. وعنى ذلك أمراً واضحاً أنه عمد إلى توفير اليد العاملة للصناعة الأمريكية بدلاً من اشغالها بالجيش، ونجح بذلك مما أكسب الاقتصاد الأمريكي يداً عاملة كبيرة ومهيأة.

أن معظم هذه السياسات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والإدارية لم تكن من ايزنهاور نفسه إنما كانت من قبل مساعديه ومستشاريه الذين كانوا يتمتعون بموافقته السريعة على ما يقررون, وأن المتتبع لما كان يجري من أحداث وحقائق بإدارته يعرف إن اغلب القرارات الحكومية كانت تتخذ من قبل وزير الخارجية (جون فوستر دالاس) والذي كان له الدور الأول والأكبر في سياسة أدارة إيزنهاور[117].

وفي خطابه الرئاسي الأخير لخص الرئيس ايزنهاور تجربته قائلاً (أن السياسات الطيبة ليست ضماناً كبيراً للنجاح ولكن السياسات السيئة ضمان محقق للفشل)[118]، كما نبه على خطورة عمل هيئة المجمع العسكري الصناعي، علماً بأنه من هذه المؤسسة لكنه كان شاهداً على النمو الأخطبوطي لهذا المجمع الذي مد نفوذه في كل أمريكا وأصبح سيداً للولايات المتحدة[119]. وفي نفس الخطاب أستشهد بحكمة إغريقية تقول (أن الآلهة لا تعاقب البشر حين تغضب عليهم وإنما هي تسلط عليهم أنفسهم). وما إن انتهت ولايته حتى كثرت الدراسات التي تناولت حياته وصفاته الشخصية وأكثر ما أبرزه المؤرخين الأمريكان يهوديته ومكره وسوء خلقه وبخله المفرط مما أفرط بإغضابه ودفعه للعيش بعزلة وبقي بهذا الحال إلى وفاته في 28 آذار 1969م.

الهوامش

1- Beschloss, Michael R. Eisenhower: A Centennial Life. New York, HarperCollins, 1990. p.19.
2- rendon, Piers. Ike: His Life and Times. New York, Harper & Row, 1986. p.47.
3- Davis, Kenneth S, Soldier of Democracy: A Biography of Dwight Eisenhower.. Garden City, NY, Doubleday, 1952.p.53.
4- Ibid ,p.64.

(*) شهود ياهو : جماعة دينية يهودية ، ويعود أسم الجماعة إلى ايمانها بـأن اسـم الرب هو (ما ياهو) وان الاسم الحقيقي لليهود وهو (شهود) نشـأت الحركـة فـي الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب الاهلية الامريكية وأمتازت بأفكار الخلاص ونهاية العالم وتقديس التوراة, والحركة حركة تبشيرية قوية في اسرائيل وهي فـي تضاد مع الحكومة الاسـرائيلية لأنهـا ضـد قيـام اسـرائيل . Ar.wikpioedia .org,op.cit

المدرسة العليا: المدرسة العليا يقصد بها الدراسة الثانوية .www.usalive.com

5- Downs, Robert B. and others. Memorable Americans, 1750-1950. Littleton, CO, Libraries Unlimited, 1983. p.100.
6- Brendon, Piers, op,cit,p.82.
7- Hatch, Alden. General Ike: A Biography of Dwight D. Eisenhower, Revised and enlarged. New York.
8- Beschloss, Michael R, op,cit,p.39.
9- R. Alton. Dwight D. Eisenhower, Soldier and Statesman. Chicago, Nelson-Hall, 1981, p.56
10- Brendon, Piers.,op,cit, p.44.
11- Hatch, Alden., op,cit,p.39.
12- Miller, Francis T. Eisenhower, Man and Soldier. Philadelphia, John C. Winston Company, 1944, p.52.

13- Miller, Merle. Ike the Soldier: As They Knew Him. Nw York, Putnam's Sons, 1987, p.115.
14- Pickett, William B. Dwight David Eisenhower and American Power. Wheeling, IL, Harlan Davidson, 1995, p. 48
15- Green, John R. Leadership in War and Peace: A Historical Assessment for Today. Maxwell AFB, AL, Air War College, May 1989, p.7.
16- Houghton Mifflin, 1975, p.294.
17- Blumenson, Martin and Stokesbury, James L. Masters of the Art of Command. Boston

(*) دوغلاس ماك ارثر:- (1880-1964)، هو ضابط أمريكي ويعد مـن اشـهر جنرالات الجيش الامريكي ، وهو واحد من خمسة جنرالات في تاريخ الجـيش الامريكي حصلوا على رتبة (فيلد مارشال) وشارك فـي الحـربين العـالميتين الأولى والثانية واصبح الحاكم العسكري لليابـان للفتـرة(1945-1951) كمـا شارك في الحرب الكورية.

18- Miller, Merle, op,cit, p.56.
19- Davis, Kenneth S, op, cit, p.158. DeWeerd Harvey A. Great Soldiers of World War II. New York, Norton, 1944, p.278.
20- Eisenhower, Dwight D, Crusade in Europe, Baltimore, MD, Johns Hopkins University Press, 1997, p.49.
21- Eisenhower, Dwight D, Crusade in Europe, op, cit, p.165.
22- DeWeerd Harvey A, op,cit p.288.
23- Current Biography, 1948. New York, H.W. Wilson, 1949, p.181.
24- Pickett, William B, op,cit, p.194.
25- Vexler, Robert I. Dwight D. Eisenhower, 1890-1969: Chronology- Documents - Bibliographical Aids. Presidential Chronology series. Dobbs Ferry, NY: Oceana Publications, 1970, p.38.
26- Ibid ,p.41.

27- John McCallum. Six Roads From Abilene: Some Personal Recollections of Edgar Eisenhower. Seattle, WA: Wood & Reber, 1960, p.135.
28- Vexler, Robert I, op, cit, p.98.
29- John Mendelsohn, "The Holocaust: Records in the National Archives on the Nazi Persecution of the Jews", Prologue, Spring 1984, Vol. 16, No. 1, pp. 23-39.

(*) النازية: كلمة نازي هي اختصار لحزب العمل القومي الاشتراكي الالماني. واشتهر هذا الحزب اثر انضمام هتلر اليه عام 1920، واصبح مصطلح النازيون وصف لإيديولوجية الحزب المبنية على القهرية والتشدد ضد الاعراق الأخرى وكذلك على علوا أجناس بشرية معينة على أجناس أخرى وبرزت النازية ما بين سنتي (1933-1945) وانتحار بانتحار هتلر وسقوط الحكم النازي في المانيا ..Ar.wikpioedia.org,op.cit

30- Stephen E. Ambrose, Eisenhower and Berlin, 1945: The Decision to Halt at the Elbe (2000), p.55.
31- Ibid,p.69.
32- Brandon, Dorothy Barrett. Mamie Doud Eisenhower: A Portrait of a First Lady. New York: Scribner, 1954, p.196.
33- Stapleton, Margaret L., The Truman and Eisenhower Years: 1945-1960, a Selective Bibliography. Metuchen, NJ: Scarecrow Press, 1973, p.76.
34- Karl, Dennis R. "Drive for Berlin: The Debate Over Strategy in the Invasion of Germany." American History Illustrated 20 (June 1985), p.20.
35- Hansell, Haywood S. Strategic Air War Against Germany and Japan. Washington, Office of Air Force History, 1986, p.221.
36- Pogue, Forrest C. The Supreme Command. United States Army in World War II. Washington, DC: Office of the Chief of Military History, Department of the Army, 1954, p.186.
37- Ibid, p.201.

38- Pogue, Forrest C. The Supreme Command OP,CIT, p.207.
39- ibid, p.213.
40- Karl, Dennis R, op,cit,p.79.
41- Eisenhower, Dwight D, op,cit, p.6.
42- Stapleton, Margaret L, op, cit, p.172.

(*) الحرب الكورية: وهي الحرب التي جرت بين عامي (1950-1953) بين كـل من كوريا الجنوبية مدعومة من قبل أمريكا وحلفائها مع كوريا الشمالية مدعومة من قبل السوفيت والصين ولم تنتهي الحرب إلا بعد مـوت سـتالين ووصـول ايزنهاور للبيت الابيض وتهديده باستخدام الاسلحة النووية ضد الصـين لوقـف الحرب وهكذا توقفت الحرب . Ar.wikpioedia .org,op.cit.

43- Hatch, Alden, General Ike: A Biography of Dwight D. Eisenhower. Rev. and enlarged ed. New York: Holt, 1952, p.144.
44- Pickett, William B, op, cit, p.119.
45- Van Gelder, Lawrence. Ike: A Soldier's Crusade. New York: Universal Publishing and Distribution Corp., 1969, p.85.
46- Eisenhower, Dwight D, op,cit, p.6.
47- Stapleton, Margaret L, op, cit, p.172.
48- Burk, Robert F. Dwight D. Eisenhower, Hero and Politician. Boston, MA, Twayne Publishers, 1986, p. 137.
49- Dockrill, Saki. Eisenhower's New-Look National Security Policy, 1953-1961. New York, St. Martin's Press, 1996, p.257.
50- Ibid, p.266.
51- Ibid, p.267.
52- Hatch, Alden, op, cit, p.146.
53- Ibid.
54- Ewald, William Bragg, Eisenhower the President: Crucial Days, 1951-1960. Englewood Cliffs, NJ, Prentice-Hall, 1981, p.35.
55- Ibid, p.67.

56- Hatch, Alden, op, cit, p.149.
57- Gruber, J. Richard, We like Ike: The Eisenhower Presidency and 1950's America. Wichita, KS, Wichita Art Museum, 1990, p.27.
58- Ewald, William Bragg,op ,cit, p.40.
59- Ibid, p.41.

(*) ريتشارد نيكسون (1913-1994) : هو الرئيس السابع والثلاثــون للولايــات المتحدة الأمريكية وشغل المنصب الرئاسي مــن الســنوات (1969-1974) ، وأضطر للتنحي عن منصبه هذا في بداية ولاية الرئاسة الثانية بسبب فضــيحة ((ووترغيت) تحت وطــأة تهديــد الكــونغرس الامريكــي بأدانتــه وأقالتــه.
Ar.wikpioedia .org,op.cit.

60- Gruber, J. Richard, op, cit, p.29.
61- Ibid, p.31.
62- Hatch, Alden, op, cit, p.153.
63- Gunther, John, Eisenhower, the Man and the Symbol. New York, Harper, 1952, p.80.
64- Ibid, p.81.
65- Ibid, p.83.
66- Gruber, J. Richard, op, cit, p.34.
67- Ibid, p.36.
68- Ewald, William Bragg, op, cit, p.52.
69- Lee, R. Alton, op, cit, p.212.
70- Miller, Francis T, op, cit, p.163.
71- Gruber, J. Richard, op, cit, p.39.
72- Ibid, p.40.
73- Gunther, John, op, cit,p.91.
74- Gruber, J. Richard, op, cit, p.42.
75- Perret, Geoffrey, Eisenhower. New York, Random House, 1999, p.456.

(*) جون فوستر دالاس (1959): ويعد جون فوستر دالاس من ابرز الشخصــيات السياسية التي تولت منصب وزير الخارجية الامريكية إذ كانت ادارة ايزنهــاور تحت سيطرته المباشرة ولا يتخــذ أي قــرار فيهــا داخليــاً أو خارجيــاً دون

استشاراته. وفي بداية حياته كان محامياً وعضواً بارزاً في الحزب الجمهـوري وقد رشحه الحزب لمنصب وزارة الخارجية. Ar.wikpioedia .org,op.cit.

76- Pickett, William B, op, cit, p.131.
77- Perret, Geoffrey, op, cit, p.472..
78- Ibid, p.477.
79- Ibid, p.479.
80- Richardson, Elmo R, The Presidency of Dwight D. Eisenhower. Lawrence, Regents Press of Kansas, 1979, p.100.
81- Perret, Geoffrey, op, cit, p.518.
82- Ibid, p.519.
83- Michael Carver , The War Lords: Military Commanders of the Twentieth Century, Boston, Little Brown, 1976, p.529.
84- Michael Carver , The War Lords: Military Commanders of the Twentieth Century, op, cit, p.532.

(*) أزمة السويس: وحدثت هذه الازمة عقب تأميم الحكومة المصرية لشـركة قنـاة السويس مما اثار غضب الحكومة البريطانية المالكية لمعظم اسهم شـركة قنـاة السويس فادى الى تأمرها مع كل من فرنسا وأسرائيل وشن حرب ضد مصـر في تشرين الأول 1956 عرفت بالعدوان الثلاثي أو حرب السـويس. محمـد حسنين هيكل، خبايا السـويس، دار العصـر الحـديث، بيـروت 1970، ص ص11-87؛ أركسين تشايلدرز، الطريق إلى السويس، ترجمة متـري حمـاد، الدار القومية للنشر، ط1، القاهرة 1962، ص ص34-281.

(**) أزمة هنغاريا: وهي الثورة التي أعلنها الشعب الهنغاري ضد قوات الاحـتلال السوفيتية لكن الثورة أجهضت ولم يساند الثوار نتيجة لظروف العـالم انـذاك وانشغاله بالحرب الباردة. C.D.history of the 20 cutury , 2000:

85- Snead, David L. The Gaither Committee, Eisenhower, and the Cold War. Colombus, Ohio State University Press, 1999, p179.
86- Michael Carver ,op, cit, p.534.

87- Perret, Geoffrey, op, cit, p.523.
88- Crim, Silver C. Prescription for Developing Military Leadership. Maxwell AFB, AL, Air Command and Staff College, June 1968, p.20.
89- Crim, Silver Cop.cit, p.22.
90- Middleton, Drew, Eisenhower Plans Minutely, then Strikes. New York Times Magazine, July 25, 1943.
91- Ibid.
92- Parshall, Gerald, The Father Figure: Dwight Eisenhower. U.S. News & World Report , March 16, 1998.
93- Kinnard, Douglas. President Eisenhower and Strategy Management: A Study in Defense Politics. Lexington, University Press of Kentucky, 1977, p.157.
94- Blumenson, Martin. Eisenhower Then and Now: Fireside Reflections. Parameters Summer 1991.
95- Blumenson, Martin,op.cit.
96- Ibid.
97- Middleton, Drew,op, cit.
98- Richardson, Elmo R,op, cit, p.140.
99- Michael Carver ,op, cit, p.535.
100- Davis, Kenneth S, op, cit,102.
101- Nadich, Judah. Eisenhower and the Jews. New York: Twayne Publishers, 1953,p.54.
102- Ewald, William Bragg,op ,cit, p.71.
103- Ibid, p.74.
104- Maddock, Shane,The Fourth Country Problem: Eisenhower's Nuclear Nonproliferation Policy. Presidential Studies Quarterly, Summer 1998.
105- Ibid.
106- Ibid.
107- Chang, Gordon H. "To the Nuclear Brink: Eisenhower, Dulles, and the Quemoy-Matsu Crisis." International Security (Spring 1988).
108- Dulles, Eleanor Lansing, John Foster Dulles: The Last Year. New York: Harcourt, Brace and World,1963, p.64.

109- Maddock, Shane, op, cit.

110- Beasley, Charles A. Grant and Eisenhower: A Comparative Study of the Soldier Turned Political Leader. Carlisle Barracks, PA, Army War College, March 1991, p.13.

111- Ibid, p.16.

112- Dulles, Eleanor Lansing, op, cit, p.145.

113- Stassen, Harold Edward. Eisenhower: Turning the World Toward Peace. St. Paul;Beasley, Charles A. Grant and Eisenhower: A Comparative Study of the Soldier Turned Political Leader. Carlisle Barracks, PA, Army War College, March 1991, p.13.

114- Ibid, p.16.

115- Dulles, Eleanor Lansing, op, cit, p.145.

116- Stassen, Harold Edward. Eisenhower: Turning the World Toward Peace. St. Paul, MN, Merrill/Magnus Publishing, 1990, p.409.

117- Ibid, p.411.

118- Stassen, Harold Edward, op cit.

119- Dulles, Eleanor Lansing, op, cit, p.148.

الباب الثالث

انتوني إيدن وقضية الوحدة العربية

1941-1945م

الباب الثالث

انتوني إيدن وقضية الوحدة العربية

1941-1945م

على الرغم من إن الدعوة إلى الوحدة العربية كانت مطروحة منذ مدة طويلة إلا إن فكرة قيام تنظيم عربي واحد يجمع شمل حكومات البلاد العربية داخله لم تتبلور أو تتضح معالمها إلا خلال سنوات الحرب العالمية الثانية فقط.(1) وابتداء من عام 1941م أصبحت فكرة الوحدة العربية متصلة بقضية فلسطين وتطوراتها وزيادة هجرة يهود أوروبا الأراضي العربية الفلسطينية.(2) وفي خلال الحرب سعت دول الحلفاء وبالذات بريطانيا إلى محاولة التخفيف من حدة عداء العالم العربي لها والسعي إلى استمالة الدول العربية لجانبها وكسب ودها.(3)

في ذلك الصدد كتب رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل رسالة شخصية في 19 أيار 1941م وبعثها إلى صديقه و وزير خارجية بريطانيا أنتوني إيدن مقترحا لان تبادر بلاده بإصدار مؤيد لقيام الوحدة العربية مستندا بذلك على موقف قوات حكومة فيشي الفرنسية المرابطة في سوريا ولبنان معللا بأن انضمام تلك القوات إلى جانب الحلفاء سيؤجل البت في أزمة الانتداب الفرنسي على هذين البلدين إلى ما بعد الحرب, وان رفضت قوات فيشي الانضمام إلى كفة الحلفاء سيتوجب على بريطانيا الدخول في محادثات ومفاوضات شائكة مع الجانب التركي لضمان تعاونها الفعلي مع الحلفاء بمقابل وعدها بتسهيل ضم الأراضي السورية التي كانت متلهفة على ضمها إليها. ولم تنتهي رسالة تشرشل بما تقدم فقد استرسل باقتراحاته إذ تضمنت كذلك توسيع المملكة العربية السعودية لتضم لها كلا من العراق وشرقي الأردن,(4) إلا إن إيدن وبعد إجراءه جلسات مشاورات عديدة مع طاقم مستشاريه أوضح لرئيسه تعذر تطبيق اقتراحه.

مع ذلك لم يعلق التنقيب والتحليل وتقديم الصياغات والأطروحات البديلة إذ نراه سرعان ما انهمك في 27 أيار 1941م بإعداد مذكرة تقييميه جديدة لرفعها إلى مجلس الوزراء البريطاني وقد عنونة مذكرته باسم –السياسة العربية لبريطانيا–, تناول فيها بإمعان الموضوع المقترح لشكل الاتحاد العربي وصورته المناسبة للظرف الدولي باعتباره الحل المنطقي الأمثل للمشكلة الفلسطينية وبالصورة التي لا تتقاطع مع المصالح والأهداف البريطانية.[5] وأكد انه إن تمت صياغة الاتحاد العربي بهذه الطريقة فلن تعارض بريطانيا قيامه شرط تقديمه للعالم على انه عمل وأسلوب وطريقة عربية! وأفصح إن الوحدة العربية مجرد أمنية فارغة متعذرة التحقيق ومن جانبها سنعمل على استحالة تطبيقها بأي وقت كان, لكننا ومع كل ذلك سندعم نظريا الأماني الوحدوية العربية باعتبارها أكاذيب مرتبة! وافرز اجتماع مجلس الوزراء هذا عن إصداره موافقة جماعية لمقترحات إيدن.[6]

ما تبقى عليه إلا إن يتم إصدار مقترحه بصيغة رسمية فجاءته الفرصة في جلسة مجلس العموم 29 أيار 1941م إذ أعلن فيها (إن لبريطانيا تقاليد طويلة من الصداقة مع العرب وهي صداقة أثبتتها الأفعال لا مجرد الأقوال ولنا بين العرب عدد لا يحصى ممن يتمنون الخير لنا وكذلك الحال فلهم أصدقاء كثيرون هنا, ولقد ذكرت منذ أيام في مجلس العموم إن حكومة جلالته تعطف كثيرا على أماني سوريا في الاستقلال وأود إن اكرر ذلك ألان لكني سأذهب إلى ابعد من ذلك فأقول إن العالم العربي وقد خطى خطوات عظيمة منذ تسوية فرساي 1919م ويرجو كثيرون من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من الوحدة وان العرب ليتطلعون إلى هذا الهدف فلا ينبغي علينا إغفال الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا, ويبدو لي انه من الطبيعي ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية والى حد ما السياسية وان حكومة جلالتها سوف تبذل تأييدها لأية خطة عربية تلقى موافقة عامة.)[7]

من يتأمل في خطابه هذا فهو لن يرى الدول العربية كأطفال صغار في الروضة البريطانية وان السيد البريطاني هو الذي يرجح الحق والأمل التي تصبو له حكوماتنا العربية وأننا كعرب ما كان لنا إلا إن نستجدي الموافقة البريطانية لتحقيق حلمنا وبالصورة التي بغتة سيدتنا الكبرى! وقد فسر تصريحه هذا على انه مواجهة للدعاية الألمانية والايطالية التي ناصرت إلى حد كبير الآمال الوحدوية العربية والتي كانت بنظاميها النازي والفاشي متشابكة مع البريطانيين وغيرهم في لعبة المصالح الدولية الكبرى. كما إن تصريحه برر على قد يكون مجرد محاولة بريطانيا لجمع العرب لصفها في ذلك الحين الذي شهد هزائم انكليزية متتابعة.

وأيا كان الأمر فان تصريحه استقبل بترحيب بالغ من جهات عربية عديدة, وحتى إن – مايلز لامبسون– السفير البريطاني في مصر قد لاحظ حتى الزعماء السياسيين المعادين لبريطانيا رحبوا ومن دون أية تحفظات بتصريح إيدن لذا ابرق السفير لوزيره بمقترح إن يحظى هذا التصريح بأكبر مساحة ممكنة من اهتمامات القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية.[8]

ومع تسارع الإحداث والآثار التي أوقدها تصريحه فلذا ارتأت الحكومة البريطانية إن تؤلف لجنة متفرعة عن وزارة الحرب لتضع الخطوط الأساسية التي يتوجب اتخاذها حيال قضية الوحدة العربية المشتبكة مع تصريحه, فتشكلت اللجنة من وزراء الخارجية والمستعمرات والهند والشرق الأوسط وبرئاسة إيدن واعدت اللجنة تقريرا عن فحوى فكرة قيام الاتحاد العربي في 9 كانون الأول 1941م تضمن عددا من الفوائد والمضار المترتبة على المبادرة البريطانية بهذا الصدد, وابرز فوائده تمحور حول مضاعفة النفوذ البريطاني وتنفيذ الحل البريطاني الأمثل للقضية الفلسطينية, إما مضاره فتجاذبت بين عدم استعداد الرأي العام العربي للاتحاد في ظل صراعاته المتباينة بين الكفتين الهاشمية والسعودية التي ستستدعي التضحية بالمصالح المحلية لحساب المصلحة القومية وما بين إثارة عداء الأسر

الحاكمة وأزمات الانشقاقات الدينية والنزاعات الطائفية, ناهيك عن المعارضة الفرنسية والانتقادات الصهيونية.(9)

ومما لا يجب تفويته إنه قد تم ختم التقرير الحكومي البريطاني بالتوصية بان الوقت لم يحن بعد لصوغ مشروع الاتحاد السياسي العربي بالمفهوم الفعلي, ولذا إمام الحكومة البريطانية إمكانية للتحرك بثلاثة اتجاهات مغايرة وأولها قائم على الاقتناع بان الرغبة العربية في إقامة صلات أوثق بين بلدانها لابد من إن تنمو وتشتد تباعا لذا فمن الأفضل لبريطانيا صياغة المستقبل العربي وبما يتلاءم مع مصالحها. وثانيها الدعوة إلى تشجيع المزيد من الإجراءات الرامية التعاون العربي في ميداني الاقتصاد والثقافة ولابد من وضع مشروع متكامل لهذا التعاون وتوسيع إشكاله. إما ثالث تلك الاتجاهات فحث على إجراء دراسات إستراتيجية حول الاحتياجات البريطانية لفترة ما بعد نهاية الحرب على نحو تتوافق به مع المصالح الفرنسية والطموحات اليهودية والى حد ما مع الآمال العربية.(10)

كانت للحرب العالمية الثانية ظروف وإحداث وتطورات وتقلبات وملابسات متعددة أدت ببريطانيا إلى محاولات كسب العرب لجانبها فتنازلت بالتالي عن سياستها التقليدية إزائهم وجدت في كسب صفوفهم المتعددة في كل فرصة تسنح لها بالعمل على بيان دعمها لهم, ونشهد ذلك بصور مكررة في جلسات مجلس العموم التي كانت تذاع بيانات وتصريحات نوابه عبر الصحف والإذاعات البريطانية كما واصل وزير الخارجية تصريحاته بهذا الشأن إذ أعلن في 24 شباط 1943م (إن الحكومة البريطانية سوف تنظر بكل عطف لأية حركة بين العرب تؤدي إلى وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية غير انه يجب إن تحدث المبادرة من جانب العرب أنفسهم.)(11) إي إن الحكومة البريطانية سوف تشجع أية حركة تنشا بين العرب لتحقيق وحدتهم على إن تبدأ هذه الحركة من ذات الدول والحكام العرب وإذا ما رغبوا في إن يدخلوا في محادثات بهذا الشأن فلن يكون لدى الحكومة البريطانية أية اعتراض شرط إن تبدأ المحادثات العربية بمحادثات سرية عبر القنوات

الدبلوماسية قبل عقد إي مؤتمر عربي لهذا الغرض, مع العلم إن بريطانيا كانت تتحكم بصورة مطلقة بكافة مسالك القنوات الدبلوماسية العربية. ويتجلى من تصريحه هذا إن حكومته عدت كلا من مشروعي الهلال الخصيب*, الذي تقدم به رئيس وزراء العراق نوري السعيد*, وسوريا الكبرى*, الذي تقدم به أمير الأردن الأمير عبد الله*, غير مناسبين. لذلك رأى إيدن إن على بلاده الانتظار لرؤية نتائج المساعي التي ستكون بمجملها تحت أنظاره والتي سيبذلها الزعماء العرب للوصول إلى المشروع المناسب.

تسابقت أراء وأقوال وإعمال القادة العرب تناسقا وتشكلا مع تصريحات إيدن حول المنهج المتطلب وضعه لقيام صورة متقبلة للوحدة العربية, فصرح مصطفى النحاس* رئيس الوزراء المصري في نهاية آذار 1943م في مجلس الشيوخ المصري بأنه (ومنذ إن أعلن السيد إيدن تصريحه الشهير فكرت فيه طويلا ووجدت إن الطريقة المثلى التي يمكن إن توصل إلى غاية مرضية هي إن تتناول الحكومات العربية الرسمية كما ويحسن بالحكومة المصرية إن تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل فتبدأ باستطلاع أراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي إليه من أمال كل على حدتها ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين أرائها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ثم تدعوهم بعد ذلك إلى الوحدة العربية لوجهة متحدة بالفعل فإذا ما تم التفاهم أو كاد وجب إن يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث هذا الموضوع واتخاذ ما يراه مناسبا من القرارات محققا للإغراض التي تنشدها الدول العربية وهذه هي خير السبل للسير في الموضوع مسيرا يكفل له النجاح ويضمن له التوفيق.)[12] وواصل النحاس أقواله بتطابق إعماله معها بقيامه بعقد مفاوضات ثنائية مع قادة الدول العربية المختلفة وتعددت زيارات الزعماء العرب للقاهرة منذ النصف الثاني لعام 1943م.[13]

مع التقدم الكبير لتحول تصريحات إيدن من أقوال إلى إعمال حقيقية على يد النحاس باشا ومن رافقه من القادة العرب المنضويين تحت مظلة النفوذ البريطاني,

ومع كل انشغاله بتطورات وتقلبات إحداث الحرب العالمية الثانية فلم يترك وزير الخارجية البريطانية متابعة تفاصيل الأمر فوصل إلى القاهرة في النصف الثاني لتشرين الأول 1943م ليباحث القادة والزعماء البريطانيين العسكريين والسياسيين بقضية الوحدة العربية المقترحة وبان عليهم مسايرة الفكرة وتوظيفها في قالب يصب في خدمة المصالح البريطانية العليا.[14] وما إن عاد لبلاده حتى أكد في الشهر التالي في الجلسة المنعقدة لمجلس العموم بان رئيس الوزراء العراقي باحث في القاهرة الجانب المصري لتنشيط روح التعاون العام بين البلدان العربية واتفقا على حصر الخلافات العامة وإبراز سبل ووسائل الوفاق.[15]

لم يتوقف الأمر على هذا الحال فبعد أيام من ذلك حين صادف عقد مؤتمر جديد لدول الحلفاء في القاهرة التقى برئيس الوزراء المصري وتباحثا بعمق بالمناهج المطروحة لتحقيق مقترح قيام الوحدة العربية على إن لا تتعارض مع المصالح والأهداف المستقبلية البريطانية في المنطقة العربية, وتناقشا طويلا بنتائج الاجتماعات والمشاورات العربية والتي كانت بريطانيا عبر جواسيسها وعملائها على علم مسبق بمجمل تفاصيلها, ولما طلب النحاس مشاركة الفلسطينيين بالمشاورات الدائرة أوضح إيدن له بشكل معمق المساندة البريطانية للإطماع الصهيونية في فلسطين وان مقترحة قد ينظر به لاحقا, لكنه ارتأى إن يعمد على إن يبرز له ثوابت الرؤيا البريطانية لفكرة مشروع الوحدة العربية والذي يجب إن لا يناقض مطلقا التزامات بعض الدول العربية في معاهداتها الثنائية مع بريطانيا كما لابد لهذا المشروع المقترح إن يحضا بقبول واستحسان محلي وقومي وإقليمي ودولي.[16]

تابع إيدن إطلاق تصريحاته المؤيدة لقيام مقترح مشروع الوحدة العربة بين بينا وأخر في محاولة جادة منه لإجهاض أية محاولة ألمانية لكسب إي تأييد عربي ولرص الصف العربي وبقوة بمحاور الفلك السياسي البريطاني, وفي الوقت ذاته أرسل تعليماته للسفراء البريطانيين في الدول العربية بوجوب رصد المشاورات

والتحركات العربية المتأملة عقد مؤتمر لحياكة المقترح في القاهرة وأوصاهم بضرورة الحرص إن لا يتحول المقترح والمؤتمر إلى مظاهرة معادية للسياسة البريطانية وأهدافها في المنطقة وبعلاقاتها بالحركة الصهيونية. وأشار لهم بأنه لو انعقد هذا المؤتمر فيتطلب بكم حصر نشاطاته في وجوه التعاون الاقتصادي والثقافي, وهو ما سيستطيع العرب انجازه بأتم كفاءة, إما إذا انغمسوا في الجوانب السياسية فلن تكون النتيجة سوى إثارة مسائل خلافية عويصة كالقضية الفلسطينية أو الوجود الفرنسي في بعض الدول العربية مما سيربك بشكل مؤكد السياسة البريطانية المتبعة في المنطقة.[17]

في الوقت الذي اتفقت به اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي الواشك التام عقده في الإسكندرية على نصوص بروتوكول المؤتمر والذي عرف ببروتوكول الإسكندرية ووقعت عليه الوفود العربية في تشرين الأول 1944,[18] وصلت لأيدن ومن إطراف عربية وبريطانية تقارير وتحليلات عدة إثارته بشدة لتصادم نتائج المؤتمر مع المصالح البريطانية العليا في منطقة الشرق الأوسط لأنه لن يؤثر على مكانة بريطانية في بعض البلدان العربية فقط بل سيؤثر بشكل فعلي على تدني المكانة البريطانية في قلب العالم العربي والذي هو مصر بالنسبة لها, وأكد له أيضا السفير البريطاني في القاهرة انه من الممكن إن يكون هذا التضامن العربي موافقا للمصالح البريطانية الأساسية في محوري الاتصالات والتجهيزات النفطية في حالة امتلاك بلاده القدرة الحقيقية لتكييف أوضاعها لتغيرات الأحوال المستجدة بالسرعة الكافية والمطلوبة, ولان ذلك يعد أشبه باستحالة تطبيقه لتؤثر بريطانيا وتدني أوضاعها ومكانتها وضعف قدراتها بسبب تواصل آثار الحرب العالمية الثانية ونتائجها السلبية, فلذا تصور السفير البريطاني إن هناك احتمال ضئيل في قدرة وإمكانية بريطانيا في رص وتكوين شرق أوسط متكاتف وغير منقسم يتعاون معها بصور ودية ومشتركة.[19]

أثارت هذه التقارير والتحليلات لوقائع ونتائج المؤتمر العربي قلقا حقيقيا لدى إيدن مما استوجب إن يقوم بزيارة عاجلة لمصر في نهاية شهر تشرين الثاني 1944م وفور وصوله اجتمع بشكل منفرد بالسفير البريطاني في دار السفارة وبعدها بساعات اجتمع وبصورة منفردة كذلك مع رئيس الوزراء المصري الجديد احمد ماهر* لبحث قضية الجامعة العربية الناشئة وإمام تشككه بالسرعة الخاطفة لانبثاقها وظهورها أكد له ماهر بان دول هذه الجامعة ستحرص على زيادة العم والتعاون مع بريطانيا هدئ قليلا وطالبه بان تعلم الجامعة العربية الحرب بكل دولها على دول المحور.[20] وما إن التقى بالملك فاروق* حتى راح الملك بتأكيد وبإصرار له بان الجامعة العربية ستعمل وبإشكال وسبل عديدة وجدية لزيادة تأصير العلاقات الخاصة التي تربط البلدان العربية ببريطانيا.[21] وجراء كل ما سمعه وشاهده ولمسه وتأكد منه غادر إيدن القاهرة وهو يستشعر الرضاء التام عن مشروع الجامعة العربية الذي اولدته وأفرزته تصريحاته المتكررة في السنوات الثلاث السابقة, لاسيما اثر قناعته بعدم تصادمها مع مشاريع الحلفاء لتنظيم عالم ما بعد نهاية الحرب, كما توقع من هذه الجامعة برفع اكبر الهموم عن الكاهل البريطاني وهو تحمل المسؤولية في إيجاد حل للقضية الفلسطينية التي كانت تتحمل بريطانيا متاعبها ووقوعها في حضن الصنوان العربي وفوقها هوامير المدق الصهيوني. ولا يفوتنا انه أراد من وجود الجامعة العربية أداة لإحباط إي عمل عربي موحد يخدم المصالح العربية ويهدد المصالح البريطانية.

لم يتبقى للظهور الكامل للجامعة العربية إلا إصدار ميثاقها فتكفلت لذلك لجنة فرعية منبثقة من اللجنة التحضيرية في مبنى وزارة الخارجية المصرية في 14 شباط 1945 لوضع مشروع ميثاق القاهرة, ولأكثر من الشهر الذي استغرقته إعمال اللجنة كانت السفارة البريطانية تتابع بأدق دقة مجريات المحادثات والمحاورات والمناقشات والصياغات وتوالي وزير الخارجية البريطانية أولا بأول بطبيعة هذه المشاورات وبكل تفاصيلها وكما بغاها إيدن.[22] على إن بحث قضيتي

فلسطين والدول العربية التي لا زالت تحت الانتدابات أثارت حفيظته وأوصى سفيره بوجوب إعلام العرب المجتمعين بأنه يفض إن يوقع فلسطيني في حقيقته الوظيفية هو لا يشغل إي منصب في ارض الوقع عل ميثاق الجامعة, وأيضا عدم تشجيعه لأية باردة تثار من جرائها مسالة البلدان العربية غير المستقلة وهذا ما هو إلا من صالح العرب أنفسهم لأنه من المهم على الجامعة العربية وهي تقدم نفسها لأول مرة إلى العالم تجنب أية إعمال متسرعة وغير مدروسة يمكن إن تشكك الرأي العام العالمي في حكمة أعضائها.[23]

وان هاتين المسالتين انصاع كذلك فيها المجتمعين لأراء وتعليمات إيدن لما منعوا الممثل الفلسطيني من التوقيع عل ميثاق جامعة الدول العربية, كما أنهم أعلنوا إن الجامعة ستعمل عل تدعيم العلاقات الثقافية والاقتصادية مع شعوب الدول العربية غير المستقلة وبذلك ظهرت إلى الوجود جامعة الدول العربية.[24] وبما تقدم كله فقد كان لتصريح إيدن الأول 29 أيار 1941م وتصريحاته المتعاقبة وتفسيرها بإعماله المتواصلة بتفعيل المضمار العربي كما بغاه الأثر الأكبر في تفعيل المواقف العربية نحو طريق العمل المشترك, ويتضح أيضا الدور المؤثر الذي أداه في قولبة الآمال العربية في الوحدة العربية بقالب المصالح البريطانية.

الهوامش

1- معد مفيد شهاب, جامعة الدول العربية-ميثاقها وانجازاتها-,معهد البحوث والدراسات العربية, القاهرة 1978, ص5.

2- محسن محمد, سنة من عمر مصر, دار المعارف, القاهرة 1982, ص107.

3- احمد فارس عبد المنعم, جامعة الدول العربية 1945-1985,مركز دراسات الوحدة العربية, ط1, بيروت 1986, ص4.

4- المصدر نفسه, ص ص 16-45.

5- F o 371-27043 Arab policy memorandum by the secretary of state on the whole question of our policy in Palestine, Syria and Saudi Arabia, may 27, 1941.

6- احمد الشقيري, الجامعة العربية: كيف تكون جامعة وكيف تصبح عربية, دار بو سلامة, تونس 1979, ص ص 30-31.

7- The times, may 30, 1941; the trines, may 30, 1941.

- مايلز لامبسون دبلوماسى بريطانى ولد بأسكتلندا فى 24 أغسطس 1880، وهو صاحب الواقعة الشهيرة فى عهد الملك فاروق، حين حاصرت قوات الاحتلال البريطانى فى مصر قصر عابدين لإرغامه على تنفيذ رغبة لامبسون بتشكيل وزارة برئاسة النحاس باشا، وكان فاروق آنذاك يؤيد دول المحور فتحين الإنجليز الفرصة للإطاحة به كما أراد الإنجليز رئيس وزراء قوياً له شعبية يسيطر على الأمور فى مصر فى مواجهة تأييد الشارع لدول المحور ورأوا فى النحاس بغيتهم، لكن الملك تعنت وفى صباح 4 فبراير 1942 وجه لامبسون إنذارا للملك، إما القبول بتشكيل النحاس للوزارة أو التنازل عن العرش، فلما تأخر رد الملك حضر لامبسون للقصر بصحبة الجنرال ستون وبعض

الضباط المسلحين وحاصر القصر بالمصفحات ودخل مع «ستون» لغرفة الملك وطلبا منه إما القبول بوزارة النحاس أو التنازل عن العرش وقدما له وثيقة التنازل عن العرش ليوقعها لولا أنقذ أحمد حسنين باشا الموقف ورضخ الملك وتم تشكيل وزارة النحاس، بقى أن نقول إن «لامبسون» درس فى كلية إيتون والتحق بالعمل بوزارة الخارجية فى 1903 وظل يتنقل بين الوظائف الدبلوماسية وقد جاء مفوضا ساميا لمصر والسودان فى الفترة من 1934إلى 1936 ثم سفيرا لبريطانيا فى مصر، إلى أن توفى فى مثل هذا اليوم 18 سبتمبر 1964.

8- سامي حكيم, ميثاق الجامعة العربية, مكتبة الانجلو مصرية, القاهرة 1966, ص ص 18-19.

9- F o 371-32337-463-46-65; ahmed m gomaa, the foundation of the league of arab state; war time and inter-arab politics 1941-1945, longman, London 1977, p.111.

10- F o 371-31337 war cabinet-arab federation report.

11- F o 371- 34955 parliamentary question, greet britin hous of commons, parliamentary debates, 24-2-1943, col, 139.

- وحدة الهلال الخصيب أو وحدة المشرق العربي هي مشروع ظهر في عام 1943 لتحقيق وحدة أقطار المشرق العربي [1].حظيت الفكرة بدعم نوري السعيد الذي قدمها إلى السلطات البريطانية عندما شعر العرب بضعف فرنسا القوة المستعمرة في سوريا التي سعت دومًا إلى الهيمنة على المنطقة وتقسيمها إلى دويلات [2].أيد الشمال السوري الفكرة نظرًا للعلاقات التجارية والاجتماعية التي كانت حلب ومنطقتها تتمتع بها مع العراق. في سورية، كان حزب الشعب داعمًا للفكرة، بينما كانت الكتلة الوطنية وضباط الجيش معارضين لها. كادت الفكرة تنجح تحت حكم الرئيس سامي الحناوي عندما بدأت محادثات للوحدة

بين سوريا والعراق، إلا أن انقلاب أديب الشيشكلي المعارض بقوة للمشروع أجهضه في مهده.المصدر:

د. وميض جمال عمر نظمي وآخرون- التطور السياسي المعاصر في العراق- بغداد- جامعة بغداد- د. س.

- نوري باشا السعيد (1958 - 1888) ، سياسي عراقي شغل منصب رئاسة الوزراء في المملكة العراقية 14 مرة بدآ من وزارة 23 مارس 1930 إلى وزارة 1 مايو .1958 كان نوري السعيد ولم يزل شخصية سياسية كَثُر الجدل والآراء المتضاربة عنه. اضطر إلى الهروب مرتين من العراق بسبب انقلابات حيكت ضده. ولد في بغداد وتخرج من الأكاديمية العسكرية التركية في إسطنبول، خدم في الجيش العثماني وساهم في الثورة العربية وانضم إلى الأمير فيصل في سوريا، وبعد فشل تأسيس مملكة الأمير فيصل في سورياعلى يد الجيش الفرنسي، عاد إلى العراق وساهم في تأسيس المملكة العراقية والجيش العراقي. المصدر:

كمال مظهر أحمد، نوري السعيد، مكتبة اليقضة العربية، بغداد، 1994.

- سورية الطبيعية أو سورية الكبرى) باللاتينية (Syria Salutari : مصطلح معروف أيضاً في السياق التاريخي بلاد الشام، أو سورية كما عُرف في العصر الحديث حتى بداية القرن العشرين، أو الأقطار السورية أو الاتحاد السوري، يدل على الوحدة التاريخية في منطقة المشرق العربي الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي والبحر الأحمر، وتشمل الأراضي التي شكلت المملكة العربية السورية وهي حالياً الأقطار التالية :سورية والأردن ولبنان وفلسطين، بالإضافة إلى العراق والكويت وجزيرة قبرص. تشمل سوريا الكبرى أيضاً أجزاءً ضمت إلى دول مجاورة مثل لواء اسكندرون) حالياً

محافظة هاتاي في تركيا (والأقاليم السورية الشمالية التي ضمت إلى تركيا بعد معاهدة لوزان والأحواز في إيران وشبه جزيرة سيناء في مصر، وجزء من صحراء النفوذ في شمال السعودية.. المنطقة معروفة أيضاً باسم الهلال الخصيب. المصدر:

جان وولف – يقظة العالم العربي – ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين – المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر – بيروت1960

- الأمير عبدالله بن الحسين ولد عبد الله بن الحسين بن علي في مكّة المكرّمة سنة 1882. تعلّم القراءة والكتابة، والقرآن الكريم، ومبادئ العلوم على أيدي نخبة من الشيوخ وعلماء الدين. في عام 1893 ارتحل مع والده الشريف حسين إلى الأستانة حيث تابع دراسته، فتعلّم التركية، ومختلف العلوم العصرية على أيدي معلّمين مختصّين.تقلّد مناصب عدّة، ففي سنة 1909 انتخب نائباً لمكّة في "مجلس المبعوثان"، ثم نائباً لرئيس هذا المجلس.وعند إعلان الثورة العربية الكبرى تولّى قيادة الجيش الشرقي، وهاجم الحامية التركية في مدينة الطائف،واشترك مع والده في إنشاء الحكومة المستقلّة، وتقلّد فيها منصب وزارة الخارجية.في 8 آذار 1920 أعلن المؤتمر الوطني الذي عقده العراقيون المناداة به ملكاً على العراق. وقد شعر أهل شرقي الأردن أنّهم بحاجة إلى زعيم قوي يوحّدهم، فأجمعوا على قيادة عبد الله بن الحسين، واستقبلوه عام 1920 بالترحاب، ومنذ ذلك الحين بدأ بتأسيس الإمارة على أسس متينة، وجمع من حوله نخبة من الرجال من سياسيين، وعلماء، وشعراء، أمثال: فؤاد الخطيب، والشيخ سعيد الكرمي، والشيخ محمد الشنقيطي، وخير الدين الزركلي، وعبد المحسن الكاظمي. وحين وقعت البلاد تحت ظروف سياسية صعبة ناضل الأمير عبد الله والأحرار من أبناء الأردن إلى أن تم نيل الاستقلال عام

1946، ونودي بالملك عبد الله (الأول) بن الحسين ملكاً دستورياً على المملكة الأردنية الهاشمية.المصدر:

المصدر: ظبيان (تيسير): الملك عبد الله كما عرفته، المطبعة الوطنية ومكتبتها، عمّان، 1967.

- مصطفى النحاس أحد ابرز السياسيين المصريين في القرن العشرين. تولي منصب رئيس وزراء مصر ورئيسا لمجلس الامة. ساعد على تأسيس حزب الوفد وعمل زعيماً له من 1927م إلي 1952 عندما تم حل الحزب. ساهم كذلك في تأسيس جامعة الدول العربية. المصدر:
- د.توفيق سلطان البزبكي وآخرون –دراسات في الوطن العربي / الحركات الثورية والسياسية – دار الكتب للطباعة والنشر—الموصل – 1975

12- F o 371-35537 weekly political and economic report, from march 25 to 31, 1943.

13- علاء نورس, الجامعة العربية في تقارير الدبلوماسيين البريطانيين 1944 و 1948, مديرية دار الكتب للطباعة والنشر, الموصل 1989, ص21.

14- British library, Elisabeth j fox, Egypt, the search for indemnity, p.6.

15- F o 371-34963 parliamentary question by m price.

16- Ismay; 413 cores pendency between ismay and Anthony Eden, its earl of Avon, 1943-1965.

17- F o 371-39987, from lord killean- Cairo- to foreign office, 24 jan and 5 feb, 1944.

18- F o 371-39988, from lord killean- Cairo- to foreign office,22 June 1944.

19- F o 371-39991, no 1179, 151-232-44, British embassy, Cairo, 10 October 1944.

- احمد ماهر باشا: رئيس وزراء مصري راحل. والده محمد ماهر باشا وكيل وزارة الحربية ومحافظ القاهرة من أعيان شراكسة مصر. كان رئيس وزراء مصر لمرتين متتاليتين في الفترة من 10 أكتوبر 1944 إلى اغتياله في 24 فبراير1945 ، وهو الأخ الشقيق لعلي ماهر باشا، انتمى لحزب الوفد في بداياته ثم كون كتلة السعديين مع محمود فهمي النقراشي ثم تولى الوزارة سنة 1944 بعد مصطفى النحاس.واغتيل عام 1945. المصدر:

محمد عزيز دروزة – حول الحركة العربية الحديثة– المكتبة العصرية الحديثة– بيروت1949

20- Shone to foreign office no 605, October 22, 1944.

- الملك فاروق: 1920 – 1965 آخر ملوك مملكة مصر والسودان وآخر من حكم مصر من الأسرة العلوية. استمر حكمه مدة سته عشر سنة إلى أن أرغمته ثورة 23 يوليو 1952 على التنازل عن العرش لإبنه الطفل أحمد فؤاد والذي كان عمره حينها ستة شهور والذي ما لبث أن خلع، بتحويل مصر من ملكية إلى جمهورية، وبعد تنازله عن العرش أقام الملك فاروق في منفاه بروما عاصمة إيطاليا وكان يزور منها أحيانا سويسرا وفرنسا، وذلك إلى أن توفي بروما، ودفن في المقبرة الملكية بمسجد الرفاعي بالقاهرة حسب وصيته.المصدر:

^ http://www.faroukmisr.net/farouk-achievements.htm

21- Shone to foreign office no 606, October 22, 1944.

22- F o 371-45737, lord killean British embassy, Cairo to foreign office, march 9 1945.

23- F o 371-45737, lord killean British embassy, Cairo to foreign office, march 10 1945.

24- F o 371-45930 weekly political and economic report, from 15 to 21 march 1945.

الباب الرابع

دوايت أيزنهاور وقضية القومية العربية
1961-1953

الباب الرابع

دوايت أيزنهاور وقضية القومية العربية

1961-1953

خلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الأولى أخذت الولايات المتحدة تطور سياستها الخارجية وتدخل في مجال التنافس على مناطق النفوذ وازداد اهتمامها بالوطن العربي بسبب النفط, ولتقدم الضمان لشركاتها النفطية الاحتكارية وللحصول على الأسواق لمنتجاتها الصناعية, وخلال ذلك قدمت دعوتها لتطبيق سياسة الباب المفتوح[1]. و في الحرب العالمية الثانية فقد اكتسبت المنطقة العربية قدراً أكبر من الأهمية لدى الولايات المتحدة بعد ان ثبت أنها مركز رئيس للمواصلات البرية والجوية فضلاً عن مواردها النفطية الغنية,[2] بناءاً على ذلك أخذت الأمور مساراً جديداً على مسرح الإحداث العالمية إذ بدأت الولايات المتحدة تتطلع لممارسة مسؤوليتها كدولة عظمى، وأخذت الحرب الباردة تدخل في المنطقة العربية فاستبدل الصراع ضد بريطانيا وفرنسا بصراع ضد الشيوعية[3].

لكن من المؤسف ان السياسة الخارجية الأمريكية لم تأخذ بنظر الاعتبار آمال وطموحات الشعب العربي,[4] وما أن بدأت الحرب الباردة حتى كان لدى الولايات المتحدة قناعة رئيسية بأن السيطرة السوفيتية على النفط العربي من شأنه إرباك اقتصاد العالم الرأسمالي,[5] كما أن السيطرة السوفيتية على طرق المواصلات بين الشرق والغرب ستمنع الأمريكان من استغلال المنطقة العربية لإقامة القواعد البحرية والجوية.[6] لقد كان هاجس الولايات المتحدة يملي عليها دائماً باحتمال وصول القوات السوفيتية إلى المنطقة العربية لتدمير القواعد الغربية فيها,[7] لذا كان لابد من التحرك.

إيزنهاور والحركة القومية العربية:

ارتئ إيزنهاور أن يختص له بسياسة خاصة بـه للسـيطرة علـى المنطقـة العربية, تتخذ من زيادة المعونات الاقتصادية والمساعدات العسكرية دعوة تأهـب الولايات المتحدة للسيطرة على هذه المنطقة واتخاذ شعار مساعدة الدول المسـتقلة للحفاظ على استقلالها وتشجيع محاربتها للأفكار الشيوعية.(8)

عنت المنطقة العربية أهمية كبيرة له فقد أكد في تصريح له عام 1951 ذلك بقوله: (أنها أهم منطقة في العالم)(9)، في نفس السنة عاد ليكرر أهميتها بقوله:(إن قبولنا فيها يساعدنا على حفظ استقلال ووحدة الأراضـي لأحـدى أهـم منـاطق العالم)(10). وما أن تولى سدة الحكم في الولايات المتحدة حتى أكـد علـى أهميـة المنطقة العربية لسياسة الولايات المتحدة الأمريكية,(11) وعلى وجوب التعاون مـع الأمم الأخرى على أساس تقـديم المسـاعدات الاقتصـادية والعسـكرية للمنطقـة العربية.(12) إضافة له فقد أكد وزير الخارجية الأمريكية الأهمية الكبيـرة للمنطقـة العربية عندما أشار في إحدى خطبه, بان وقوع هذه المنطقة بأيدي السوفيت يـؤدي الى اخلال تام في موازين القوى العالمية وستؤدي في التالي لسـيطرة الشـيوعيين على طرق الموصلات بين الشرق والغرب فلذلك لابد من السيطرة الغربية الكاملـة على هذه المنطقة.(13) وهكذا أخذت تصريحات المسئولين الأمريكان تتصاعد أكثـر لتعبر عن مدى اهتمامهم بهذه المنطقة الحيوية في العالم.

حاولت ادارته ان تربط الانظمة العربية بأحلاف عسكرية معها مبررة ذلـك بالخطر السوفيتي,(14) الا ان دعواها هذه لم تلق ترحيباً من الدول العربية التي لـم تكن مقتنعة بأن هناك خطراً قادماً من الاتحاد السوفيتي.(15) وكانت ابرز هذه الدول العربية انذاك مصر والتي كان فيها الرئيس جمال عبد الناصـر* متزعمـآ لتيـار عربي جديد عرف بأسم القومية العربية.(16)

ولان مصر تتمتع بموقع استراتيجي وعلاقات واسعة مع الغرب من جهة ولأنها دخلت مع (إسرائيل) بحروب من جهة اخرى لذلك فقد كانت اولى اهدافه ضمها الى سلسلة الاحلاف التي كان يفكر فيها,[17] وهكذا ارسل في بداية حكمه وزير خارجيته (جون فوستر دلاس) الى جمال عبد الناصر لاقناعه بربط مصر بتحالف غربي تقوده الولايات المتحدة وحاول دالاس اقناع عبد الناصر بان الشيوعية هي اكبر تهديد في العالم, وانه لا سبيل بالتغلب عليها الا بإقامة حلف عسكري قوي, لكن جوبه بقناعة مصرية تقول ان الخطر الرئيس عليها وعلى باقي الدول العربية هي (إسرائيل).[18]

والى جانب الخطر الكبير الذي تمثله الشيوعية له, فان القومية العربية تعد بنظره اكثر خطراً من الشيوعية,[19] لأنها في تماس مباشر مع الاهداف والمصالح الاستراتيجية الامريكية في المنطقة العربية,[20] فتظاهر بتأييدها عن طريق الوقوف بحد معقول ولفترة مؤقتة ضد (إسرائيل), عبر الادعاء انه يقف ضد سياستها, كما أستخدم أسلوب السياسة المزدوجة مع الدول العربية في محاولتها لطرح فكرها القومي.[21] ولكي يهدأ من استمرار طلب الدول العربية للأسلحة الأمريكية أعلن استعداده لتقديم كافة المساعدات التي لا تؤثر في التفوق العسكري (الإسرائيلي),[22] وليؤكد حسن نواياه أعلن انه لن يتخلى عن مساعدة الدول العربية التي تقف في وجه الخطر الشيوعي وسيقدم لها المساعدات الاقتصادية والعسكرية.[23] وكل ذلك اراد منه تحويل الأنظار العربية عن (إسرائيل), فضلا عن ربطها بنطاق امني واستراتيجي واحد تكون فيه بلاده هي المنسق لجميع النواحي.[24]

نتيجة لزيادة الدور القومي لجمال عبد الناصر عملت ادارة ايزنهاور على اثارة المشاكل والقلاقل في المنطقة والتشكيك بدوره واتهامه بانه تابع ومنفذ لسياسة الاتحاد السوفيتي في المنطقة وانه بتعامله هذا سيفتح أبواب المنطقة العربية على مصراعيها للشيوعية الدولية.[25] ومن المعروف ان وزير الخارجية دالاس كان هو المسيطر بشكل فعلي وتام على السياسة الخارجية الأمريكية, وكان هذا من كبار

أنصار مدرسة الحرب الباردة كما كان يعتبر مبدأ الاحتـواء أي احتـواء الاتحـاد السوفيتي هو مبدأ مقدس له,[26] وكان يرتعب امام شبح الشيوعية فشكل هذا الشـبح معظم افكاره بشأن الوضع الأمني للولايات المتحدة الأمريكية, وفي ذات الوقت كان كثيرا ما يعبر عن استيائه من الحكام العرب الذين لا يرون العالم كما يراه هو.[27] لكن الحقيقة تكمن في كون دالاس لم يلحظ الاختلافات الهامة بين الشيوعية وبـين القومية العربية واعتبرها هو ورئيسه من مظاهر الانحياز ضد أمريكا في الحـرب الباردة.[28]

على كل حال عمل ايزنهاور على سحب الـدول الاسـتعمارية كبريطانيـا وفرنسا من المنطقة العربية للحلول محلها وضم الدول العربية لصـفه,[29] ومنـذ مطلع عام 1953 عمل على التنسيق مع بريطانيا لانسحابها من مصر على مراحل, وأزاء وساطته الدائمة بين مصر بريطانيا أستطاع ان يصل إلى هدفه فـي الجـلاء البريطاني عن مصر عام 1954 وهكذا بدأت علاقته بمصر تأخذ شكلاً أفضل.[30] فحاولت أدارته أن تربط الانظمة العربية بأحلاف عسكرية معها فأسست لذلك حلف بغداد في شهر شباط 1955،[31] وكان الدافع الاكبر من وراء إنشائه هـو الموقـع الاستراتيجي المتميز للمكان الذي يشغله ولأنها منطقة نفوذ مهمة للقوى العظمى أذ تتركز فيها مصالحة الاقتصادية,[32] كما يمثل الحلف البوابة التي تمكـن الولايـات المتحدة من التوغل إلى المنطقة العربية بأسرها. إلا ان اسلوب ادارته لم يأخذ بنظر الاعتبار تطور الدول العربية وسياسة المنطقة وظروفها حيث كانت هذه الدول ترى ان الخطر الذي يهددها لا يكمن في الاتحاد السوفيتي بـل فـي مكـان آخـر وان السوفيت على العكس من ذلك اعربوا عن استعدادهم لدعم الانظمة العربية عسكرياً واقتصادياً.[33] وهذه الحقائق لم تدخلها أدارته ضمن حساباتها السياسة في المنطقـة وتجاوزتها عندما أرادت ادخال انظمة المنطقة في حلف بغداد فكانـت النتيجـة أن اقتصر الحلف على عضوية الدول الستة فقط.[34]

كان مشروع السد العالي** في (اسوان) حلم مصر الطويل الامد والذي كان يرمي إلى توفير احتياطات مصر من مياه الري وأنتاج الطاقة الكهربائية الضخمة وانجاز مهمة زراعية وصناعية وقد وافقت الولايات المتحدة الامريكية على تمويل انشاء السد, ويذكر ايزنهاور أن السبب الرئيس وراء موافقته على التمويل هو أن يكون أحدى الوجوه الجذابة في السعي لأيجاد طريقة حكمية لمساعدة المصريين وسوف تكون هذه المساعدة تتمتع بشكل بناء وستعمل على المحافظة على النفوذ الامريكي في المنطقة.(35)

لكن في حقيقة الامر تأتي المساعدة الامريكية لتمويل السد العالي لربط عبد الناصر بسياستهم لذا ستكون المساعدة الامريكية حجر صلب في طريق السوفيت نحو عبد الناصر هذا من جهة,(36) من جهة أخرى كان في ذهن ايزنهاور أن يؤدي ذلك إلى تسوية بين مصر و(إسرائيل) وإلى تغيير مصر لسياستها الموالية للكتلة الشرقية حسبما يعتقد ايزنهاور ولذلك وافقت أمريكا على تمويل السد في 16 أيلول 1955.(37) إلا أن الموقف الامريكي بدأ يتغير نحو الحركة القومية التي يتزعمها عبد الناصر في العالم العربي فضلاً عن انحرافه, حسب المفهوم الأمريكي, في تيار عدم الانحياز لأي من الكتلتين لذلك بدأ في مطلع عام 1956 يعد العدة للانسحاب من مساعدة المصريين لتمويل السد.(38) وما ان أتم عبد الناصر أتمام صفقة الأسلحة التشيكية مع السوفيت,(39) حتى رتب الرئيس الأمريكي بالأعداد للانسحاب وقد وجد من وزير خارجيته مشاركة له في شكوكه وقلقه من مستقبل المشروع,(40) ولاسيما ان دالاس لم يكن مقتنعاً بالمشروع منذ البداية لأنه لم يكن مشروعاً شائعاً بين الشعب الامريكي مما يعني ذلك بأنه سيكلفه كل الضغوط الممكنة والتي سيوظفها للحصول على موافقة الكونغرس في المساهمة لتمويل السد,(41) فضلاً عن ذلك كان لدى دالاس قناعة كاملة بأنه العبء الذي سيحمله المشروع على الشعب المصري سيجعل أي دولة تتورط في بناء السد مكروهة من قبل الشعب المصري,(42) كما أنه كان لا يود أن تظهر بلاده جنباً إلى جنب مع بريطانيا في

المنطقة العربية,[43] وكانت اعتراضاته تنتهي بأن يجب على أمريكا الدخول في مساندة المشاريع الاقتصادية طويلة الأمد, ويتحجج بان مشروع السد قصير الأمد.[44] وهكذا اتفق الرئيس الأمريكي ووزير خارجيته على ضرورة الانسحاب من تمويل السد العالي.[45]

يضاف لما تقدم فان الإدارة الأمريكية كانت تتعرض لضغوط داخلية كبيرة من قبل أبرز اللوبيات العاملة في الولايات المتحدة الأمريكية, وهو اللوبي الصهيوني، وكان هذا لا يقبل مطلقاً بقيام أي تطور اقتصادي أو عسكري في أي بلد عربي وقيام أمريكا فوق ذلك بمساندتها, وكان لابد له من بقاء الدول العربية ضعيفة محتاجة ولذلك رفض المشروع.[46] واللوبي الأخر هو لوبي الصين الوطنية، إذ وقف هذا اللوبي بكل قوته ضد مصر وخطط بقوة لسحب المساهمة الأمريكية الخاصة بتمويل السد العالي ويعود لذلك لاعتراف عبد الناصر في 16ايار 1956 بالحكومة الشيوعية في الصين الشعبية.[47] واللوبي الاخير الذي وقف ضد المساهمة الامريكيه بتمويل السد العالي هو لوب منتجي القطن في الولايات المتحدة, اذ كان من المتفق عليه قيام امريكا باستيراد القطن المصري في مقابل مساهمتها لتمويل السد العالي ولان ذلك سيؤدي الى انخفاض سعر القطن الامريكي في الاسواق المحلية الامريكية مما يعني اضرار كبيره بالمصالح الاقتصادية للوبي الخاص بمنتجي القطن بامريكا, لذلك وقف ضد المساهمة الأمريكية لتمويل السد.[48]

ترجمة لما تقدم فقد اصدرت وزارة الخارجية الأمريكية بيان في 19 تموز1956 يعلن سحب الولايات المتحدة عرضها لتمويل السد العالي, بدعوى انه مشروع بالغ الضخامة وانه لا يرتبط بحقوق مصر ومصالحها وحدها في مياه النيل بل يؤثر كذلك في حقوق ومصالح بلاد أخرى تساهم في مياه النيل و منها السودان وإثيوبيا وأوغندا,[49] ومضى البيان في التشكيك بمصر واقتصادها وقدارتها في

تنفيذ هذا المشروع الضخم بعد ان تم ربط أنتجاها من القطن بتسديد صفقة الاسلحة التشيكية.[50]

كان تراجع الولايات المتحدة وحلفائها (بريطانيا والبنك الدولي) عن تمويل مشروع السد العالي محاولة لإفشال النموذج المصري القومي الذي بدا يؤثر في المحيط العربي كما كان نتيجة لرفض مصر الانضواء تحت النفوذ الأمريكي.[51] ويمكن القول أن الولايات المتحدة تعاملت مع أنظمة حصلت على استقلالها السياسي وحملت نزعات وعقائد قومية تحررية وأن معظمها اعتمد منذ منتصف الخمسينيات سياسة عدم الانحياز ولذلك ساهمت الادارة الأمريكية بتطوير لجان حلف بغداد واعلنت الانضمام إلى لجانه المتعددة ومنها (اللجنة العسكرية) وهدفت من ذلك كله مواجهة الحركات القومية وتوطيد مصالحها في المنطقة.[52]

ورغما من الموقف الذي اتخذته الولايات المتحدة أبان العدوان الثلاثي على مصر والمتمثل في رفضها الوسائل المتبعة لحل أزمة السويس إلا أن ذلك لا يعني اختلافها عن بقية الشركاء في اهدافهم المتعلقة بسيطرتهم على المنطقة العربية,[53] لكن الذي زاد في خلافها مع شركائها احتمالات مواجهة الاتحاد السوفيتي لهم في وقت انتشرت فيه سياسة الردع النووي الشامل.[54] ولتبرير موقف ادارة ايزنهاور مما جرى أبان العدوان الثلاثي على مصر,[55] فبرره بقوله: (أن بريطانيا وفرنسا لم تحط ادارته علماً ولم تأخذ رأيها في مسألة أستخدام قوات مسلحة, ولم يحتسبوا بجدية ما قد يحصل إذا ما استخدم الاتحاد السوفيتي سياسة الرد النووي الشامل لمواجهة القوى الاوربية مما سيجبر امريكا على التدخل), وهكذا تصور بأن صفحته بيضاء في العالم العربي وان الأجواء مناسبة له ليحل بلاده بمحل النفوذ البريطاني والفرنسي فيها.[56]

اثر انتهاء العدوان الثلاثي على مصر بدأت مرحلة جديدة من مراحل السياسة الامريكية في المنطقة تمثلت بتوجه أمريكي كبير إلى المنطقة بغية اخضاعها

والسيطرة عليها.[57] فضلاً عن لذلك كان أمام الرئيس أيزنهاور في بداية عام 1957 تقريرين استخباريين قدمها (الن دالاس)[***] مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية,[58] جاء في الأول (بعد دراسة وتحليل تقارير المخابرات بشأن آخر التطورات في المنطقة العربية تبين أن الموقف الذي يواجه الولايات المتحدة في المنطقة هو ظهور فراغ في القوة أثر الانسحاب البريطاني والفرنسي والإسرائيلي) من مصر ولم يبق إلا قوات ونفوذ الرئيس جمال عبد الناصر وهيمنته في المنطقة ويلحظ أنه بدأ يمارس نفوذاً كبيراً على حكومته وقواته العسكرية، فضلاً عن ذلك كانت الوحدات التخريبية منتشرة في سوريا والاردن والسعودية، وفي ذات الوقت يتلقي مساعدات كبيرة من الاتحاد السوفيتي وهو يحاول أحباط السياسة المعادية لطموحاته وذلك لأنه مقتنع بأن السوفيت سيقفون إلى صفه في سياسته في المنطقة العربية وإلى جانب ذلك هو يؤمن بعدم أتخاذ أي اجراء من جانب الولايات المتحدة, وان الوضع السوري حرج فقد يحدث فيها أنقلاب خلال اسابيع ويكون مدعوماً من قبل السوفيت لذا يجب الحذر من الاطاحة بالحكومة السورية كما يجب أن لا نضغط عليها حتى لا تستنجد بالاتحاد السوفيتي لأرسال قوات لحمايتها من (إسرائيل) وتتحول بعد ذلك إلى قاعدة عمليات سوفيتية في المنطقة إلى جانب مصر، ونتيجة لذلك يمكن عد سوريا منطقة فراغ ثاني في قوتها بعد مصر أما الاردن فهو مستهدف).[59] والتقرير الثاني أكد على التركيز لدعم امكانيات وكالة المخابرات المركزية الامريكية في المنطقة العربية، مع تأهب الوكالة للقيام بتنفيذ أي أمر تصدره الادارة الامريكية لمساندة أي تحركات سياسية أو عسكرية لتحقيق المصالح الامريكية في المنطقة العربية.[60]

نتيجة لما تقدم عمل ألادارة الامريكية على القيام بمحاولة لفت أنظار العالم العربي وشغله عن المشاكل الحقيقية التي تواجهه عن طريق طرح المشروع الجديد الذي عرف بأنه خلاصة السياسة الخارجية في عهد ايزنهاور حمل أسم (مبدأ ايزنهاور)[****].[61] وكانت أهداف وبرامج الولايات المتحدة في سياستها الخارجية

المقبلة ناتجة عن هذا المبدأ وأنه وبحكم معاداتها للاتحاد السوفيتي ولخشية استغلال السوفيت كره الدول العربية (لإسرائيل) وموقفها من أحداث تأميم قناة السويس والتدخل في شؤون المنطقة فأرادت بذلك تقليص حجم دور الاتحاد السوفيتي بأي شكل من الأشكال قبل أن يستغل الموقف لصالحه فيقدم لملئ الفراغ المزعوم.[62]

ولكون الغرب بقي يساند الأنظمة المحافظة والمعارضة للحركة القومية العربية الصاعدة بينما جعل السوفيت من أنفسهم أصدقاء للعرب ومدافعين عنهم ومؤيدين لأنظمتهم القومية فهذا ما جلب تحدياً كبيراً للدول الغربية بالمنطقة العربية.[63] وهنا جاءت أعادة الولايات المتحدة تقييمها لأهدافها من خلال برنامج أمريكي لخدمة المصالح القومية الامريكية لذلك كله جاء هذا المبدأ الذي هو في الاصل جزء من سياسة الولايات المتحدة لتقوية العالم ضد الشيوعية. وقد هدفت السياسة الامريكية الخارجية من هذا المبدأ في المنطقة العربية الحصول على قواعد جوية لمواقع استراتيجية لها, كما أرادت الحفاظ على أبار النفط في المنطقة واستمرار تدفقه لها ولحلفائها,[64] يضاف لذلك أنها كانت تنظر بعين الحذر للأحزاب الشيوعية المنتشرة في المنطقة العربية، بغية إحباط كل محاولة تقوم بها لتقوية نفسها أو بهدف الاستيلاء على أنظمة الحكم في البلدان العربية.[65]

في حقيقة الأمر أن إدارة ايزنهاور كانت تؤكد على ضرورة المحافظة على الأنظمة العربية المحلية المؤيدة لها ولاسيما بعض الدول العربية التي حصلت على استقلالها وهي ليست في وضع يسمح لها بتقرير مصيرها بنفسها.[66] وعلى كل حال فقد كان الغرض الحقيقي من وراء طرح مبدأه هو ضرب الدول العربية المنتمية للحياد الايجابي والتي أصبحت في السنوات الأخيرة أكثر تنظيماً، وهو رد فعل عجزت عن القيام به بريطانيا وفرنسا في حرب السويس بهجومها على الحركة القومية العربية. وأن مبدأه هو امتداد لمبدأ ترومان، وهدف إلى نقل التدخل من أوربا إلى المنطقة العربية وجاء ذلك على الرغم من التقرير الذي قدمه دالاس وزير خارجية أمريكا لرئيسه عند زيارته للمنطقة في عام 1953م, والذي أكد فيه

بأن العرب يخشون (أسرائيل) لأنها خطر مباشر عليهم أكثر بكثير مما تحمله الشيوعية من أخطار.[67] إلا أن إلادارة الأمريكية افتكرت على العكس من ذلك تماماً وأرادت عمل ما عجزت الدول الاستعمارية الأخرى عن تحقيقه في حرب السويس.

الجانب الاهم الذي احتواه مبدأه هو التطبيقات الاجهاضية ضد الفكر القومي في المنطقة العربية، فقد واجهت سياسة ايزنهاور في المنطقة بعد طرحه المبدأ ثلاث أزمات رئيسية هي الازمة السياسية الاردنية في نيسان 1957[68]، والازمة السياسية السورية في آب1957[69] والازمة اللبنانية في صيف 1958[70] وكانت تلك القضايا بمثابة أمتحان للمبدأ، وكانت المنطقة العربية محملة بالاحداث مع انتهاء حرب السويس وتصاعد المد القومي والذي لم تستطع أدارة ايزنهاور أدراك الفارق بينه وبين النفوذ الشيوعي في المنطقة.[71]

على العموم لقد كان مبدأه بداية تحول كبير في السياسة الخارجية الامريكية أزاء المنطقة العربية لمواجهة ما يسمى بالخطر الشيوعي لكنه لم يحقق النجاح الذي كانت ترجوه أدارته وذلك لأنه جاء في مرحلة حاسمة من تاريخ المنطقة شهدت فيها تحولات كبرى وتوجهات قومية وقد أدى ذلك إلى فشل الولايات المتحدة في كسب تأييد التيار القومي العربي.[72] وهنا لعلنا نلحظ أن السياسة الامريكية تجاه الفكر القومي العربي في إدارة ايزنهاور كانت استمرار للسياسة الغربية القائمة على السيطرة والعدوان المباشر وغير المباشر ولكن بتحوير الهدف الامريكي الاساس وهو القضاء على الفكر القومي العربي.[73]

وقبيل تسلم الرئيس (جون كنيدي)[*****] مهام الرئاسة الامريكية في 1961/1/20,[74]، قام بزيارة ايزنهاور في البيت الابيض ولدى مناقشتهما السياسة الامريكية الواجب اتباعها في الشرق الاوسط وفي التحديد في المنطقة العربية شبه له العالم العربي بأنه عبارة عن سيارة، المحرك فيها مصر، والوقود هو المملكة

العربية السعودية أما مناطق الخليج والشام والاردن وفلسطين فهي العجلات، والمغرب العربي هو كماليات السيارة الداخلية,[75] والعراق كان صوتها المدوي, لكن المشكلة هي فيمن يتولى قيادة السيارة وآنذاك كان هو عبد الناصر,[76] وأضاف بأنه غير متأكد من مدى قدرة عبد الناصر، على اتقان قيادة العالم العربي وإلى متى سيستمر بالقيادة وإلى أي مدى ستواصل أجزاء السيارة المختلفة انصياعها له!.[77]

الهوامش

1- David W. Lesch, Syria and the United States: Eisenhower's Cold War in the Middle East (Boulder,1992),p,9.
2- ibid,p.10.
3- Adams, Sherman. Firsthand Report: The Story of the Eisenhower Administration. New York: Harper, 1961; Westport, CY: Greenwood Press, 1974,p.15.
4- John F. Riley , American Public Opinion and U.S. Foreign Policy, (Chicago Council on Foreign Relations, 1995), p.41.
5- ibid,p.47.
6- ibid,p.52.
7- David W. Lesch, op, cit,p.16.
8- ibid,p.18.
9- John F. Riley, op, cit,p.68.
10- ibid,p.70.
11- David W. Lesch, op, cit,p.36.
12- Andrew Rathmell, Secret War in the Middle East: The Covert Struggle for Syria, 1949-1961, (London, 1995), 25.
13- Public Papers of the Presidents of the United States, Dwight D. Eisenhower, 1953-1960/61, Washington, D.C., 1953-61,p.135.
14- Andrew Rathmell , op, cit,p.55.
15- ibid,p.60.

(*) جمال عبد الناصر (1918-1970) رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، فجـر مع رفاقه في الجيش ثورة 23 يوليـو 1952 ضـد الملكيـة، ورأس الـوزارة 1954، واصبح رئيساً للجمهورية 1956 ، خاض حربين ضد اسرائيل وحلفائها في 1956 و1967، مات بالنوبة القلبية 1970: - أحمد فـوزي، شخصـيات وتواقيع، الدار العربية، ط1، بغداد 1990 ؛ ص 23 ، فوزي عطوي، جمـال

عبد الناصر قائد التاريخ العربي ، الشركة اللبنانيــة الكتــاب ، ط1 ، بيــروت 1970 ، ص ص 7-111 .

16- Irene L. Gendzier, Notes From the Minefield: United States Intervention in Lebanon and the Middle East, 1945-1958 (New York, 1997),p.44.
17- Public Papers of the Presidents of the United States, op, cit,p.142.
18- ibid,p.164.
19- Benson, Ezra T. Cross Fire: The Eight Years With Eisenhower. Garden City, Doubleday, 1962; Westport, CT: Greenwood Press, 1976,p.312.
20- David W. Lesch, op, cit,p.48.
21- ibid,p.53.
22- Irene L. Gendzier, op, cit,p.61.
23- ibid,p.66.
24- Douglas Little, "His Finest Hour? Eisenhower, Lebanon, and the 1958 Middle East Crisis," Diplomatic History (Winter 1996).

25- د.ك.و.,م 32, 5/ 311,تقرير السفارة الملكية العراقية في واشنطن, بخصوص تطور السياسة الخارجية الامريكيــة, رقــم س/1/4/28, بتاريخ 1954/1/19, ص 47.

26- Branyan, Robert L., and Lawrence H. Larsen, comps. The Eisenhower Administration, 1953 - 1961. A Documentary History. 2 vols. New York: Random House, Greenwood Press, 1977,p.82.
27- ibid,p.85.
28- Douglas Little, op, cit.

29- محمد حسنين هيكل, ملفات السويس, -حرب الثلاثــين ســنة-, ط1, مطابع الأهرام التجارية, القاهرة 1986, ص 231؛ مجلة الابحــاث, ايلول 1954.

30- the new york times, February 17, 1966.
31- David W. Lesch, op, cit,p.71.

32- Beschloss, Michael R, Eisenhower, Khrushchev, and the U-2 Affair. New York: Harper & Row, 1986,p.110.

33- ارسكين تشايلدرز,الحقيقة عن العالم العربي, ترجمة خيـري حمـاد, منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر,بيروت 1960, ص ص 215-218.

(**) السد العالي: هو سد مائي على نهر النيل في جنوب مصر انشأ فـي عهـد جمال عبد الناصر وشارك السوفيت في بنائه, ساعد كثيرٍ في التحكم بتـدفق المياه والتخفيف من اثار فيضان النيل ويستخدم لتوليد الكهرباء و طول السد 3600م وعرضه 980م وارتفاعه 100م :- C.P.history of the 20th op.cit .

34- Drummond, Roscoe, and Gastro Coblenz, Duel at the Brink: John Foster Dulles' Command of American Power. Garden City, NY: Doubleday, 1960,p136.

35- Public Papers of the Presidents of the United States, op, cit,p.314.

36- ميثاق بيات الضيفي, انتوني ايدن والقضية المصرية ,رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة تكريت,2002, ص 143.

37-Drummond, Roscoe, and Gastro Coblenz, op, cit,p.212.

38- انتوني ايدن , مذكرات ايـدن1951-1957, ج3, ترجمـة خيـري حماد, مكتبة الحياة للطباعة والنشر, بيروت ., ص 229.

39- الضيفي, المصدر السابق, ص ص142-146.

40-Drummond, Roscoe, and Gastro Coblenz, op, cit,p.287.

41- ibid,p.292.

42- ibid,p.300.

43- ibid,p.313.

44- r.sr.john, the boss ,London, 1960, pp. 243-244.

45- Bernard Reich, op, cit,p.345.

46-the new York times, February 24, 1966.

47-Erika G. Alin, The United States and Egypt 1952-1967: American Intervention in the Middle East (Lanham, MD, 1994),p.66.

48- r.sr.john, op, cit,p.246.

49- Erika G. Alin, op, cit,p.69.

50- احمد يوسف احمد, المجموعة الكاملة لخطب واحاديث وتصريحات جمال عبد الناصر, ج3 - القسم الاول 1958-1959, مركز دراسات الوحدة العربية, ط1, بيروت 1999 , ص835.

51- Erika G. Alin, op, cit,p.89.

52- Elie Podeh, "The Struggle Over Arab Hegemony After the Suez Crisis," Middle East Studies ,(January 1993).p.57.

53- ibid,p.50.

54- Douglas Little, op, cit,p.162.

55- Erika G. Alin, op, cit,p.81.

56- عهود عباس ابراهيم, مبدا ايزنهاور والسياسة الامريكية تجاه الوطن العربي 1957-1958 , اطروحة دكتوراة غير منشورة مقدمة لكلية الاداب جامعة البصرة, 1997, ص17.

(***) الن دالاس : يعتبر الن دالاس من أهم مؤسسي الجاسوسية الامريكية حيث أوكل أليه انشاء جهاز المخابرات الامريكية المركزية إلا أنه لم ينسجم مع ترومان ولما تولى ايزنهاور الرئاسة عاد الن دالاس رئيساً للوكالة من جديد ودعمه في موقعه هذا اخوه جون فوستر دالاس وزير الخارجية . وأثر فشل عمليه خليج الخنازير عام 1961 عزله جون كندي من مصبه هذا . ويعد الاس من ابرز رؤساء الـ CIA معرفة وخبرة بمنطقة الشرق الاوسط : Ar . wikpedia . org . op . cit .

57- Dulles, Eleanor Lansing, John Foster Dulles: The Last Year. New York: Harcourt, Brace and World, 1963, p.149.

58- ibid,p.156.

59- محمد حسنين هيكل , المصدر السابق , ص 187.

(****) مبدأ ايزنهاور : اطلق هذا المبدأ في 5 كانون الثاني 1957 يفيـد بـأن الولايات المتحدة ستحمل مسؤولية ملئ الفراغ في الشرق الاوسط وذلـك عن طريق تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية . كمـا حـدد المبـدأ امكانية اقرار الرئيس الامريكي تدخل الجيش لحماية أي بلد في المنطقـة يتعرض للخطر الشيوعي دون الرجوع الى الكونغرس:- د.ك و.م 5042 /311 التقرير السياسي السفارة الملكية العراقية - واشنطن رقم 12/1 / 4 بخصوص سياسته امريكا الجديدة تجاه الشرق الاوسط ، ص.118.

60- عهود عباس إبراهيم, المصدر السابق, ص ص28-.211

61- ممدوح محمود منصور, الصراع الأمريكي - السوفيتي في الشـرق الأوسط, مطبعة مدبولي, القاهرة 1995, ص107.

62-r.sr.john, op, cit,p.262.

63- documents of national security council, 1947-1977, u s policy toward the middle east , nsc, 5820/1, copy no 55, university publications of American Frederick, P.898.

64- ibid,p.902.

65- Elie Podeh, op, cit.

66- Dulles, Eleanor Lansing, pp.123-152.

67- Charles H. Johnston, The Brink of Jordan (London, 1972),p.56.

68- عباس إبراهيم , المصدر السابق, ص218.

69- Fahim I. Qubain, Crisis in Lebanon (Washington, D. C., 1961),p. 46.

70- Beschloss, Michael R, op, cit,p.122.

71-Wilbur Crane Eveland, Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East (New York, 1980),pp.53-126.

72- oiwilbur crane Eveland ,op,p.140.

(*****) جون كنيدي (1911-1963) : هو الرئيس (35) للولايـــات المتحـــدة الامريكية تولى الرئاسة خلفاً للرئيس ايزنهاور وشـــغلها مـــابين ســـنتي (1961-1963) مات مقتولاً في 22 تشرين الثاني 1963 فـــي دالاس ولاية تكساس . وقد أثارت قضية مقتلة نقاشات كثيرة اســـتمرت عـــدة سنوات ولا زالت إلى الان:- . C.D history of the 20.op . cit

73- Berger, Earl, usa and Arab-Israeli Relations, 1948-76, London, Routledge K. Paul, 1965,p.72.
74- ibid,p.74.
75- ibid,p.77.
76- ibid,p.79.
77- ibid,pp.80-81.

البَابُ الخَامِسُ

خلاصة تقييمية لتعارض العروبة
مع فكرتي الوحدة العربية
والقومية العربية

البَابُ الخَامِسُ

خلاصة تقييمية لتعارض العروبة مع فكرتي الوحدة العربية والقومية العربية

الإنسان العربي بحقيقته هو إنسان الثقافة العربية لغة وتفكيراً هو الإنسان الذي يعيش الثقافة العربية بما فيها من لغة وعناصر تاريخية مشتركة حصلت وتحصل على أرض عربية مشتركة، أي جمع اللغة مع التاريخ المشترك على أرض مشتركة, وهكذا مثلاً تكونت أمم كثيرة كالأمَّم الأميركية والأوربية والفارسية.

ومرجعية الإنسان العربي هي الانتماء للأمَّة العربية من حيث عناصر تكوينها كلغة وثقافة مع تاريخ مشترك على أرض مشتركة، حتى لو لم يدرك هذا الإنسان العربي عناصر تكوين أمَّته .لكن هناك فوارق بين العروبة واللغة العربية وبين العروبة والقومية وبين العروبة والوحدة العربية.

واللغة العربية هي لغة الثقافة العربية فكل إنسان عربي، هو عربي اللسان لكن ليس كل إنسان عربي هو عروبي. فالعروبي هو من يجمع بين لغة الثقافة العربية وبين المضمون الحضاري لها وبين التسليم بالانتماء لأمَّة واحدة قائمة الآن على أوطان متعددة. وهنا نؤكد إن الكل العربي هو مكون أصلاً من أجزاء مترابطة ومتكاملة. فالعروبة لا تلغي ولا تتناقض مع الروابط العائلية أو القبلية أو الوطنية، بل هي تحددها في إطار علاقة الجزء مع الكل.

وان ارتكزنا بحوارنا, عن مدى الفرق بين العروبة والفكرة القومية العربية, حول سؤال مركزي جوابه بأتم الوضوح وفحوى سؤالنا هو: هل صمد المشروع القومي العربي؟ القومية تعبير يسمح بالتقلص بما هو أقل من معنى العروبة. والقومية تعبير اختلطت فيه مضامين أخرى في التاريخ الحديث والمعاصر،

مضامين عنصرية أو مضامين معادية للدين أحياناً.فتعبير القومية تَشَوّه استعماله وتطبيقه وممارسته من قبل الكثير من الحركات السياسية المعاصرة, بينما العروبة تحدد نفسها بنفسها، فالعروبة تشمل خصوصيتها وعمومية تعريف القومية، في حين أن استخدام تعبير القومية الآن لا يؤدي غرض معنى العروبة نفسها فالقول أنا عروبي يعني أموراً فكرية وثقافية محددة، بينما القول أنا "قومي عربي" يحتاج الآن إلى الكثير من التوضيح والتفسير.

أن المشروع القومي العربي في مصر والعراق، يتحملان المواقع البائسة التي وصل إليها القوميون في المنطقة. إن المشروع القومي قد فقد في حقيقته القدرة على التأثير في المجتمع العربي، لارتباطه بالسلطة ولم يستطع القوميون أن يبنوا مشروعاً قومياً ينسجم مع مقتضيات العصر، ولم يكن دورهم فعليا مؤثراً في ساحة الحياة العربية، لدرجة أن أعداء ومنتقدي المشروع يواصلون تسجيل ملاحظاتهم عليه، باعتباره مشروع سلطة دون الالتفات إلى أن شريحة من رجال المشروع القومي هم الضحايا الفعليين لهذه السلطة القومية.

وحتى المشروع القومي الخارج على نطاق وحصرية الواقع السلطوي، ما استطاع أن يشكل كتلة متقاربة، فبقي متمزقا متشظياً قابلاً للانشطار الذاتي إمام كل عقبة. واثر خفوت المشروع القومي وخروج الكثير من تحت مظلته، فلنتفرغ لمراجعته، ونشر إلى سلبياته، ولا يستلزم هذا انكبابنا كالبقية للخروج من حقيقة اصولنا وجذورنا العربية لمجاملات الآخرين من هم اقتنعوا أو ارتأوا لسبب وأخر ارتداء قناع ديني أو علماني جديد بل لنضع مشروعاً عربياً بديلاً، لأننا بضرورة تاريخية حقيقية لإجراء إصلاحات أساسية في بنية المشروع القومي. وهنا سنلحظ أن الصوت العربي يضعف أمام قوة أصوات التيارات السياسية الأخرى، وهذه التيارات بأصوليتها لا تتصل بوشيجة ود مع المشروع القومي العربي. وليس لك أن تجبر الإسلامي للإقرار بالتقسيم القومي بدلاً من التقسيم ألأممي للإسلام، وهذا

هو ذات المواقف العلمانية. وليس لك أن تفرض عليهم قوميتك العربية، ولا أن تتوقع منه الرضوخ الفعلي لمسمياتك.

الضرورة التاريخية تستلزم منا مهارة عقلية وفكرية وسياسية وإعلامية، باستبدال المصطلح القومي الذي تناهضه هذه التيارات، لتعارضه مع إيديولوجياتها بمصطلح العربي لتكون العروبة بدلاً من القومية فهل يمكن للإسلاميين أن يجردونا من عروبتنا إذا ما جاز لهم أن يجردوا أنفسهم (شرعاً) من القومية, وهل سنترك الفرصة للعلمانيين بانتقاد العروبة إلى ما يماثل فرصتنا بانتقاد القومية!

إن العروبة كالاتركة والبلقنة والامركة والفرسنة والاكردة، هوية وثقافة وانتماء، فلابد هنا من قيامنا وبصورة قاطعة بفصل التوأم الوهمي الماسخ للدمج الخاطئ لفكرة القومية العربية بالواقع العروبي, وهاتين أزمة وقضية ليس من الممكن أبدا ربطهما مع بعض فهما لا ينتميان إلى بعضهما، وإنهما ليسا وحدا واحداً كما هما وللأسف عالقين بستايل مفهومنا الكلاسيكي بشكل خاطئ أشعناه بفكر سياسي أحمق و اجحمناه بأخطاء أعمق واجذر!!.

المشروع القومي لابد من غربلته وعتقه عن العروبة، وتقديمه بصيغة مشروع عربي تحتل فيه العروبة وليست القومية العربية مكانها في الحياة السياسية إلى جانب التيارات السياسية المتعددة، ومن هنا لن يقتدر منهم أي احد المساس بالعروبة ولأنه وكما ورد في القرآن الكريم قال سبحانه وتعالى (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) فنحن ما اخترتنا العروبة، وإنما اختارها الله لنا كما اختار الامركة والاوربة والفرسنة والاتركة والكرودة.

وأن الإرادة الإلهية لا تستبدل برغبة البشر، ولا أحد له الحق مطلقا بنزعنا من العروبة، لأنه سيمس الإرادة الإلهية، كما لا يجوز تحويل الفارسي والتركي إلى عربي لذات السبب. ومن هنا يستبان لنا أن التعريب حرام إذا أجبر عليه الإنسان، إلا إذا غيّر الناس انتسابهم واستبدلوا هذا الانتساب بإرادتهم، أو نشئوا في مجتمعات

غير مجتمعاتهم وانسجموا مع أصولها باستبدالهم لأصولهم! وهذا الأمر الخارق هو كثيرا ما يتعدى طاقات البشر. وبينما العروبة هوّية واصل وحضارة وثقافة واقعية لكن القومية عنصرية، لأنها مشروع سياسي اثبت دمويته وفشله، وحتى إن مصطلح القومية هو بحقيقته مكتسب إذ ولا وجود له في قواميس العربية وثقافتنا، وإنما انتقل إلينا حديثاً حتى أن رجال عصر النهضة العربية كانوا يطلقون عليه الجنسية العربية.

أن القومية بواقعيته مشروع لا ديني خالص لا يحتمل الاقتراب من الأديان، فيما العروبة قد تكون يهودية او مسيحية أو إسلامية. وكان النبي محمد عليه وعلى اله وصحبه أفضل الصلاة والسلام عربياً ولم يكن قومياً بنبوته وأكد إن العروبة هي اجل واقدر من القومية وأفصح بأن العروبة ما هي إلا عروبة اللسان. على هذه الأسس، لابد لنا أن نحتفظ بوجودنا العربي، في حياة وان كانت غير عربية، بقطع الطرق على أعداء ومحاربي العروبة والذي يشتمونها ويهجونها بحجة أنها القومية، ومن شتم العروبة يشتم محمداً, صلوات ربي وسلامه عليه, ويشتم القرآن الكريم ويشتم بيت النبوة والصحابة الإجلاء الكرام، كما يشتم امرؤ القيس والأعشى وكل إعلامنا, أي انه يشتم أمة وهم يعتقدون أنهم يشتمون ساطع ألحصري أو ميشيل عفلق، ولا ينبغي لنا أن نمنح هؤلاء فرصة التعريض بأمتنا باستبدالها بالقومية العربية.

إننا بذلك سنضع حداً للتجاوزات القذرة ضد العروبة، ونمنع التشهير بها لأنها نظاماً أصيلا بالفكر والإنسانية والتعاون والحضارة والرحمة والأديان فهي منبع ومرتكز التوحيد والنبوة. إن العروبة هي بكثير اقدر وأكبر من المشروع القومي الذي يمكن اختزاله بعدد من الكتب والكتابات بتحديد أهدافه وتسمية رجاله وأفكاره, وعمر المشروع القومي العربي لا يساوي واحداً بالمائة من عمر العروبة الذي يمتد في جذور الماضي السحيق، ويمر على الآلاف القرون والأجيال بصور أنبياء أو

كتب سماوية مقدسة أو بمعلقات جاهلية أو بمدارس وجامعات والآلاف المؤلفات والمدونات بأفاق الفكر والفلسفة والعلم والنحو واللغة.

لقد أخرج المشروع القومي العربي عواصم العروبة بالشام والحجاز وبغداد واستبدلهن بـ(بروسيا وروما) مثلما استبدل ابن خلدون والشافعي وابن تيمية والبصري والمتنبي والمعري بكافور وغاريبالدي وماتزيني. إن المشروع القومي تغريبي غارق في التغريب، والعروبة أمة شرقية عالمها شرقي وتراثها شرقي.

وان اتفقنا حول العروبة والوحدة العربية فالدعوة إلى العروبة هي دعوة فكرية وثقافية، بينما الدعوة إلى الوحدة العربية هي دعوة حركية وسياسية. والانتماء إلى العروبة يعني التسليم بالانتماء إلى أمَّة واحدة يجب أن تُعبّر عن نفسها بشكل من أشكال التكامل والاتحاد بين أبنائها, لكن الوحدة قد تتحقق بحكم الفرض والقوة أو بحكم المصالح المشتركة من دون أن تكون الشعوب منتمية بالضرورة إلى أمَّة واحدة. فالوحدة ليست معياراً لوجود العروبة بينما العروبة تقتضي حتماً التعبير السياسي عن وجودها بشكل وحدوي أو إتحادي تكاملي.

إن سمة العروبة موجودة كلغة وثقافة قبل وجود الإسلام، لكنها كانت محصورة بالقبائل العربية وبمواقع جغرافية محددة، بينما العروبة كهوية ثقافية وحضارية بدأت مع ظهور الإسلام ومع ارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم وبنشر الدعوة بواسطة رواد عرب. فالعروبة ما هي إلا إضافة حضارية مميزة أوجدها الإسلام كلغة نتيجة ارتباطها بالوعاء الثقافي العربي ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

وهكذا أصبحت العروبة الحضارية هي الثقافة العربية ذات المضمون الحضاري، وبالتالي خرجت الثقافة العربية من دائرة العنصر القبلي أو العرقي ومن حدود الجغرافية الصغيرة إلى دائرة تتسع في تعريفها لكل من يندمج في الثقافة العربية بغض النظر عن أصوله العرقية أو عن طائفته أو مذهبه.

فالإنسان العربي لا يتحدد فقط من خلال كونه يتحدث بالعربية، لأن الحديث بأي لغة لا يعني بالضرورة حالة انتماء لأمَّة اللغة نفسها وان العروبة هي حالة انتماء إلى مضمون حضاري مميز تقوم على قاعدة الثقافة العربية، وهي رغم توفر عناصر تكوين الأمَّة فيها، فإنها لم ولربما لن تصل إلى حالة الانتماء إلى كيان سياسي موحَّد، ولم يحصل وفيما يبدو لن يحصل ذلك تاريخياً على أساس مرجعية العروبة فقط.

أنتوني إيدن وقضية السويس 1956

جاء يوم 23 يوليو/تموز 1952م بتحرير الإرادة المصرية من الجبروت البريطاني والذي قاد إلى تنظيم البيت المصري من الداخل, لامر الذي اتاح الفرصة لهم لمواجهة بريطانيا في موضوع الجلاء البريطاني عن مصر وبشكل اشد الحاحا عما مضى ولا سيما إن الموقف المصري كان مندفعا بالوقود الثوري.

إيدن كان يرى إن التعامل مع هؤلاء الزعماء الشباب الجدد في الذين اعتلوا سدة القيادة المصرية لهو كثيرا أفضل لأنه وهو السياسي المخضرم لم يكن يأتي في باله مطلقا انه سيواجه أية صعوبة تذكر في التغلب على هؤلاء القادة العسكريين الذين لم يكونوا يملكوا أية خبرات في عالم السياسة وحيلها. ومنذ مطلع عام 1953م بدء بوضع عرض مقترح متضمن للمتطلبات البريطانية المتجاوبة مع الطلبات المصرية لتقديمه بصيغة مشروع محكم للحكومة المصرية وبذات الوقت فأنه لم يفت عليه بيان الدور الذي يأمل من الولايات المتحدة الأمريكية القيام به.

ما إن أتم توقيع والبدء بتنفيذ معاهدة الجلاء حتى قرر إن يقوم بزيارة مصر كي يختبر بنفسه حقيقة نوايا الرئيس المصري الجديد جمال عبد الناصر, فوصلها في 20 شباط 1955 وكانت زيارته هذه هي الأولى له منذ ما يقرب من إحدى عشر عام. والتقى بعبد الناصر بعدة جلسات استعرضا فيها تاريخ وحاضر العلاقات بين البلدين وأوضح إيدن له بأن فرشاته السياسية كان لها الدور الابرز في رسم التاريخ المصري خلال سنوات العقدين الماضيين ولذا فأنه يأمل كثيرا إن لا يكون لتغير الحال السياسي في الداخل المصري اثرا يصب في الجانب السيئ العلاقات البريطانية المصرية التي لابد إن تتواصل بنائها بصيغ موثوقة بها. وفي أخر جلساتهما دخلا بنقاشات مطولة حول الخطر الذي يحيط بالعالم العربي والذي اكد إيدن بأنه ليس إلا الاحزاب الافكار والاحلام السوفيتية بينما عبد الناصر كان موقنا بأن الاخطار التي تواجه العرب هي ليست إلا (إسرائيل). وانساقا بحواراتهما إلى

احتمالات الصدام الدولي والاحلاف العسكرية ولأنه لم يجد تجاوبا من عبد الناصر حولها سارع بالحصول منه على ضمانات بعدم مهاجمته لحلف بغداد اعلاميا بمقابل إلا تعمل بريطانيا إلى العمل لدعودة بلدان عربية أخرى للانضمام إلى الحلف. وقد استخلص في نفسه بأن الغيرة تؤدي دورها في رفضه لحلف انضمت له بغداد لأن الأمل الضائع في زعامة العالم العربي هي الرجح الفاصل بذلك.

حين تولى إيدن منصب رئيس الوزراء البريطاني في 6 نيسان 1955م أكد للمصريين بأن سياسته الخارجية ستبقى على حالها ومن دون تغييرات تذكر, في الوقت ذاته شكل عبد الناصر لجنة متخصصة لدراسة الوقائع القادمة والنتائج والآثار المترتبة على تولي إيدن لمنصب رئاسة الحكومة وخلصت اللجنة على إن توليه سيكون بمثابة صفعة لمستقبل السياسات البريطانية لأنه سيهدف للقيام بدور مهم في الشرق الأوسط لاهتمامه الشخصي بهذه المنطقة وبأنه سيكون وزير خارجية نفسه, وسيزج بكل ثقله السياسي ليتحرك بعدة اتجاهات للتأثير على القرار المصري بغية اضعافه وعزله وافراغه من كل معنى. لذا تبلور شعور قوي لدى المصريين في أنهم سيواجهون وقتا عصيبا مع إيدن.

وحان لفصل الربيع السياسي إن ينتهي بين بريطانيا ومصر اثر حصول الأخيرة على الأسلحة من المعسكر الاشتراكي والتي اشتهرت تلك الصفقة بأسم (صفقة الأسلحة التشيكية), وبسببها أحس إيدن بمرارة كبيرة وشعر إن عبد الناصر خدعة وسخر منه مما كان له اثر بارز في بداية تبلور موقفه السلبي تجاه الزعيم المصري فقام بالرد على ذلك بتجهيز (إسرائيل) بطائرات ميتور البريطانية.

ومما أساء لعلاقة الطرفين بشكل اشد هو حنث إيدن لما وعد به عبد الناصر بتجميد لمساعيه لاقناع الدول العربية للانضمام إلى حلف بغداد حين اوفد رئيس أركان الجيش البريطاني إلى الأردن لإجراء مباحثات بغية ضمها إلى الحلفومما دفعه لهذا هي قناعته بأن ذلك هو السبيل الوحيد لإبعاد الأردن عن محور

القاهرة- دمشق- الرياض. جاء هذا في الوقت ذاته الذي بدا عبد الناصر بتلقي تقارير تفيد بأن إيدن يتأرجح في اتخاذ قراراته وانه يتخبط في اتجاهاته السياسية ومن الممكن إقناعه بأمر ما اليوم ثم إقناعه بعكسه تماما في اليوم التالي, مما افقده الثقة السياسية والشخصية به وتيقن بأنه غير جدير بالاحترام.

أصبح من الواضح جدا إن إيدن كان يواجه صعوبات كبيرة في حكمه لبريطانيا لا سيما بعد تعثر سياستيه الداخلية والخارجية, ففي الأولى تباعد مواليه وانصاره من حوله اثر اعلانه التقشف الاقتصاديوعجزه عن الحد من عجز ماليته, وفي الأخرى فشل في سياسته في قبرص وفشل باحتواء والسيطرة على الحكومة المصرية وكذلك فشل بالحوز على ثقة حزبه فواجه من افراده معارضة شديدة وانتقادات حادة لسياساته الداخلية والخارجية ووصل الأمر بهم إلى مطالبته بالتخلي عن منصبه لرجل اكفأ منه ووصفوه بأنه رجل من قش.

غير إن هذا ليس الأمر كله, ففي الوقت الذي اخذ يتردد به في لندن إن السياسة البريطانية في الشرق الأوسط تمر بحالات عصيبة لدرجة تعرض مصالحها إلى مخاطر لا ضرورة لها لذا لابد من إعادة تقييمها, وفي وسط ذلك كله جاء طرد قائد القوات الأردنية كلوب باشا البريطاني الأصل والجنسية ليحدث ضجة غاية كبيرة ومتمادية في بريطانيا وليشعل انتقادات نارية عنيفة بوجه رئيس الوزراء الذي لم يكن تعوزه مشكلة جديدة. الذي كان يعتزم ضم الأردن لحلف بغداد لأنه كان موقنا بأن ضمها للحلف سيحفظ استقلالها ويؤمن ابتعادها عن مصر ويحمي مصالح بريطانيا من التفكك والانهيار.

طرد كلوب باشا من الأردن قضى على جميع اماله في ضمها إلى الحلف فكانت هذه المسألة هي البداية الحقيقية لأزمة السويس والتحول الفعلي والكبير الذي زاد من تصميمه للقضاء على عبد الناصر إذ رأى إن ما حدث ما كان إلا نهاية لشهر العسل الخاطف مع مصر لاعتباره انه هو المسؤول عن كل ما يثار بوجهه

فقرر عدم مسامحته مطلقا. وبعد دراسته للموقف الجديد عزم علـــى الــرد علـــى خصمه المصري بالتركيز على ثلاثة محاور اولها وثانيها توطيد علاقته باسرائيل وفرنسا التي تعتبر عبد الناصر عدوها الأول لتموينه ثوار الجزائر, وثالثها واخيرها العمل على إقناع واشنطن بالانسحاب من تمويل السد العالي في اسوان المصـــرية والدخول كعضو كامل في حلف بغداد.

بمرور الوقت تراجعت شعبيته بشكل كبير في داخـــل بريطانيـــا وخارجهـــا وعلقت الصحف البريطانية على ذلك (بأن هذا لم يحدث فـــي بلادهـــم منـــذ أيـــام تشامبرلين بطل سياسة التهدئة مع دول المحور فهل إيدن هو بطل سياسة التهدئـــة مع عبد الناصر!!) هنا وصل إلى قناعة وايقين مطلق إن الرئيس المصـــري هـــو وراء كل الاخفاقات السياسية له في الشرق الأوسط, فأيقن إن الخلاص منه المفتاح لحل كل مشاكله في داخل بريطانيا وخارجها.

ضاعفت نوباته المرضية التي كانت كثيرا تناوبه وتراوده خطر عبد الناصر فتصوره بأنه ليس إلا هتلر العربي!! فشكل لجنة من موظفين خبراء استرتيجيين في وزارة الخارجية برئاسة وزير الدولة للشؤون الخارجية أنتوني ناتنج, لتبني السياسة الواجب اتخاذها ضد عبد الناصر وأكد لناتنج انه لا يبغي أية مهادنة مـــع الـــرئيس المصري إنما يريد تدميره حتى لو تطلب الأمر خـــراب مصـــر بالكامـــل. وزادت وساوسه اككثر فأمر وزارة الخارجية البريطانية إن تعمل على ازاحته مهما كامـــت الكلفة. وفي الوقت ذاته رئيس إدارة المخابرات البريطانية mi-6 جـــون ســـينكلر, وطلب إليه إن تتولى ادارته تصفية عبد الناصر بأية صورة وفـــي اســـرع وقـــت ممكن.

لتعميق علاقات مع فرنسا لمواجهة عدوهما المشترك في الشرق الأوسط قدم دعوة لرئيس الوزراء الفرنسي غي موليه لزيارة بريطلنيا وسرعان ما لباها فوصل لندن في 12 آذار 1956م واجريا محادثات مشـــتركة استخلصـــاها بـــأن عـــدوهم

الاساسي في الشرق الأوسط هو عبد الناصر الممالئ للسوفيت وانه إن ترك حـــرا فأن نفوذ بلديهما ستعصف به الايام. وما إن أتم احد محاور سياسته تجاه مصر في كسب الفرنسيين لصفه حتى أراد ضمان المحور الأخر وهو كسب الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانبه, غير أنها لم تكن ترى في عبد الناصر أية اخطار قــد تهـدد مصالحها, كما أنها لم تكن ترغب في إن ترى إمام جماهير الشرق الأوســط إلـــى جانب بريطانيا صاحبة الماضي الاستعماري.

اشتهرت السياسات الأمريكية عبر التاريخ بعدم الثبات على موقف واحد لان مواقفها تتساق تلقائيا مع مصالحها, فتغير الموقف الأمريكي بصورة واضحة بعــد 16 أيار 1956م حينما اعترفت الحكومة المصرية بجمهورية الصين الشعبية, لــذا جرب بحثل عملية اسقاط أو اغتيال عبد الناصر بين الطــرفين ورســميا جــرت مشاورات واجتماعات عدة بين ادارتي المخابرات البريطانية mi-6 والمخــابرات الأمريكية cia لا سيما بعد النجاح الكبير للمخابرات الأمريكية في اسقاط حكومــة محمد مصدق الايرانية عام 1953م. لكن إيران الشاه كانت مغايرة لمصر الثــورة وبالأخص بعد أصبح الجيش المصري مواليا بصورة مطلقة لحكومته. وقد شــرع في تبادل وجهات النظر مع الأمريكان فوجد من وزارة خارجيتهم مشاركة له فــي شكوكه وقلق من مشروع تمويل السد العالي وخاصة إن دالاس كان غيــر مقتنــع بالمشروع منذ البداية.

افصح إيدن لوزير الخارجية الأمريكية عن رغبته في شن الحرب على مصر للاطاحة برئيسها ونظامه على انه عاد واعترف انه لا يملك مبررا قويا للقيام بهــذا العمل, ومع ضعف مبرراته عمد إلى تصعيد حربه الاعلامية ضد سياسة وشخص عبد الناصر وتفرغت هيئات المحطات الاذاعية البريطانية والصــحف البريطانيــة الموالية له لهذا الشأن. ومن كل ما تقدم يتضح بصورة جلية انه وبحلول شهر تموز 1956م كان إيدن قد وطد نفسه للاطاحة بعبد الناصر ولم يكن آنــذاك إلا بأنتظــار السبب الفعلي المبرر للتحرك والانطلاق نحو هدفه المنشود.

استمرت المشاورات بين أعضاء الوزارة البريطانية والتي كتان لأيدن الدور الابرز في رسم قناعاتهم المتوافقة معه فخلصت الحكومتين الأمريكية والبريطانية في منتصف شهر تموز إلى النتيجة القائلة بتعذر مضيها في تمويل مشروع السد لأنه يكلفها مبالغ باهضة ولا يتناسب مع رؤياها في التطبيق العملي ومن ثم تبعهما بالانسحاب من التمويل مجلس الامن الدولي 24 تموز 1956م.

وضع عبد الناصر بذلك في موقف شائكا غاية في الصعوبة واثر دراسته الموقف الناشيء دراسة سريعة قرر تأميم قناة السويس لأنها من جهة تعد مطلبا وطنيا ومن جهة أخرى ستسد وارداته الحاجات المادية لبناء السد العالي, لكنه حاول تقدير وتوقع المواقف الدولية التي ستترتب عل اعلانه لتأميم القناة فوجد إن الدول ستخضع مواقفها لتباينات الحرب الواردة بشقيه الغربي والشرقي وعول على المساندة السوفيتية ولم يخشى من الأمريكان الذين لن يقدموا على مساندة دول الاستعمار القديم لذا كانت كل خشيته من الموقف البريطاني وبالأخص من موقف رئيس وزرائها, وبمساندة مستشاريه وضع تقريرا حمل عنوان (لو كنت مكان إيدن).

وضع عبد الناصر تقريرين حمل الاثنان (لو كنت بمكان إيدن) الأول في تاريخ 20 تموز 1956م والثاني بعده بثلاثة الايام, واهم ما جاء في تقريره الأول:

1- سوف يتصرف بعنف.
2- سيتخذ عنفه شكل عمل عسكري, وسيتخذ ذلك في محاولة تغطية فشله داخليل وخارجيا.
3- سيتخذ اقصى درجة من العنف ستصل إلى 80%.
4- سيهيئ لذلك قواته المتواجدة في مياه البحر المتوسط وعدن وقبرص ومالطا.

5- سيستبعد (إسرائيل) من أية مشاركة على الرغم من أنها ستلح بقوة لكنه سيرفض تماما لأنها يبغي إن يكون تدخله بصورة اوربية خالصة.

6- من المرجح انه سيعمل على اشراك فرنسا بتدخله العسكري, أو لعل فرنسا هي التي ستشرك نفسها من دون تنتظر دعوته لها غير إن مشاركة فرنسا أمر قاطع.

7- سيتدخل بشكل فوري ومباشر إذ لابد إن يكون تدخله كرد فعل مباشر والا إن تأخر فسيضاعف الضغط الدولي عليه ويمنعه من التدخل.

وفي تقريره الثاني الذي حمل ذات العنوان فأن عبد الناصر وضعه على ضوء المعلومات التي حددت قوة بريطانيا العسكرية الجاهزة للتدخل وان أهم ما احتواه:

1- سيقرر استخدام واستعمال القوة العسكرية المفرطة ضد مصر.

2- هو ألان لا يمتلك قوة عسكرية قادرة وكافية لا ستعمالها بكفاءة لتحقق عملها بسرعة ونجاح.

3- إن أقدم على تدخله الطائش السريع فلدينا القدرة للصمود بوجهه ولربما هزيمته أيضا.

4- إن انتظر ريثما تتم تجهيزات قواته فسيستحيل سياسيا عليه التدخل إذ سيفوت اوانه.

5- إن ركب راسه وتدخل عسكريا في غياب الجو المناسب والملائم فأنه سيهزم نفسه بنفسه.

وخرج عبد الناصر من تقريريه بأستنتاج انه سيكون امنا من الغزو إن استطاع الصمود بعد التأميم لشهر واحد فقط, وذلك لأن مصر ستستطيع عند ذلك

بأقامتها الدليل على أنها تنوي ابقاء القناة مفتوحة وادارتها إدارة سليمة بالسيطرة على الدعم الدولي والراي العام العالمي وكسبهما إلى جانبها ويكون إيدن آنذاك قد اضاع فرصته نهائيا.

في ليلة 26 تموز 1956م كان إيدن في داوننج ستريت 10 وسط حفل عشاء رسمي اقامه على شرف ملك العراق فيصل الثاني ومرافقيه, وفي حواره معهم كان شديد المرارة والحقد على شخص عبد الناصر وسياساته الغير مقنعه وكان مقتنعا بأن غريمه انتهى فعليا ولابد من البحث لإيجاد بديلا كفوء فور ازاحته من الحكم. وفي وسط حوارهم دخلت عيه سكرتيرته واعطته قصاصة صغيرة من الورق ولما قرأها تغيرت ملامحه وابلغ ضيوفه إن عبد الناصر الاحمق أعلن تأميم قناة السويس.

منذ اللحظة الأولى لبداية الأزمة كان واقعا تحت تأثير نفسي حاد كل الحد ومزيج من العصبية والقلق والخوف والتردد والتلهف والتحدي مما اظهر إن موقفه الشخصي من غريمه المصري كفرد كان متسلطا عليه كل التسلط إلى الحد الذي اظهره حتى من على شاشة التلفاز بصورة الحقد البالغ لدرجة إن ذلك بان حتى في اوتاره الصوتية وهو يخطب أو يعلن إي شيء يتعلق بعبد الناصر كما اتضح لكل من كان يعرفه آنذاك انه ينظر إلى الأزمة بمنظار عاطفي شخصي بغاية الخطورة وكأنه يخوض صراعا داخليا مع رجل يقيم في القاهرة.

في ذات ليلة التأميم عقد مجلس الوزراء البريطاني جلسة طارئة اشترك فيها جنرالات عسكريين هم رؤساء هيئة الاركان العسكرية البريطانية وفيها أيضا حضر السفيرين الأمريكي والفرنسي وكانت جلسة عاصفة أكد فيها إيدن لا يجب السماح لعبد الناصر أبدا الهرب بغنيمته, ووافق المجلس اثر اصرار رئيس الوزراء عدم اللجوء لمجلس الامن الدولي لمخاطر ذلك إذ سيثمر عن تعطيل الرد المناسب وتعليقه وتجميده, وخرجت الجلسة بخلاصة هي أنه ومهما كانت حجج القانون

الدولي فأن حكومات الغرب لابد إن تبحث الإجراءات الاقتصادية والسياسية والعسكرية ضد مصر كي تضمن سلامة قناة السويس وحرية المرور فيها وبرسوم معقولة.

لم ينم إيدن ففي الليلة ذاتها قرر إن ترفع القوات البريطانية درجة استعدادها في البحر المتوسط للدرجة الحمراء القصوى, كما ابرق للسفير البريطاني في مصر لأعلام المرشدين الدوليين العاملين في شركة قناة السويس انه لا يستطيع إن ينصحهم رغم الضغوطات المصرية بمواصلة العمل حتى وان تعرضوا للسجن لأن بقائهم في اداء عملهم معناه الرضوخ لأبتزاز عبد الناصر. كما طالب سفيره بأخطار الرعايا البريطانيين في مصر بما يحتمل حدوثه من تطورات, وبوجوب تقديم وتسليم الحكومة المصرية مذكرة احتجاج رسمية على الاستيلاء المجحف على شركة قناة السويس والقناة ذاتها. وفي ساعات الفجر الأولى منع خروج اربع مدمرات كانت مصر قد اشترتها من بريطانيا.

شهدت ساعات الصباح الأولى استعراضه مجددا الموقف كلية مع زملائه في الوزارة ورؤساء أركان الحرب وخلص معهم انه ليس بالامكان أبدا السماح لعبد الناصر بالاشراف على القناة بهذه الطريقة الماكرة كما رأى ومتحديا حسب مفهومه الاتفاقات الدولية. كما أكد انه إذا ما ظفرت مصر بالاشراف الكامل على القناة فستضحى أوربا عمليا تحت سطورة رجل واحد, ولابد لاصدقاء (إسرائيل) إن يتوقعوا إن صمتنا ألان فسيأتي الدور على (إسرائيل) المجاورة لمصر لتقع تحت الاذلال ومعاداة السامية. وحين قدم له رؤساء الاركان مقترحاتهم التي يقتضي الاعداد لها وتنفيذها ما بين ستة إلى ثمانية اسابيع على الاقل انزعج كثيرا. اردف ذلك بأن منح لبنك انكلترا والبنوك التجارية البريطانية صلاحية تجميد جميع الحسابات الاسترلينية الجارية لمصر في بريطانيا كما وقد فرضض الحماية الكاملة على كل أموال وودائع وموجودات شركة قناة السويس خشية من تلاعب مصر بها.

مجلس العموم ناقش الأمر بجلسة غاية في الصخب والانفعال طولـب فيهـا رئيس الوزراء باتخاذ اقصى ما يستطيع للحد مـن إطـراف مصـر, وتلازمـت الصحافة البريطانية بالانطلاق معه بحملة كبيرة وحادة اشتركت فيها معا الصـحف المحافظة والعمالية ومستقة مطالبة بعمل حاسم واذلال المعتدي. فأنساق الجميع في ذلك التيار الجارف مؤيدا لأيدن ومعارضة بشدة لعبد الناصـر. وللاسـتفادة مـن الاجواء الداخلية المعارضة للفعل المصري والمتحدة ولأول مرة في عهد وزارتـه شكل لجنة وزارية سداسية عرفت تحت اسم -لجنة مصـر- وبرئاسـته شخصـيا للسيطرة والتعامل مع مستجدات الموقف المتلاحقة.

لضمان الحصول على الدعم الأمريكي في تشابك القضايا الدولية فيما عرف الحرب الباردة قام بكتابة رسالة للرئيس الأمريكي دوايت إيزنهاور وبعثها في يـوم 27 تموز 1956م أوضح له فبها رؤياه ووجهة نظره المتمثلة بأنـه لـن يسـتطع احتمال السماح للمعتوه المصري بالاستيلاء على إدارة القناة متحديا مجمل الاتفاقات الدولية وأكد بأن المصالح الأمريكية متداخلة بالمصالح البريطانية وان اغلبية الدول البحرية ستأيد سياستيهما في هذه الأزمة الشائكةو وان هما لم يتحركا ألان فنفوذهما في الشرق الأوسط قارب على الانهيار وستسوء سـمعتهما ولـن تصـلحا ثانيـة. وأفصح له بنتهى الوضوح انه لن يسمح لمصر بمصادرة القناة لـذا هـو بأنتظـار وزير الخارجية الأمريكية أو مساعده للاتفاق حول اتخاذ القرار الحاسم.

تسلرعت التطورات والاحداث واستلزمت فرق سياسية ودبلوماسية وعسكرية متفرغة لمعاجتها إذ وفي 29 تموز 1956م وصل لندن كلا من وزيـر الخارجيـة الفرنسي كريستيان بينو ومساعد وزير الخارجية الأمريكي روبرت مورفي, وبينما كانت تعليمات الحكومة الفرنسية لبينو تقضي بتشجيع إيدن إلى اقصى حـد ممكـن لشن حرب سريعا على مصر, كانت تعليمات مورفي مناقضة لذلك تماما إذ قضت بتعطيل الوصول إلى أية قرارات لحين حضور وزير الخارجية الأمريكية إلى لندن والذي كان متغيبا في مهمة عاجلة في دول امريكا اللاتينية, وتبليغ رئيس الـوزراء

البريطاني براي الرئيس إيزنهاور الذي كان لا يرى داعيا لهذه الهستريا المفتعلة المنطلقة من التصرفات البريطانية بصحفها ووكالات انبائها واذاعاتها الممتلئة بموجات الاخبار والخطط والنوايا العسكرية البريطانية مما سيؤثر سلبا على إي مشروع قرار لحل الأزمة. غضب إيدن كثيرا لمجريات الإحداث التي لا تتناسب مع مبتغاه إذ كان متحفزا جدا لاتخاذ إجراء عسكري سريع وفوري إلا إن المتطلبات العسكرية لقيام حملة مضمونة النتائج اجبرته على تحمل انتظار دالاس, ولعزمه التام على القيام بحملة حتى لو مانع الأمريكان لذا لم يقضي وقته بانتظار وزير الخارجية الأمريكية ويده على خده بل قام بدعوةالاستراتيجي العسكري الكبير -ليدل هارت- مطالبا إياه بوضع خطط عسكرية عاجلة للاستيلاء على القناة والاطاحة يعبد الناصر.

تشكلت لجنة ثلاثية اثر وصول وزير الخارجية الأمريكية إلى لندن, وتألفت من دالاس ولويد وبينو لدراسة المسألة, واصدرت هذه اللجنة بيانا مشتركا عدت فيه عمل مصر سيئا لأنه ينطوي على أكثر بكثير من مجرد عمل بسيط من إعمال التأميم لأنه يترجم إلى قيام شعب واحد بالاستيلاء من جانب واحد وبطريقة تعسفية على وكالة دولية لها مسؤولياتها في المحافظة على قناة السويس وادارتها ولتؤمن لكل الدول الوقعة على معاهدة 1888م والدول الأخرى المنتفعه بها حرية استخدام هذا الممر المائي الدولي الذي يتوقف عليه اقتصاد وتجارة وسلامة الكثير من دول العالم. وكان لدالاس عدة اجتماعات منفردة مع إيدن فيها ابلغه اقتراح إيزنهاور بالدعوة إلى مؤتمر للدول البحرية لكنه لم يقتنع بالفكرة لخشيته من إن تؤدي إلى اطالة الوقت وتمييع المواقف وادخال إطراف أخرى قد لا يكون من المستحسن ادخالها في نطاق مؤتمر يعالج هكذا أزمة حساسة. ولرغبة منه في اغراءه واقناعه اقترح دالاس إن يكون مكان انعقاد المؤتمر المقترح في لندن وان تكون الدول الغربية الثلاث- الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا- هي الداعية له والمشرفة على قرارته, فأقتنع برأيه وتقرر دعوة 24 دولة بحرية لحضوره في

16 أب 1956م لمناقشة فحوى الفعل المصري وإقامة وكالة دولية للاشراف على القناة بأعتبارها ممر عالمي لا يجوز لدولة واحدة التحكم فيه.

مع إن الأزمة كانت تلف لتقدم بأطار القانون الدولي الذي تحتكم به الدول الاعضاء في الأمم المتحدة إلى مجلس الامن الدولي والمحكمة الدولية والهيئات الامية الأخرى إلا إن مجلس الوزراء البريطاني حسمها مقدما لأجله حينما عقد جلسة طارئة في 2 أب 1956م واقر بأن القوة ستستخدم إذا فشلت المفاوضات وفي خلال مدة محسوبة. ولاكمال التجهيزات والاستراتيجيات العسكرية للتدخل البريطاني في مصر قدمت لرئيس الوزراء خطط عسكرية عدة فأنتقى احدها واسماها -موسكتير, الفارس- وكلف بها الجنرال ستو كويل ليقود عملياتها على إن يكون يوم التنفيذ لا يتعدى 15 أيلول 1956م وقد عرضها على رئيس وزراء فرنسا فوافق عليها بعد إجراء بعض التعديلات بها.

كان امامه اسبوعين قبيل انعقاد مؤتمر لندن البحري لذا لم يضع الوقت بأستثمار واستغلال أية فرصة سنحت امامه للتنديد بعلانية بعبد الناصر والتشكيك في الوعد الذي قطعه على نفسه بتعويض مساهمي شركة قناة السويس في الوقت ذاته الذي سيقوم به ببناء السد العالي وتطوير القناة من دخل الشركة المؤمنة, وذهب في تشويه صورة عبد الناصر إلى اقصى حد لدرجة وصفه إياه بأنه مجرد لعبة بيد الاتحاد السوفيتي كما كان موسوليني لعبة بيد أدولف هتلر وشبه كتابه -فلسفة الثورة- بكتاب هتلر -كفاحي-, وفي برامج الإذاعة والتلفاز كثيرا ما ظهر معلنا انه لن يتفاوض مع عبد الناصر لأنه غريم شيوعي وهو ليس له إي نزاع مع مصر بانما نزاعه معه.

لم يستمر الربيع السياسي في داخل بريطانيا إلا ما يقرب من اسبوعين بعد تأميم مصر لشركة قناة السويس فقد سحب حزب العمال تأييده لحكومة المحافظين وطالبها بأن لا تتدخل عسكريا في مصر إلا عن طريق الأمم المتحدة, واتسم موقف

زعماءه بالنقد الشديد والعوة إلى المظاهرات الاحتجاجية ضد سياسة الحكومة وتزعمها أيضا.غير إن إيدن اعتاد على مواجهة الهتافات العدائية ضده ولم يبالي لتحلاك الاحزاب المعارضة له وركز جهوده على التحضير للمؤتمر البحري الوشيك الانعقاد, وكان يستهدف منه نتيجتين ارتكزت الأولى على الوصول إلى اتفاق بالاغلبية العظمى للاشراف الدولي على القناة بينما تلخصت النتيجة الثانية بتقرير وتحديد الخطوات اللازمة لتنفيذ القرار.

من يتأمل بموقفه هذا سيرى انه تنازل عن حصة بريطانيا الرئيسة في اسهم شركة قناة السويس واستبدلها بتشكيل شركة جديدة لإدارة القناة إي الشركة البريطانية تأمل إن تقووم محلها شركة دولية وهو على أتم العلم بأن ذلك لن يفيد بلاده عمليا لكنه لم يكن يبغي إلا اذلال وانهاء وتسقيط غريمه المصري عبد الناصر. لذلك كان على أتم الدراية بحراجة موقفه نتيجة لضخامة المسؤولية الملقاة على عاتقه وجسامة الموقف المليء بالاراء والتوجهات والأهداف والغايات المتناقضة.

عقد المؤتمر في العاصمة البريطانية في قاعات قصر لانكاستر هاوس في 16 أب 1956م وافتتحه إيدن بخطاب وصف فيه الظروف التي أدت لتجمعهم هذا بأنها من اخطر ما واجهته البشرية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومذكرا بما للدول الممثلة فيه من مصالح عظيمة الشأن إما بسبب سفنها الماخرة لمجرى القناة أو بسبب تجارتها التي تمر عبرها مؤكدا المصالح المشتركة التي تربط الجميع وهي حرصهم إن لا تمس الاتفاقات الدولية بسوء. وقد بذل في جلسات المؤتمر وغرف الحوار الخاصة جهودا استثنائية مضنية أثمرت بنهاية المؤتمر عن اقراره تشكيل هيئة إدارة دولية ايسير وتصريف شؤون القناة, ولغرض قرار المؤتمر على السلطات المصرية شكلت لجنة خماسة برئاسة –روبرت منزيس– رئيس وزراء استراليا.

حطت بعثة منزيس الأراضي المصرية, في 2 ايلول1956م, وفي اليوم ذاته خاطب ايدن الرئيس إيزنهاور معبرا له عن قلق حكومته من طموح عبد الناصـــر وانه متيقن إن استيلائه على القناة هو الخطوة الأولى وفق منهج مدروس مقارنا ما بين اساليبه والاساليب السوفيتية ومشبه للحالة السياسية السائدة في العلاقات الدولية التي امتازت بالصبر وافساح المجال وانعدام الضغط بأنها الحالة ذاتها التي ســادت في التعامل مع أدولف هتلر قبيل عام 1939م. منهيا رسالته بأدراكه التام لأعبــاء التدخل العسكري والاخطار المتعلقة به والمصاحبه له لكنها ستكون نهايـــة كريهـــة لتاريخ بلادهم الطويل إن قبلوا انهيارهم على درجات منحدرة!

لأنه كان حازما وبشكل قاطع على القيام بتدخل عسكري لذا استبطئ انتظار نتائج بعثة منزيس لتيقنه أيضا من إن غريمه المصري سيمتنع عن قبول مقترحات المؤتمر فلذلك استغل الوقت للتحضير لعملية اللجوء إلى الأمم المتحدة والذي كـــان مؤمنا بمواجهة فيها لفيتو سوفيتي المؤيد للموقف المصري مما ســيعطيه المبـــرر اللازم لاستعمال القوة ويظهره للرأي العام والخاص انه استنفذ كافة السبل الســلمية ولم يتبقى امامه إلا السبيل العسكري. وفعلا وكما كان قد توقع فقــد عـــادت بعثـــة منزيس فاشلة من مصر فلذلك كله تركزت الأمور على نتيجة عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة, ولما قدم مسودة مقترح المشروع للجانبين الفرنسي والأمريكـــي فوافقها الأول بينما رفض الثاني تأييدها وتقـــدم دالاس وبالاتفـــاق مـــع إيزنـهـــاور مشروع بديل تلخص بتأليف -نادي المنتفعين بالقنـــاة- ليتـــولى مهمـــة اســـتئجار المرشدين وتنظيم الملاحة وادارة القناة, أراد الأمريكان بمشـــروعهم هـــذا ســـحب البلاط من تحت اقدام إيدن بتشكيل جمعية دولية لها سفن عند كل طرف من طرفي القناة لمواجهة أية مشكلات تطرأ على المرور عبر القناة.

نتيجة للمشروع الأمريكي دخل إيدن مع دالاس في مشاورات هاتفية طويلـــة ومتعددة ومع إن الفكرة كانت مشوشة إمام عينيه لكنه سيوافق عليها إذا ما امالـــت الأمريكان إلى جانبه وفهم من كلام الوزير الأمريكي انه إن رفض المصريين هذه

الاقتراحات فليس إمام دول الحلفاء -الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وفرنسا- إلا حمل راية القوة والقمع ليعبرون بها القناة محاطين بالسفن الحربية من كل جانب! ويبدو للمراقب انه قرأ من كلام دالاس أكثر كثيرا مما يحتمل لا سيما إن اسطول الغزو التابع له كان مستعدا, لذا اتفق مع الفرنسيين على قبول المقترح الأمريكي في 11 أيلول 1956م وبهذا تم تأجيل تنفيذ خطة موسكتير قبيل أربعة أيام من موعدها السابق.

لمناقشة تطورات الإحداث الجارية عقد مجلس العموم جلسة في 12 أيلول 1956م استضاف بها رئيس الوزراء الذي أعلن فيه عن تشكيل هيئة دولية من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية ستتولى الأشراف على المرور في قناة السويس وقبض رسوم المرور ويقوم مرشدوها بمرافقة السفن التي تجتاز القناة, وإذا رفضت مصر الاعتراف بهذه الهيئة تكون قد نقضت معاهدة عام 1888م وعندئذ ستلجأ الدول الثلاثة إما إلى الأمم المتحدة أو إلى اتخاذ تدابير أخرى لغرض ضمان حقوقها. وطالب المجلس بمنحه سلطات استثنائية لاستعمال القوة عند الحاجة لكنه جوبه بمعارضة شدديدة من العمال والمحافضين وصلت إلى مطالبته بتقديم استقالته الفورية, وقد فوجئ كثيرا بموقف المجلس المتزمت إمام طلباته التي عدها اساسية وضرورية وان التاريخ سيثبت جدواها. غير إن المفاجأة الحقيقية له كانت مباشرة في اليوم التالي حينما أعلن وزير الخارجية الأمريكية انه لم يكن يتصور بتاتا إن تشق جمعية المنتفعين طريقها في القناة بالمدافع, مما شكل له صدمة كبيرة افرطت بأستنزاف الكثير من مناصريه.

إمام هذه التقلبات والمفاجئات السياسية قام بتنفيذ مخطط أخر فرتب ليظهر مصر بمظهر العاجزة عن تيسير الملاحة عبر القناة بأن يمتنع المرشدين المتواجدين في الخارج لقضاء اجازاتهم عن العودة إلى إعمالهم, واتفق مع شركة قناة السويس السابقة بعرض المال على المرشدين الموجودين في مصر كي ينسحبوا وتبليغهم بكل وضوح أنهم سيفقدون تقاعدهم إن استمروا في عملهم مع المصريين, فأنصاعوا

له وغادروا إلى بلادهم في ليلة 14 أيلول 1956م ماعدا احد عشر مرشدا يونانيا رفضت حكومتهم إن تسمح لهم بالاستقالة. ورتب أيضا إن تشن الصحافة الغربية حملة من المقالات والدراسات والبحوث المطولة لبيان الخبرة الفنية التي يتطلب توافرها لارشاد السفن عبر ممرات القناة, وان ترفض الصحف الغربية الموالية نشر ما يصدر من اعلانات مصريا طلبا للمرشدين من الخارج.

بدا إن العمل في القناة سيتعطل وبهذا تكون ذريعة البدء بالعمل العسكري في متناول يديه حتى إن شركات التأمين البريطانية أيدت هذه المخاوف برفعها رسوم التأمين ضد مخاطر الحرب على السفن العاملة بالتجارة مع مصر أو السفن المارة عبر قناة السويس بنسبة 250%. إلا إن اماله خابت في إن يؤدي سحب المرشدين الاجانب إلى إحداث فوضى يتخذها ذريعة للتدخل العسكري في القناة اثر تبين إن الوظفين والعمال المصريين كانوا مهيئين لإدارة القناة كما أنهم اثبتوا قدرتهم الجيدة في معالجة حالات ازدحام السفن فكانوا نعم المرشدين. وحين تأكد العالم من ذلك اعادت شركات التأمين البريطانية رسوم التأمين لمعدلاتها العادية, مما إربك خططه ومبتغاه كثيرا وزاد في حنقه وعصبيته المفرطة.

لمناقشة ودراسة المقترح الأمريكي المتضمن إنشاء جمعية للمنتفعين بقناة السويس التئمت الدول المشتركة في المؤتمر الأول في مؤتمر ثاني في 19 أيلول 1956م ومع إن إيدن التقى بشكل مكثف بالوفود المشاركة فيه بجلسات رسمية وغيير رسمية مستخدما كل خبرته واغرائاته وضغوطه الدبلوماسية لكسب الدول المشاركة إلى جانبه واثمرت لقائاته ومشاوراته معهم في موافقة المؤتمر على اقرار إنشاء جمعية المنتفعين وفتح حساب مصرفي خاص بها وبأن يتم عقد توافق بينها وبين شركة قناة السويس السابقة لاقناع مالكي شركات السفن إلى الجمعية فقط. لذا اتفق مع رئيس الوزراء الفرنسي إن يتم فتح المقر الرئيسي لجمعية المنتفعين في لندن في الأول من تشرين الأول 1956م وان يتقدما بطلب عقد جلسة طارئة

لمجلس الامن لمناقشة الموقف المصري من قرارات المؤتمر في الثالث من تشرين الأول لوضع الحكومة المصرية بين شقي الرحى.

كعادته التي انتهجها وبالاتفاق مع رئيسه كرر دالاس سحب الدفة من يد إيدن عندما صرح تصريحا قلب الموازين البريطانية-الفرنسية رئسا على عقب حيث ومباشرة بعد نهاية المؤتمر بيوم واحد أكد إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستخدم القوة مطلقا في معالجة قضية السويس, مما اسقط من يده استخدام مقاومة مصر لجمعية المنتفعين لجر رجل الولايات المتحدة الأمريكية في المشاركة بعمل عسكري ضد مصر فرفع وبالاتفاق مع موليه النزاع إلى الأمم المتحدة لادراج القضية في جدول اعمالها.

ولحاجته لأية جهة تساندة اخذ وقتا للتفكير مجددا في المقترح المكرر الذي قدمه له موليه بالحصول على مساندة (إسرائيل) بقيامها بهجوم على مصر كحجة وذريعة للبدء بتطبيق خطة موسكتير ضد مصر. ولم تكن تلك المرة الأولى التي يطرح بها الفرنسيين فكرة اشتراك (إسرائيل) في عمل عدائي ضد مصر على إيدن, فقد طرحوها في بداية أزمة السويس على الفور إلا انه رفضها لأن تصميمه كان منصبا في وجوب خروج بريطانيا من قضية السويس وهي تملك نفوذا اكبر من النفوذ الذي كان لها في المنطقة العربية لا اقل منه فكان على معرفة تامة في إن بريطانيا لو بدت تعمل متعاونة مع (إسرائيل) بأي سبيل من السبل فأنها ستضيع على نفسها كل شيء.

لكن موقفه تغير بعد كم المفاجأت والمواقف المتشددة التي واجهت مبتغاه فتحول إلى اشد أنصار (إسرائيل) تأييدا له وقد أدت إلى هذا التحول عدة عوامل اتت بمقدمتها كراهيته المتسلطة عليه لعبد الناصر مما أدى بحكم الطبيعة المباشرة إلى الاهتمام ومناصرة جميع خصومه, وحالته العقلية والنفسية التي أدت إلى تقليده لزعيمة تشرشل في مناصرة (إسرائيل) واظهار العطف عليه, وتأثره بالضغط

الفرنسي فضلا عن تاريخ العلاقة بين بريطانيا والحركة الصهيونية يؤكد حقيقة الدعم التي حضيت به من الساسة والاحزاب والوزارات البريطانية.

جاءت زيارته لباريس في نهاية أيلول 1956م لتدور في ذات المحور المتفق عليه بين الطرفين وعقد مع الفرنسيين اجتماعت مطولة نوقشت فيه خطة الغزو موسكتير ومشاركة (إسرائيل) وحصل موليه على موافقته المبدئية على ذلك, واطلعه الفرنسيين أيضا على بدايات الاستعدادات التنسيقية العسكرية بين (إسرائيل) وفرنسا وعلى المساعدات العسكرية الفرنسية المقدمة لها. وفي نهاية مباحثاتهما اصدرا بيان مشترك اكدا فيه إن الهدف المبتغى منها هو تقوية التضامن البريطاني-الفرنسي في مختلف المجالات وتركز فيها حول تحديد السياسة التي ستتبعها الدولتين عند نظر مسألة قناة السويس إمام مجلس الامن وأكد بيانهما أيضا على تقوية التحالف الغربي والتصميم على ضمان نتائج ايجابية في هذا المجال. وحين مغادرته لمطار بورجيه الفرنسي صرح بأن استيلاء عبد الناصر على قناة السويس لم تهدد فقط المصالح الاقتصادية للعديد من الدول الغربية وانما يشكل هجوما مرا على الاحترام التقليدي للمعاهدات والثقة الدولية, وان الأهمية التلازمية للمصالح البريطانية الفرنسية تستوجب العمل معا لمواجهة الصعوبات الحالية التي يواجهانها.

رجوعا إلى بريطانيا فقد شهدت اوقاتا حرجة نتيجة لانشقاق البلاد إلى إطراف عدة بين المؤيد والمعارض والا ابالي وحين بدأت اجتماعات هيئة المنتفعين في لندن جوبهت بمظاهرات احتجاجية حاشدة, فتجاوبا مع هذه الضروف بعث إيدن برسالة جديدة إلى الرئيس إيزنهاور أكد له فيها بأن الأوضاع الداخلية البريطانية وصلت لحدود قلقة وعاد وجدد له تشبيه عبد الناصر الذي هو لعبة سوفيتية بموسوليني الذي كان كأرجوحة بيد هتلر, فليس من الحكمة معاملته بعطف ومهادنته كما لم يكن من الحكمة اظهار العطف بوجه موسوليني, وان استخدام القوة والحزم معه سيساعد على تحقيق السلام ويوقفه فعليا عند حده.

والتأم مجلس الوزراء البريطاني ليصارحهم فيه رئيسه إن اليهود قد قدموا له عرض الهجوم على مصر ليكون ذريعة لبلادهم للتدخل عسكريا في مصر واسترجاع قناة السويس, ورغم إن هذه الفكرة لم ترق للكثير من الوزراء لكنهم لم يعارضوها إمام الصوت العالي والحازم الذي قدمه بها رئيسهم على أساس أنها ستوفر لحكومتهم مسوغا قانونيا للتصرف مباشرة من دون الحاجة بالرجوع إلى مشاورة الولايات المتحدة المتعللة بالحرب الباردة أو حتى شكاوي ومعارضة الاحزاب البريطانية.

استطاعت صحة إيدن إن تحتمل كبت النقاشات والمحاورات والمشاورات والتقلبات والمفاجأت والمعارضات السياسية بدت بالرغم من ذلك دلائل خطيرة دلت إن صحته ليست على ما يرام فأصيب في 5 تشرين الأول 1956م بحمى مرتفعة جدا وكانت درجة حرارة جسده في تزايد متواصل حتى طالبه طبيبه بضرورة تعليق عمله لعدة أشهر إلا انه واصل إعماله بجهد كبير ومتطرف إلى درجة فقدانه الوعي لعدة مرات تطلبت نقله مرارا بشكل سري إلى المستشفى ليقضي برقوده فيها ايام عدة في احرج ساعات حياته السياسية.

لما انطلقت في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك المفوضات الانكلوفرنسية مع مصر ومن ثم قيام سكريتاريتها نشر مشروع قرار معروض للبحث كان إيدن يلتقي سرا بوفد سياسي وعسكري فرنسي والذين عرضوا عليه خطة جديدة تستند إلى خطة موضوعه من قبل الساسة والعسكريين (الاسرائيلين) قائمة على الاستيلاء على غزة وشرم الشيخ على إن تشترك لاحقا القوات الانكلوفرنسية لتستولي على قناة السويس. غير انه لم يعطي الوفد الفرنسي موافقة نهائية إذ كان بأنتظار عودة وزير خارجيته من نيويورك والذي كان قد اتفق على اللقاء مجددا مع المصريين لأكمال محادثاته في 29 تشرين الأول 1956م وليصحبه برحلة مفاجأة إلى باريس. وهناك وجد موليه موقنا بأنه واقعيا فهذه هي الفرصة الأخيرة قبيل حلول الشتاء وكانت حجته البحرية بغاية الصدق لأنه من المستحيل التدخل في هجوم برمائي في

مياه واجواء البحر المتوسط الهائجة طوال فصل الشتاء فوافق رئيس الوزراء البريطاني على فحوى ومجريات الخطة المرتكزة على التعاون الانكلوفرنسي مع (إسرائيل).

وللتاريخ وكي لا يحمل إيدن لوحده ذلك الخطأ لا يغتفر في الدبلوماسية البريطانية فقد اطلع وافق مجلس الوزراء البريطاني على تفاصيل اتفاق رئيسه مع اليهود واقر احالة دراسة تفاصيل الخطة العسكرية المقترحة إلى لجنة مصر.

اثر وصول الوفد (الاسرائيلي) إلى العاصمة الفرنسية ابرق مينو إلى لندن لغرض ايفاد مندوب بريطاني اليهم كي تكون المباحثات مباشرة بين الإطراف الثلاثة, لذلك توجه إلى هناك وبطلب من إيدن, سلوين لويد في 21 تشرين الأول 1956م ليجتمع بالمتأمرين في ضاحية سيفر الواقعة جنوب باريس ليقروا إن يكون تدخلهم بصورة حرب شاملة لتهدد فعليا قناة السويس وتبرر التدخل الانكلوفرنسي, وان يتم ذلك عبر تدخل (اسرائيلي) ليعقبه انذار لطرفي النزاع من المتأمرين بعد 24 ساعة من بدء القتال وان استجابت مصر لوقف القتال آم لا فأنه وبكل حال سيتم انزال القوات الانكلوفرنسية للسيطرة على القناة, وعقبها وخلال يومين زيارات مكوكية متعاقبة بين المسؤولين البريطانيين والفرنسيين للندن وباريس أثمرت الاتفاق النهائي على تدخلهم العسكري في مصر واعدت ثلاث نسخ وقع عليها الإطراف الثلاث واقسم الموقعين على إن لا يتحدث احد عما رأه مادام الآخرين على قيد الحياة.

بأتفاقية سيفر يكون إيدن قد هيئ الذريعة التي أصبحت بنظره الفرصة الأخيرة للاطاحة بعبد الناصر والاستيلاء على القناة, وبعد اخباره لمجلس وزراءه إن على بريطانيا إن تعمل كل مافي وسعها حتى لا تتهم بالتواطؤ مع (إسرائيل), ركن إلى الهدوء مدة الايام الخمسة التي سبقت غزو مصر وكأنه الهدوء الذي يسبق العواصف دوما.

عندما بدأت (إسرائيل) مهاجمة الأراضي المصرية فـــي 29 تشـــرين الأول 1956م وصل إلى لندن رئيس الوزراء الفرنسي ليجري محادثات عاجلة مع إيـــدن وعزما تقديم انذارهما المعد مسبقا, واعلم به إيزنهاور بحجة إن المصريين ساهموا بالمدى الأكبر لدفع (إسرائيل) لمهاجمتهم فلابد لذلك من عمل ضارب فـــي الحـــال لأيقاف القتال لمنع انتشار المواجهات إلى سوريا والاردن والعراق كما جرى فـــي عام 1948م.

توالت الساعات القادمة بمجريات إحداث متسارعة فما إن طلب مـــن وزارة خارجيته تسليم الانذار الانكلوفرنسي للسفيرين المصري و(الاسرائيلي) في لنـــدن حتى طالب السفارة البريطانية في القاهرة تسليم الحكومة المصرية نسخة من نـــص الانذار, ثم مسرعا وص لمجلس العموم الذي أعلن فيه (إن لم يتوقف القتـــال فـــأن المرور الحر من القناة سيتعرض للخطر... وأننا وفرنسا طلبنا من طرفي النـــزاع وقف القتال حالا وسحب قواتهما لمسافة عشرة اميال من القناة وان توافقـــا علـــى تحرك القوات الانكلوفرنسية لشغل المراكز المهمة داخل قناة السويس وإذا انقضت مدة إل 12 ساعة ولم ينصاع احدهما أو كلاهما فأننا سنتدخل بشكل قوي حاسم).

استبدت الدهشة بأعضاء مجلس العموم بسببية ما نطقه رئيس الوزراء ومـــن فكرة إدخال البلاد بحرب في ظرفها المتقلب اقتصاديا آنذاك هي في غنـــى عنهـــا, وانقسموا على أنفسهم انقساما كبيرا, فـــأتهم حـــزب العمـــال المعـــارض حكومـــة المحافظين بأنها تستخدم العدوان (الاسرائيلي) كذريعة مفتعلة لاجتياح واحتلال قناة السويس. وفي الحقيقة قد كان مجلس العموم البريطاني في ذلك اليوم متناقض بشكل فاضح فظهر حزب العمال بمظهر الثائر الحائر الغاضب من تعنت المحافظين عن الامتناع بالافضاء بأية معلومات! وكانت حكومة المحافضين تتسم بمواقف متناقضة أثارت بها سخط المعارضين إلى الحد الذي دفع رئيس المجلـــس لتعليـــق الجلســـة مؤكدا استحالة المضي في النقاش بالوقت الذي يتعرض له رئيس الوزراء لعاصفة من الاهانات الشخصية والانفعالية السياسية.

مباشرة وعقب توجيه الانذار الانكلوفرنسي ايقنت الحكومة الكندية إن العـالم على وشك الدخول في حرب عالمية ثالثة فخاطبته لأيدن محذرة إياه إن اسـتمراره بهذه النزوة السياسية سيؤدي إلى انهيار جامعة الشعوب البريطانية. ففوجـأ بشـدة بمستجدات وتلاحق النتائج الغير متوقعة لاسيما حدوث توتر خطير مـع علاقـات بلاده بكندا فمسرعا خاطب رئيس وزرائها سان لوران مشيرا له عن قلقه العظـيم لذلك وانه لن يتدخل في القناة إلا لضمان سلامتها بوقف التال الدائر قربها ومن ثـم احالة الأمر بمجمله إلى الأمم المتحدة, لكن الكنديين لم يقنعوا بمبرراتـه وتواصـل ضغطهم عليه حتى وافق في اللحظات الأخيرة عل خفض زنة القنابل المقرر القائها على مصر من إلف رطل للقنبلة إلى خمسمائة ومن ثم إلى مائتين وخمسين.

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش تتصارع فوق الاراضي المصرية والقوات الانكلوفرنسية على مشارف التدخل العسكري وساعات الانذار على وشـك النفـاذ والأمم المتحدة ومجلس الحلف الأطلسي يعقدان الجلسات الطارئة المتواصـلة بـلا انقطاع, حملت الانباء لرئيس الوزراء البريطاني إن جمهورية الصـين الشـيوعية ودولة الاتحاد السوفيتي انطلقتا بتسجيل المتوعين لأرسالهم للدفاع عن مصـر, وان سوريا اصابت مدافعها إحدى الطائرات البريطانية التي كانت تقوم بعمليات تصوير ومراقبة استكشافية فوقها, مما عنى إن الشرق السوفيتي وصل المنطقة فعلى الغرب الاستعداد لحرب عالمية ثالثة, فأصاب إيدن بقشعريرة رعب وتردد واخفـى وراء تردده الكثير من الحزم والتصميم للتشبه برئيسه السابق ونستون تشرشل, وكان المد في ارادة الزعيم البريطاني والعزيمة بمرور الساعات بدأت بالتحول اثر مـاتعرض له من استنكار عام من الجمهرة الغالبة من الرأي العام البريطاني ومـن حمـلات عنيفة من قبل الاشتراكيين البريطانيين ومن نقدات لاذعـة مـن أعضـاء حزبـه والجمود من بعض أعضاء حكومته المخالفين له بالرأي بعد إن تخلى عنه إيزنهاور ودالاس اللذان ولاستراتيجيتهما المغايرة له وقفا آنذاك في صف واحد مع الافريقيين والاسيويين والشيوعيين.

مع كل ذلك بقيت به ترددات روح المقاومة فأصر على وجوب قبول وقف إطلاق النار شريطة إن تتولى الأمم المتحدة ذاتها القيام بالعمليات العسكرية وان بريطانيا وفرنسا لم تكونا إلا تمثلان الدور الذي مثلته الولايات المتحدة الأمريكية في المشكلة الكورية في مطلع خمسينيات القرن العشرين كطليعة لجيش الأمم المتحدة البطيئ في تنظيمه. وحين وفقت المنظمة الدولية وبعد جهد كبير في التوصل إلى قرار لوقف إطلاق النار في 2 تشرين الثاني 1956م رفضه إيدن وأكد انه لن يوافق عليه ما إن تتم تطبيق شروطه الثلاث وهي:

1- موافقة مصر و(إسرائيل) على وجود قوة للأمم المتحدة للمحافظة على السلام.
2- موافقة الأمم المتحدة على ابقاء قواتها هناك ولحين توصل العرب و(إسرائيل) لمعاهدة سلام وكذلك التوصل لاتفاقية عادلة بشأن القناة.
3- موافقة مصر و(إسرائيل)على تواجد إفراد من القوات الانكلوفرنسية على الأراضي المصرية لحين إنشاء قوات تابعة للأمم المتحدة.

الصحافة البريطانية في غضون ذلك كانت مجمعة على تأييد إنشاء القوات الدولية حسب قرار الأمم المتحدة مؤكدة إن هذا الاقتراح قد امن واتاح الفرصة لا للشروع في بداية جديدة في الشرق فحسب بل وفي تحول تقدمي في طوالع الأمم المتحدة وحظوظها. واقترحت على زعيمها الاستقالة من منصبه كي يتمكن رئيس أخر اقل تعرضا للاتهام من انقاذ سمعة بريطانيا وبنائها إن أمكن من جديد. واكدت الصحف الموالية لحزب العمال المعارض إن زعيم الحزب على أتم الاستعداد للتعاون مع حكومة المحافظين إن اختارت رئيسا جديدا لها. غير إن الزعماء المحافظين ما جسروا على معارضة رئيسهم بشكل علني وشذ من هؤلاء أنتوني ناتنج, وزير الدولة للشؤون الخارجية, الذي قدم استقالته احتجاجا على سياسة الحكومة في الشرق الأوسط.

عقدت لجنة مصر في 4 تشرين الثاني 1956م اجتماعا حذرها فيه لويد من وشكية نفاذ النفط في بريطانيا واعقبه ماكميلان محذرا اياها من التدهور البالغ السرعة لقيمة وسعر الجنية الاسترليني, في الوقت نفسه كان رئيس الوزراء يعلن في جلسة مجلس العموم (إن مصر ضغطت ضغط شديد على (إسرائيل) فلذا هي من كانت فعليا البادئ بالهجوم... وان حياة بريطانيا معلقة بحرية قناة السويس... وأننا نرمي إلى وقف تقدم القوات المسلحة (الاسرائيلية) نحو العاصمة المصرية فعلى الأمم المتحدة اخذ البادرة بأستخدام القوة السياسية... إننا نرمي وقف القتال لحفظ السلام بصورة دائمة). ثم سارع لعقد جلسة طارئة لمجلس الوزراء وابلغ اعضاءه إن قرر بوجوب استمرار الإعمال العسكرية ضد مصر حتى لو قبلت (إسرائيل) بوقف إطلاق النار, فأيده 12 وزيرا وعارضه 3 وامتنع 3 اخرون عن التصويت.

وإكمالا لتنسيق حواراته مع الموتأمرين معه فكان ولابد من إجراء مشاورات عاجلة وجديدة بين رئيسي الوزراء البريطاني والفرنسي فتمت عدة جلسات عاجلة أظهرت للفرنسيين إن الزعيم البريطاني كان أكثر هدوء ورزانة عما تناقلته الصحف البريطانية وانه على استعداد كبير لتقبل المنطق العسكري القائل بأنه لما كانت الاعدادات العسكرية قد قطعت شوطا بعيدا فأن إي تأجيل من إي نوع لابد إن يكون مفجعا.

بغضون ذلك تظاهر نحو عشرة ألاف شخص بعد ظهر ذلك اليوم في ميدان الطرف الاغر وهم يحملون لافتات كتب عليها -لابد إن تستقيل-, وتوسع نشاط المتظاهرين لتزحف في شوارع لندن الغربية فحضيت بدعاية واسعة في صحف اليوم التالي والتي نشرت أيضا النقد الاذع لمدير عام وزارة الخارجية -والتر وين- والذي انكر ما اشاعه الموالين لرئيس الوزراء حول موافقته على احتلال (إسرائيل) لصحراء سيناء بأعتبارها عمقا امنيا لها. تبعها سريعا برقية الأمين العام للأمم المتحدة -همر شولد- بدد فيها أمال إيدن لما رفض إن تحمل القوات الانكلوفرنسية

صورة القوات الدولية وحدد فيها الساعة 8 من مساء 5 تشرين الثاني 1956م كموعد نهائي لتقبل ووقف إطلاق النار.

كانت الظروف عند هذه اللحظة مهيأة له ليستفيد من تقبل وقف إطلاق النار فكان في وسعه عن طريق تسخير الحقائق المتداخلة لمصلحته إن يعلن إن بريطانيا وفرنسا تمكنتا بعملهما من إثارة اهتمام العالم بأخطار الوضع المتدهور واظهرتا لمصر انه ليس في وسعها بعمل فردي تمزيق الاتفاقات الدولية وتحدي القانون الدولي والخلاص من الالتزامات الدولية دون عقاب وانهما بما قدمتاه من ايحاء بأنشاء القوة البوليسية الدولية قد امنتا الظروف المؤاتية لتدخل الأمم المتحدة, كما وكان بأمكانه أيضا إن يعلن تمسكه بميثاق الأمم المتحدة بتوقفه عن استعمال القوة ومساعدته للدول المعنية للوصول إلى تسوية عن طريق المفاوضات لحل مشاكل الشرق الأوسط, غير انه كان في واد أخر فراح يتهم الأمين العام للأمم المتحدة بالتحيز إلى الجانب المصري.

حاولت الحكومة الكندية إقناعه بالانصياع لقرار الأمم المتحدة فكاتبته مجددا معلنة اسفها الفائق لتعنت مواقفه لكنه رفض وقف العمليات العسكرية فأدار الكنديون وجهها عنه, وجاء ذلك في الوقت الذي كان بأمس حاجة لتأييدها الفعلي وذلك اثر تعرضه لضغط شديد من جهة أخرى فقد تحرك الاتحاد السوفيتي بعد إن استتب الوضع له في المجر فأعلن عن تقديم انذار عام حول إن نتائج هذه الحرب ستكون خطيرة, ومن عبارة خطيرة وبشكل منافي للواقع ولكل ما اشيع بعد ذلك, استنتج إيدن إن السوفيت لربما يهددون بضرب باريس ولندن بالصواريخ السوفيتية. لكنه اعتقد إن الولايات المتحدة الأمريكية لابد إن تضفي مظلتها النووية الواقية على بريطانيا وفرنسا, واستفسر الخارجية الأمريكية لتأكيد هذا اليقين لكنها اجابته بأنها ستحترم التزاماتها بموجب إجراءات حلف شمال الأطلسي, ففهم من الإجابة الأمريكية أنها ستضمن سلامة بريطانيا وفرنسا إذا ما هوجمتا في إي موقع تتعرض فيه المصالح الغربية للخطر, وان الضمانة والمظلة المريكية بموجب حلف الأطلسي

ليست سارية المفعول إلا إذا تعرضت أوربا إلى الهجوم. مما اسقط في يـده الـذي تيقن إن الاتحاد السوفيتي إن اعتزم مهاجمة قوات الحملة المشتركة في السويس فأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تحرك ساكنا.

أراد الاتصال بأيزنهاور لبحث الأمر شخصيا عبر الهاتف لكنه لم يتلق مـن واشنطن إي رد سوى ما حملته رسالة السفير البريطاني من إن وزارة الخارجيـة الأمريكية المحت إلى انه في حالة وقوع وحدوث انـدفاع علـى شـراء الجنيـة الاسترليني فأن بريطانيا ستجد صعوبة في انقاذ نفسها من الافلاس وان الأمريكـان لن يتقدموا لها بالدعم! في ذلك الحين تعرض إيدن لأشد الضغوط واكثرها تعقيـدا وكانت كل قضية من تلك القضايا التي تواجه الوزارة البريطانية كافية فـي حـد ذاتها في الظروف العادية للتأثير على الأوضاع السياسية, إما في تلـك الأوضـاع الغير عادية فأن هذه القضايا تجمعت لبعض لتصبح حاسمة إلى حد كبير, فتهديدات انهيار جامعة الشعوب البريطانية وبرقيات همر شولد التي أظهرت تكـون القـوة الدولية والتخلي الأمريكي وضنون التهديد السوفيتي والحملة العسكرية المتعثرة في السويس والمعارضة الداخلية المتزايدة, وكانت هناك نضوب ارصدة بريطانيا مـن الذهب والدولار وحاجتها الماسة لمليار دولار لتجنب انخفاض الجنية وفـي أخـر الأمر جاءت صحة إيدن المتردية جدا والذي اوشك على الاصابة بالانهيار العصبي لاسيما وقد استبدت به الحيرة والغضب من قوة الصراع الحزبي الداخلي وانهيـال الاتهامات عليه في مجلس العموم.

في خضم تلك الفواجع المحيطة به اجتمع مجلس الـوزراء البريطـاني فـي صباح 6 تشرين الثاني 1956م وكان هو شبه مستلق على مقعده وبدا الانهاك التام والاحباط الحقيقي عليه وبينما كان الوزراء يصوتون على سياسة استمرار الحـرب التي كان يراها الرئيس فكانت النتيجة تأييد 3 وزراء فقط لسياسته وعارضته البقية, وبينما المجلس منعقدا وصلت مكالمة هاتفية من واشنطن لوزير الخارجية وابلغتـه إن واشنطن على استعداد لتقديم مليار دولار كمساعدة فورية إن وافقـت بريطانيـا

على وقف إطلاق النار قبيل منتصف الليل وازاء ذلك اتخذ المجلس قراره الحاسم بوقف القتال.

بهذا التغير المجبر عليه كان لابد عليه ألان إن يقنع اصحابه الفرنسيين بالتوقف والانسحاب وان يبرر لهم انقلابه العكسي من مصمم للاستمرار بالحرب لاقصى حد إلى داعية سلام! فكتب لمينو (ليس في وسعي مواصلة السير وحيدا من دون العون الأمريكي, فهذ أمرا فوق المستحيل لذا يتوجب علينا إن نوقف القتال بعد ظهر هذا اليوم... ماعدت اطيق الانتظار فالضغط شديد على كاهلي لأوقف القتال قبل انتهاء اليوم, وكل ما استطيع إن افعله ليس إلا إن اؤجل القرار حتى المساء, لقد احل علينا إن نوقف القتال قبل منتصف هذه الليلة). وحين قابل السفير الكندي أكد له انه اقر قراره بوقف القتال ارضاء لاصدقائه الكنديين, فلم يتبقى له ألان إلا إعلام مجلس العموم بقراره ليوقف هدير النار التي اججته المعارضة بوجهه, وفيه أعلن وقف إطلاق النار بلا قيد أو شرط وأكد على وجوب سرعىة الانسحاب (الاسرائيلي) من منطقة سيناء المصرية وان يتم وضع حد فاصل بين المتحاربين بأن تأخذ قوات الأمم المتحدة مواضعها.

عقب ذلك كله خرج الرئيس الأمريكي إيزنهاور عن صمته وراح يحادثه هاتفيا مهنئا إياه على حكمه قراره بوقف إطلاق النار ومقترحا إجراء محادثات سريعة حول قضايا الشرق الأوسط. فأستعاد حيويته لأن حديثه الهاتفي معه حمله على الاقتناع بأن العلاقات البريطانية-الامريكية قد عادت إلى سابق عهدها مما دفعه تكرار إلى التحدث هاتفيا مع إيزنهاور يوم 7 تشرين الثاني 1956م مقترحا عليه إن يعقدا اجتماعا للبحث في المشاكل العالقة بينهما, فأقر الرئيس الأمريكي الفكرة بدعوته هو ورئيس الوزراء الفرنسي للحضور إلى واشنطن للتحاور في أسباب ونتائج ما جرى, غير إن إيزنهاور عاد واتصل به بعد ساعة واحدة سائلا إياه إن يحدد المواضيع المتوجب بحثها في الاجتماع المقترح مع استبعاد البحث في فائدة قرارات الأمم المتحدة وجدواها لأنها وبلا شك واجبة التنفيذ.

كان يبغي من الاجتماع بالرئيس الأمريكي إقناعه بأن لا يتم انسحاب القوات الانكلوفرنسية إلا بعد إن يتم تشكيل قوة دولية لتحل محلهم, لأن انسحابهم هكذا سيحمل بلا شك كل معاني الطرد والفشل وهذا اذلال كان يعمل جاهدا على تجنبه والخلاص منه لأن بقاءه وبقاء وزارته في الحكم يعتمد على قدرته في الإيحاء للشعب البريطاني بأن حكومتهم والحكومة الفرنسية كانتا تسلمان الزمام في واقع الأمر إلى قوة دولية, فكان من المهم لديه ايضا حدوث اجتماع للقمة في واشنطن بأسرع وقت ممكن للايحاء بصورة الصداقة البريطانية-الامريكية. وبينما كان يعد نفسه للسفر إلى واشنطن اتصل به وبنصيحة لالغاء الاجتماع من قبل دالاس, الرئيس إيزنهاور طالبا تأجيل زيارته المقترحة إلى اشعار أخر مبررا ذلك بأنشغاله بمشاكل بلاده الداخلية وملحا بأن لا يتم تحديد موعدا لزيارته إلا بعد إن سحب قوات الانكلوفرنسية بالكامل!

منذ بداية الأزمة بدء الشعب البريطاني المهووس بإجراء الاستطلاعات الشعبية لبيان موقفه من كل قضية داخلية وخارجية في القيام بالعديد منها في طول البلاد وعرضها وكان أخر استطلاع اجرته مؤسسة كالوش في 11 تشرين الثاني 1956م والذي افرز إن مؤيدي سياسته لايتجاوزون النصف وان معارضيه في تزايد مستمر. وازاء كل هذه المطبات والنكسات المتواصلة ساءت صحته فقرر أطبائه في 19 تشرين الثاني 1956م إن يخلد للراحة التامة لفترة غير قصيرة, فشاور زملائه وقرر الذهاب إلى جمايكا في البحر الكاريبي, لكنه وقبيل سفره في 23 تشرين الثاني طلب من مدير المخابرات البريطانية اغتيال الرئيس المصري جمال عبد الناصر بأيو وسيلة كانت وما إن عاد من سفرته العلاجية حتى ساءت الظروف بوجهه داخليا وخارجيا وصحيا فلم يجد امامه سبيل إلا الاستقالة فقدمها في مطلع شهر كانون الثاني 1957م.

اخطأ إيدن بطريقته في قيادة عملية السويس من الناحية السياسية واهم اخطائه كانت عدم استشارته ججيستكيل زعيم حزب العمال المعارض, وإيزنهاور

وخبراء الشؤون الخارجية لأنهم ربما كانوا قد قدموا له وبحسب خبرتهم حججا مقنعة جدا. وعدم التفكير في النتائج والآثار المالية كان خطأ جسيم, وقبول العرض (الاسرائيلي) من دون دراسة الفوائد الكاملة التي ستجنى من وراءه, ثم المجازفة الكبرى بزج البلاد إلى الحرب وخداع الشعب عن عمد, فحطم بعملة حقبة كاملة من حقب الدبلوماسية البريطانية واضاع ارواح كثيرة بلا معنى يذكر وكلف بريطانيا 250 مليون جنية استرليني ثمنا لعملية فاشلة بكل المقاييس.

حمل في مذكراته وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس الاذلال الذي تعرضت له بريطانيا في حرب السويس, وارجع ذلك إلى رغبة بريطانيا في الاحتفاظ بنفوذها في المنطقة العربية وحرص الولايات المتحدة الأمريكية على وراثتها. واكمن في كراهيته المطلقة لعبد الناصر ودالاس لأنه كان يرى حاله بمثابة اغنى الدبلوماسيين في الشرق والغرب خبرة في شؤون الشرق الأوسط وأوضح إن دالاس تأمر مع عبد الناصر لغيرته منه وانه خذله عن قصد هو وإيزنهاور طوال إحداث ومجريات حرب السويس. لذا نصح الشعب البريطاني بعدم الاعتماد مطلقا على الأمريكان والتقرب إلى الدول الأوربية وتعميق علاقتهم بها لأنها وبلا شك الامتداد الحقيقي لبريطانيا.

يعد عهده أخر عهد لأعتبار بريطانيا مساوية فيه للولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي إذ أقدمت الحكومة البريطانية التي اعقبته إلى الانضواء تحت المظلة الأمريكية واصبحت بريطانيا منذ ذلك الوقت تابعة للولايات المتحدة الأمريكية على الرغم من أنها كانت امبراطورية. وقد طال عمر إيدن فشهد رحيل جميع رجال السويس قبله إذ رحل كلا من إيزنهاور ودالاس وعبد الناصر وبولجانين ومولية وبن جوريون.

المراجع

1- Kune G. Anthony Eden's Bile Duct: Portrait of an Ailing Leader. Austr NZ J Surg2003
2- Braasch JW. Anthony Eden's (Lord Avon) Biliary Tract Saga. Ann Surgery 2003
3- Sir Christopher Booth speaking on BBC Radio 4: Case History: Anthony Eden,narrated by Professor Roy Porter, 1998.
4- Thorpe DR. Eden. The Life and Times of Anthony Eden, First Earl of Avon 1897–1977. Chatto and Windus, 2003
5- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
6- Thorpe DR. Eden. The Life and Times of Anthony Eden, First Earl of Avon 1897–1977. Chatto and Windus, 2003
7- Sir John Colville speaking on BBC Radio 4: Case History: Anthony Eden, narrated by Professor Roy Porter, 1998.
8- Jenkins R. Churchill: A Biography. Macmillan, 2001.
9- Thorpe DR. Eden. The Life and Times of Anthony Eden, First Earl of Avon 1897–1977. Chatto and Windus, 2003:481 and 475–80.
10- The Avon Papers. PM Personal Correspondence; Memorandum from Sir W. Churchill, 6 August 1956. Ref: AP20/33/24, Special Collections, University of Birmingham. Also quoted in Gilbert M, Winston S Churchill, vol. VIII, Heinemann,1988
11- . National Archives CAB 21/3314.
12- Dutton D. Anthony Eden: Life and Reputation. London, Hodder Arnold,1997
13- Avon Papers, AP39/4/2, Special Collections, University of Birmingham.
14- Lord Butler. The Art of the Possible, Hamish Hamilton, 1971
15- Plant MA. Drugs in Perspective. Hodder and Stoughton, 1981

16- Eden to John Norcross at Lahey Clinic Foundation, 24 March 1971.
17- Hugh L'Etang. Ailing Leaders in Power 1914–1918. Royal Society of Medicine Press, 1995
18- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
19- Dutton D. Anthony Eden: Life and Reputation. London, Hodder Arnold,1997
20- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
21- Nutting A. No End of a Lesson. The Story of Suez. Constable, 1967.
22- Marston G. 'Armed Intervention in the 1956 Suez Canal Crisis: The Legal Advice Tendered to the British Government.' 1988
23- BBC Radio 3 programme A Canal Too Far, 31 January 1987.
24- Sir Richard Powell, Papers of the Suez Oral History Project 1989
25- Liddell Hart Centre for Military Archives, King's College London. Catalogue Number: SUEZOHP 16.
26- Colville J. The Fringes of Power. Downing Street Diaries 1939–1955, Weidenfeld & Nicolson Revised Edition 2004
27- Thorpe DR. Eden. The Life and Times of Anthony Eden, First Earl of Avon 1897–1977. Chatto and Windus, 2003
28- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
29- Nutting A. No End of a Lesson. The Story of Suez. Constable, 1967
30- Neff D. Warriors at Suez. Eisenhower takes America into the Middle East. Linden Press, Simon and Schuster, 1981
31- Mosley L. Dulles: A biography of Eleanor, Allen and John Foster Dulles and their family network. Hodder & Stoughton, 1978

32- Lord Deedes, speaking in 'The Downing Street Patient', a BBC2 TV report by Michael Cockerell, 29 February 2004.
33- Countess of Avon, speaking on BBC Radio 4: Case History: Anthony Eden, narrated by Professor Roy Porter, 1998
34- Thomas H. The Suez Affair, revised edition (paperback). Weidenfeld and Nicholson, 1986
35- Thomas H. The Suez Affair, revised edition (paperback). Weidenfeld and Nicholson, 1986
36- Diary of Sir Evelyn Shuckburgh. Ref: MS 191. Shuckburgh papers purchased by the Special Collections, University of Birmingham, 2004.
37- E Shuckburgh, Descent to Suez: diaries 1951–56, ed. J Charmley, 1986.
38- Pro David Dutton, speaking on BBC Radio 4: Case History: Anthony Eden, narrated by Professor Roy Porter, 1998.
39- Dutton D. Anthony Eden: Life and Reputation. London, Hodder Arnold,1997
40- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
41- Letter in the Avon Papers. Special Collections, University of Birmingham.
42- James RR. Anthony Eden. Weidenfeld and Nicolson, 1986
43- Thorpe DR. Eden. The Life and Times of Anthony Eden, First Earl of Avon 1897–1977. Chatto and Windus, 2003:515–19.
44- House of Commons. Hansard Col 1518, 20 December 1956.
45- Lord Owen. Diseased, demented, depressed: serious illness in Heads of State.Q J Med 2003
46- Avon Papers, private correspondence AP20/33/12A, Special Collections, University of Birmingham.

47- Millard G. BBC Radio 3 programme, A Canal Too Far, 31 January 1987.
48- Allison, Graham and Philip Zelikow. Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis 2nd ed. New York: Longman Press, 1999.
49- Boyle, Peter, G. ed. The Eden-Eisenhower Correspondence 1955-1957. Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 2005.
50- Bromberg, Merry and Serge. Secrets of the Suez. Translated by James Cameron. London: Pan Books LTD, 1957.
51- Calvocoressi, Peter and Anthony Moncrieff ed. Suez: Ten Years After. New York: Pantheon Books, 1967.
52- Eden, Anthony. Full Circle: The Memoirs of Anthony Eden. Boston: Houghton Mifflin Company, 1960.
53- Eisenhower, John S.D. Strictly Personal. New York: Doubleday & Company, Inc., 1974.
54- U.S. Department of State. Foreign Relations of the United States: Diplomatic Papers, 1955-1957, Vol XVI, Suez Crisis July 26 – December 31 1956. Washington, DC: GPO, 1990.
55- Kissinger, Henry. Diplomacy. New York: Simon & Schuster, 1994.
56- Klug, Adam and Gregor W. Smith. "Suez and Sterling, 1956." Explorations in Economic History V36 no. 3, (1999.): 181-203.
57- Kunz, Diane, B. The Economic Diplomacy of the Suez Crisis. Chapel Hill: The University of North Carolina Press, 1991.
58- Immerman, Richard, H. John Foster Dulles: Piety, Pragmatism and Power in U.S. Foreign Policy. Wilmington DE: Scholarly Resources Inc, 1999.
59- Louis, Roger, WM and Roger Owen eds. Suez 1956: The Crisis and its Consequences. Oxford: Clarendon Press, 1989.

60- Lucas, Scott ed. Britain and Suez: The Lion's Last Roar. Manchester: Manchester University Press, 1996.
61- Roger W.M. Louis and Roger Owen eds., Suez 1956: The Crisis and its Consequences (Oxford: Clarendon Press, 1989)
62- Adam Klug and Gregor W. Smith, "Suez and Sterling, 1956." Explorations in Economic History V36 no. 3, (1999.)
63- Henry Kissinger, Diplomacy (New York: Simon & Schuster, 1994)
64- Graham Allison and Philip Zelikow, Essence of Decision: Explaining the Cuban Missile Crisis 2nd ed (New York: Longman Press, 1999)
65- Boyle, The Eden-Eisenhower Correspondence, 199-200.
66- Richard, H. Immerman, John Foster Dulles: Piety, Pragmatism and Power in U.S. Foreign Policy (Wilmington DE: Scholarly Resources Inc, 1999)
67- John S.D. Eisenhower, Strictly Personal (New York: Doubleday & Company, Inc., 1974), 189. 14 U.S. Department of State, Foreign Relations of the United States: Diplomatic Papers,
68- 1955-1957, Vol XVI, Suez Crisis July 26 – December 31 1956 (Washington, DC: GPO, 1990),
69- Allison and Zelikow, Essence of Decision, Louis and Owen, Suez 1956,
70- Peter Calvocoressi and Anthony Moncrieff ed., Suez: Ten Years After (New York: Pantheon Books, 1967)

يلتصق ويترابط تأميم قناة السويس بتمويل مشروع السد العالي في مصر والذي وافقت عليه الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والبنك الدولي فطبقاً للاتفاق معهم في 16 كانون الأول 1955 تعهدت الدولتان بتقديم -70- مليون دولار لتمويل المرحلة الأولى للمشروع[1], وكذلك تعهد البنك الدولي بتقديم قرض قيمته-200- مليون دولار[2]. وفي الواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية عندما وافقت على الاشتراك في تمويل السد العالي كانت تأمل أن يؤدي ذلك إلى تسوية بين مصر و(إسرائيل) وإلى تغيير مصر لسياستها مع الكتلة الشرقية بتوقف استيراد السلاح منها,[3] لذلك اشترطت ألا ترتبط مصر بأية قروض أجنبية أخرى طوال فترة تنفيذ المشروع[4].

لأسباب وتطورات عدة أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية تراجعاً عن تمويل مشروع السد العالي في 19 تموز 1956[5], فاصدرت الخارجية الأمريكية بياناً أعلنت فيه سحبها لتمويل السد العالي بدعوى أنه مشروع بالغ الفخامة وأنه لا يرتبط بحقوق مصر ومصالحها وحدها في مياه النيل بل يؤثر كذلك في حقوق ومصالح بلاد أخرى تساهم في مياه النيل ومنها السودان وإثيوبيا وأوغندا,[6] وفي اليوم التالي وهو 20 تموز قامت الحكومة البريطانية بسحب عرض التمويل لذات الأسباب,[7] وأخيراً في 23 تموز سحب البنك الدولي بدوره العرض المقدم منه للمساهمة في بناء السد العالي[8].

موقف إدارة إيزنهاور قبيل الحرب:

أخذت الظروف التي أحاطت بالحكومة المصرية آنذاك لمواجهة هذا الموقف بإعلان تأميم قناة السويس في 26 تموز 1956[9], وكان سحب تمويل مشروع السد العالي كما اشيع هو السبب المباشر لأتخاذ جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس.[10] وجاء اعلان قرار التاميم كما بدى على انه كان ضربة كبرى للغرب

ومصالحه في منطقة الشرق الاوسط وهنا يجب إن نوضح إن المتضرر الفعلي من ذلك كانت بريطانيا وليس الغرب كله,[11] من الجدير بالذكر إن موقف أدارة ايزنهاور جاء مختلفا بشكل كبير عن مواقف حلفائها الغربيين، إذ أعرب وببلاهة عن دهشته من موقف رئيس الوزراء البريطاني (أنتوني ايدن)[*] الذي كان يستعد للحرب ضد مصر دون أن يكون جاهزاً لها[12]، واراد أن يتدخل عسكرياً في مناطق انتاج النفط من دون أن يكون لديه الاحتياطي النفطي الذي يستغني به حتى يتمكن من تحقيق أهدافه.[13] لذا كان يرى أن بريطانيا وفرنسا تبالغان في التهديد الذي يمثله عبد الناصر لذلك فمن غير المبرر استعمال القوة العسكرية إلا بعد استنفاذ الوسائل السلمية.[14] وكان من رأيه ايضاً أنه على الرغم من ان قناة السويس هي ممر ملاحي دولي مهم إلا أنه صعب تحدي حق مصر في تأميم شركة قناة السويس[15].

لكي يحول من دون لجوء بريطانيا وفرنسا إلى العمل العسكري فقد اقترح أنشاء (جمعية المنتفعين)[**] بحيث يكون لها طابع مؤقت وتكون مسئولة عن تنسيق المرور وتحصيل الرسوم,[16] لكن هذا الاقتراح فشل اثر رفضه من قبل جمال عبد الناصر.[17] بصفة عامة لقد كان رأيه أن الحكومة البريطانية تتصرف بطريقة غير ملائمة وأن حكومته لا تستطيع مسايرتها في ذلك وبالتالي فأن بلاده لن تدخل في أي عمل عسكري بمشاركة بريطانيا أو فرنسا في المنطقة العربية[18]، فتبنى لاستثمار المشاحنات الجارية عدة مواقف أساسية ترجمت دعائيا أنها لحل مشكلة السويس ومعالجتها ومنها أنه وعلى الرغم من تعاطفه مع رغبته بريطانيا وفرنسا في استعادة شركة قناة السويس إلا أنه لم يجادل حول حق مصر في الشركة على أساس أن مصر ستدفع المقابل المادي لها كما هو مطلوب في القانون الدولي[19]. ومن ثم سعى لتفادي احتدام عسكري بفوضى الحرب الباردة, بأن يجد للنزاع حول القناة حلاً دبلوماسياً قبل ان يستغل الأتحاد السوفيتي الوضع من أجل مكاسب سياسية,[20] فكلف وزير الخارجية الامريكي جون فوستر دالاس لفض الازمة

بايجاد حلول مقبولة لبريطانيا ولفرنسا مـن خـلال بيانـات عامـة ومفاوضـات ومؤتمرين دوليـين فـي لنـدن وتأسـيس جمعيـة (مسـتخدمي قنـاة السـويس SscuA)(***)[21]، فضلاً عن مشاورات عديدة في الامم المتحدة,[22] ولكن مع نهاية شهر تشرين الأول 1956م تبين أن هذه الأمـور لـم تكـن مجديـة واسـتمرت الاستعدادات الانكلوفرنسية لخوض الحرب[23].

فسعى إلى تفادي نفور القوميين العرب وإلى اسـتقطاب الزعمـاء العـرب للمشاركة في محاولة دبلوماسية لأنهاء الازمة,[24] كما رفض مساندة استخدام القوة من جانب بريطانيا وفرنسا ضد مصر وكان ذلك بسبب أدراكه أن قرار تأميم قنـاة السويس كان له شعبية واسعة في مصر والبلدان العربية الأخرى كما كـان عامـل آخر لزيادة شعبية الرئيس المصري جمال عبد الناصر وبلا شك فأن زيادة شـعبية عبد الناصر قطعت الطريق على جهوده لأيجاد حل للأزمة بالمشاركة مع الزعماء العرب,[25] ورفض الزعماء السعوديين والعراقيين اقتراحات امريكية في ما يخص انتقاد افعال عبد الناصر أو تحدي سمعته[26] لما كان له من نفـوذ بـين انصـاره القوميين المنتشرين في معظم البلدان العربية.

لن اهم ما أراده هو عزل (إسرائيل) عن معضلة السويس تخوفاً من أن مزج النزاعات (الإسرائيلية) – المصرية ب الانكلوفرنسية – المصرية, سـوف تشـعل الشرق الاوسط لذا لم يعط دالاس (لإسرائيل) الفرصة في المشاركة في المشاورات الدبلوماسية التي كانت تجري لحل الازمة,[27] وقد منع ايزنهاور مناقشـة شـكاوي (إسرائيل) تجاه السياسة المصرية اثناء ما تم طرحه للنقاش في الامم المتحـدة,[28] كما رتب إمراره (لإسرائيل) كميات محدودة من الاسلحة مـن الولايـات المتحـدة الأمريكية وفرنسا وكندا، على أمل تخفيف حدة شعور (أسرائيل) بعدم الأمان اثـر خوفها من تزايد قوة مصر، وأراد من كل ذلك تجنب حـدوث حـرب مصـرية– (أسرائيلية)[29].

جاءت أزمة السويس في وقت غير مناسب بالكامل للرئيس الأمريكي إذ كان يعاني من أزمات صحية خانقة, كما كان يواجه في بلاده ظروف حرجة في محاولة منه لكسب التأييد لإعادة انتخابه,[30] أما في الخارج فقد كان عليـه مواجهـة قيـام الاتحاد السوفيتي بحملة عسكرية كبيرة في هنغاريا,[31] وكان مجيء أزمة السويس في ظل هذه الظروف الداخلية والخارجية السيئة اتسمت بإضافة أعباء كبيرة علـى كاهله في الحفاظ على صورته في داخل البلاد كبطل سلام وفي الخـارج كرجـل قوي[32].

وعلى كل حال دعت كلا من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسـا في بيان عرف بأسم (البيان الثلاثي) إلى عقد مؤتمر دولي لحل أزمة تـأميم قنـاة السويس عقد هذا المؤتمر في 16 آب 1956م,[33] وقد جاءت هذه الدعوة في وسط التحذير لا التهديد كما اشيع والذي قدمه الزعيم السوفيتي خورتشوف إلى الغـرب من القيام بأيه عمليات حربية, غير انه لم يجدي نفعا.[34] فانعقد مؤتمر لندن الثاني في 19 أيلول1956م وقرر عرض الازمة على الامـم المتحـدة لأن الاتصـال المباشر مع مصر لم ينجح.[35] فتقدمت بريطانيا وفرنسا بشكوى إلى مجلس الامـن ضد مصر,[36] ومصر قدمت هي الاخرى شكوى مقابلة ضد بريطانيا وفرنسـا[37], ازاء ذلك جرت مناقشات طويلة في اروقة ومكاتب مجلس الامن للبحث عن حـل لهذه الازمة لكن الحكومتين البريطانية والفرنسية كانتا قد عقدتا العزم على اللجـوء إلى العمل العسكري بصرف النظر عن القرار الذي سيصدر عن مجلس الامن[38].

هكذا عملت كلا من الحكومتين البريطانية الفرنسية وكذلك (الإسرائيلية) على الاجتهاد لتظليل الإدارة الأمريكية حول الهدف العسكري المراد تحقيقه بأنـه لـيس أزاء مصر بل أزاء الاردن,[39] وعملت كلا من لندن وتـل أبيـب علـى أعطـاء ايزنهاور الانطباع الخاطئ والشاك بأن الاستعدادات العسكرية لكلا البلدان كان من أجل الأردن إذ أرادت تل أبيب غزو الاردن بينما أرادت بريطانيـا حمايـة الاردن بموجب المعاهدة الموقعة بين البلدين إلى توجب على بريطانيا حماية الاردن من أي

اعتداء خارجي.[40] أما من جهة الحكومة الفرنسية فقد قدمت تأكيداً رسمياً لواشنطن بأنها لن تلجئ إلى أي عمل عسكري لحل أزمة السويس إلى ما بعد أنتهاء الانتخابات الرئاسية الامريكية.[41] هذا هو الذي نجده بالاغلبية الساحقة من المصادر العربية والمعربة والانكليزية والفرنسية حول إن الأمريكان كانوا بغاية الجهل والغباء عن سبب الاستعدادات العسكرية للدول الثلاث وانها كانت اشد المتفاجئين حين قامت حرب السويس فهل ذلك كان حقيقة!

منذ منتصف شهر تشرين الاول قامت كل من لندن وباريس إضافة إلى تل أبيب بفرض تعتيم كامل بخصوص تحضيراتها العسكرية والهدف الحقيقي المراد منها على واشنطن,[42] فأدى ذلك إلى احتياج ايزنهاور إلى معلومات استخبارية عما يجري من استعدادات عسكرية واستخبارية في كل من لندن وباريس وتل أبيب.[43] وكان ذلك غريباً إلى حد كبيرٍ لأن الولايات المتحدة كانت في خضم الحرب الباردة وقيامها بالتجسس على بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) والذين كانوا يعدوا انذاك بأنهم أقرب حلفائها فهذا يسجل علامة استفهامية كبيرة حول واشنطن وحلفائها فمن هم أصدق الحلفاء وأقربهم أليها إن كانت هي تتجسس على حلفائها الأقرب, وكل ذلك يتلخص في عبارة واحدة وهي: ((السياسة الأمريكية قامت ولا زالت قائمة على المصالح الأمريكية فقط)).

عمل ايزنهاور كثيراً في سبيل الحصول على المعلومات الاستخبارية الكاملة عما كان يجري بعيدا عنه في الخفاء من قبل حلفائه، فقام بتوظيف احدث طائراته التجسسية وهي طائرات ال (u2) لتصوير الاهداف العسكرية في كل من بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل)[44]، وقد ازدادت رحلات طائرات الـ(u2) من أربع رحلات في شهر اب في منطقة الشرق الاوسط لتصل في شهر تشرين الاول إلى 14 رحلة شهرياً ,[45] كما أمر ايزنهاور بأن تشمل رحلات الـ(u2) (إسرائيل),[46] أعطت الصور التي كانت طائرات الـ(u2) تجلبها معلومات واضحة للإدارة الأمريكية عن التحضيرات العسكرية (الإسرائيلية) وأن الهدف المراد منها هو الهجوم على

مصر وليس الاردن وأزاء ذلك أرسل ايزنهاور ببرقيات شخصية إلى رئيس الوزراء (الإسرائيلي) ديفيد بن جوريون في 17 و 28 تشرين الاول 1956 طالباً منه تفادي حدوث أي نزاع عسكري في الظرف الراهن.[47]

في جهة أخرى عمل على توظيف امكانيات وكالة الامن القومي الامريكية والتي كانت تتمتع بقدرة كبيرة على كشف البرقيات المتبادلة بين كل من بريطانيا وفرنسا و(إسرائيل) وكانت تتمتع وكالة الامن القومي بقدرة على كشف البرقيات اليومية المتبادلة بين أفراد الجيش (الإسرائيلي),[48] فقدمت الوكالة له معلومات كاملة عن الاجتماعات السرية التي عقدت بين ايدن ومولييه[****] والقادة (الاسرئيليين)[49], كما أعلمته وكالة الأمن القومي بالحجم الكبير للبرقيات المتبادلة بين باريس وتل أبيب منذ 15 تشرين الأول 1956,[50] لذا قام بتوظيف هذه المعلومات في محاكاة كل من ايدن وبن جوريون حول مساوئ ما يقدمون عليه من عمل فضلاً عن قيامهم بتعتيم المعلومات عن الادارة الأمريكية[51], لكن كل ذلك ذهب سدى في ما عقد عليه العزم أيدن وبن جوريون .

لم يكتفي بما تقدم فقد قام أيضا بتوظيف وكالة المخابرات المركزية الامريكية CIA والتي كانت تتمتع بعدد كبير من الجواسيس في كل من اوربا والشرق الاوسط وقدموا لأدارته معلومات كاملة عما يدور من خطط عسكرية في كل من الجيوش (الإسرائيلية) والبريطانية والفرنسية.[52] ولأن وزير الخارجية الأمريكي كان اقرب منه إلى المسئولين البريطانيين والفرنسيين فاستطاع أن يحصل منهم على تعهد بعدم التدخل عسكرياً ضد مصر قبل الانتخابات الامريكية في 6 تشرين الثاني 1956م.[53] وهكذا كان الموقف في كل من أمريكا وأوربا و(إسرائيل) حيث كانت القوى الثلاثة قد اتفقت وتوافقت فيما بينها, معتقدين أنهم قد خدعوا إدارة ايزنهاور وبأنهم سوف لن يعلموا بمخططهم مما سيمكنهم من جعلها أمام الامر الواقع وبذلك فلا بد لها من الوقوف معهم كي لا تسمح بالتدخل السوفيتي بالمنطقة، وما أن وصلت الأمور إلى نهاية شهر تشرين الأول 1956 حتى اندلعت حرب السويس.

موقف إدارة إيزنهاور من الحرب:

ما أن قامت الحرب في29 تشرين الأول 1956م,[54] ثم تلتها أحداث اليوم التالي بالإنذار الذي تقدمت به كلا من بريطانيا وفرنسا,[55] حتى استاءت ألإدارة الأمريكية بتجاهل كل من بريطانيا وفرنسا لها,[56] ورفض الرئيس الأمريكي أن تتم عملية أزاحة عبد الناصر بوسائل الاستعمار القديم مبرهنا بذلك انه يقف موقف الضد من السياسات الاستعمارية القديمة لبريطانيا وفرنسا, وأزاء ذلك أوعز إلى المندوب الامريكي في الامم المتحدة بتقديم مشروع قرار يدعو بوقف القتال فوراً بين مصر و(إسرائيل) ومطالبة (إسرائيل) بالعودة إلى الخطوط الحدودية لليوم السابق على العدوان.[57] وقد شبه (إسرائيل) بأنها عجلة ذات أتجاه واحد فعلى الرغم من كثرة مناشداته لبن جوريون بعدم الدخول في حرب ضد مصر إلا انه ذهب اليها وكأن لا طريق آخر أمام (إسرائيل) سوى الدخول في حرب وازعاج الادارة الأمريكية وهي بخضم نزاعات ومنازعات الحرب الباردة[58].

بعد انذار 30 تشرين الاول 1956 الذي قدمته كلا من الحكومتين البريطانية والفرنسية إلى المتحاربين بوقف القتال وأبتعاد الطرفين عن القناة والا ستدخل قواتها الحرب قبلت (إسرائيل) هذا الانذار لأنه كان بند من بنود مؤامرتها مع شريكيها في العدوان الثلاثي بينما رفضته مصر, فعنى هذا دخول القوات البريطانية والفرنسية في الحرب ضد مصر,[59] واستاء إيزنهاور من ذلك وأعلن بخطاب رسمي باليوم التالي بأنه لن يقبل استخدام القوة بهذا الشكل الخاطئ وأن على (إسرائيل) أن تسحب قواتها وتنهي الحرب.[60] وللضغط على الاطراف المشاركة بالعدوان على مصر طالب الجمعية العامة للأمم المتحدة بإصدار قرار بوقف أطلاق النار والانسحاب,[61] وفي 2 تشرين الثاني تم التصويت على هذا القرار وأيده -64- صوتاً في مقابل خمسة اصوات رافضة له وامتناع ستة أصوات عن التصويت أما الاصوات التي عارضت القرار فهي (إسرائيل) وبريطانيا وفرنسا واستراليا ونيوزلندا,[62] وأزاء ذلك قام بتعليق كافة المساعدات الامريكية المقدمة

إلى (أسرائيل) لأجبارها على وقف القتال والانسحاب[63]. فتوالت مجريات الاحداث بسرعة فائقة فما أن حل يوم 6 تشرين الثاني حتى توقف القتال بضغط كبيـــر مـــن الادارة الأمريكية ضد حلفائها,[64] وقد أمضت (إسرائيل) ثمانية أيام من القتال ضد الجيش المصري وكانت خسائرها -171- قتيلا وأسير واحـــد يضـــاف لـــذلك أن عشرين طائرة (اسرائيلية) تم اسقاطها من قبل الجيش المصري[65].

نتائج حرب السويس على سياسة الإدارة الأمريكية:

ويبقى هنا السؤال المحير لماذا لم تستغل أدارة ايزنهاور هذه الفرصة الذهبية لإزالة عبد الناصر وتعزيز نفوذها في الشرق الأوسط وكبح النفوذ الشيوعي, لكنها بدل من ذلك اختارت أن تقف ضد حلفائها؟!! أن حرب السويس كان لها أثر كبيـــر على ميزان القوى في الشرق الاوسط وعلى المهام والمســـؤوليات التـــي تحملتهـــا وقامت بها الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة بعد انتهاء هذه الحرب فقد ألحق الضرر بالسمعة البريطانية والفرنسية لدى الدول العربية من ثم قوضت الســـيطرة التقليدية التي كانت لتلك القوى الاوربية على المنطقة,[66] وجمال عبد الناصر فـــي المقابل لم يجتز هذه الازمة فقط بل ضمن مستوى أعلى من الامكانية والشعبية بين العرب كقائد قضى على الإمبراطوريات الاوربية وصمد أمام غزو عسكري قامت به (إسرائيل), وكل ذلك كان بفضل الحرب الدعائية التي شـــنها وســـاعده بـــذلك السوفييت والأمريكان لايباب يطول ايضاحها هنا. كما أن الانظمة العربية المواليـــة للغرب بدأت معرضة للخطر من الثورات القومية والناصرية المحلية[67].

على الرغم من أن عبد الناصر لم يظهر انحيازاً سريعاً ليكون موالياً للأتحاد السوفيتي ألا أن المسؤولين ألامريكيين أبدو تخوفاً من أن التحذيرات السوفيتية ضد الحلفاء الاوربيين والتي اشيع خبرها لاحقا ويكذب متقن بانها كانت تهديدات نووية, نجحت في تحسين صورة موسكو لدى الدول العربية وتحســـين صـــورة الحـــزب الشيوعي لدى الجماهير العربية، كما بدأ إن أمكانية دفع اقتراحات لمشاريع ســـلام عربي (اسرائيلي) معدومة في المستقبل القريب[68].

تعد أزمة السويس حدثاً هاماً وفاصلاً في تاريخ سياسة أمريكا الخارجية، وذلك بقلب واسقاط الاقتراحات التقليدية في الغرب حول الهيمنة الانكلوفرنسية في الشرق الاوسط، وباستفحال مشاكل القومية العربية الثورية التي تجسدت في عبد الناصر، وبإذكاء نار النزاع العربي – (الإسرائيلي) وبتهديد السماح للأتحاد السوفيتي بالتسلل داخل المنطقة، فأن حرب السويس شجعت الولايات المتحدة الامريكية نحو انخراط حقيقي وهام ومعتد في منطقة الشرق الاوسط[69]. وأدت حرب السويس نتائج بعيدة المدى على العلاقات الدبلوماسية في المنطقة، فبرزت قوة (إسرائيل) العسكرية الكبيرة,[70] من جهة ومن جهة أخرى ادت الى أنهيار القوى العسكرية الاوربية في المنطقة, صاحبها تقدم شيوعي أكبر في المنطقة العربية[71].

يضاف لذلك كله بروز حرب عربية باردة بين القوى النظامية والقوى القومية,[72] كما ادت الازمة إلى وراثة الولايات المتحدة الامريكية لنفوذ بريطانيا وفرنسا في منطقة الشرق الاوسط. وكانت أولى الشواغل الامريكية هي ضمان حلفائها التقليدين في المنطقة والذين راعهم تنامي دور مصر وشعروا بالخطر على وجودهم من قيادتها لحركات التحرر في المنطقة,[73] فعملت الاستراتيجية السياسية الامريكية في المنطقة على اتجاهين الأول كان أعلان مبدأ ايزنهاور والذي اعطى الرئيس الامريكي الحق، من دوّن الرجوع إلى الكونغرس, في تقديم المساعدات لأصدقاء أمريكا في الشرق الاوسط,[74] والثاني كان تطوير حلف بغداد الذي فشل سياسياً إلى حلف اسلامي يناهض الشيوعية من حيث المظهر ويضم جميع الدول الاسلامية، في محاولة جديدة من قبل ايزنهاور السيطرة على الدول العربية وأدخالها في مظلة النفوذ الأمريكي[75].

الهوامش

1- the new York times, 20 July 1956.
2- MARK A. BUCKNAM, THE EISENHOWER ADMINISTRATION AND THE SUEZ CRISIS: SPYING ON ALLIES AND FRIENDS, London, 2000,p.5.
3- Ibid,p.6.
4- Ibid,p.7.
5- انتوني ناتنج, ,رايت بنفسي, ط1, دار العلم للملايين, بيــروت 1958, ص .73
6- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.9.
7- Ibid,p.11.
8-the new York times, 24 July 1956.
9- Bill Jackson and Dwin Bramall, The Chiefs: The Story of the United Kingdom Chiefs of Staff (London: Brassey's, 1992), pp.297-298.
10-Anthony Nutting, No End of a Lesson: The Story of Suez (London: Constable, 1967), 34.
11- Ibid,p.35 .

(*) انتوني ايدن (1897-1977) :سياسي بريطاني تولى عدة مناصب ثانوية قبــل ان يتولى وزارة الخارجية عام 1935 وبقي في منصبه هذا لمــدة (4) أعــوام. وما أن بدأت الحرب العالمية الثانية حتى عد الرجل الثاني بالحكومة بعد تشرشل وما أن استقالة تشرشل حتى تولى هو رئاسة الــوزارة عــام (1955-1957) واشتهر بعلاقته بمصر عن طريق توقيعه معاهدة 1936 معها وتوقيــع اتفاقيــة الجلاء ومن ثم قضية السويس والعدوان الثلاثي الذي قاده على مصــر أنتهــت حياته السياسية باستقالة أجبارية ونتيجة تخلي أعضاء وزارته عنه, مــات عــام 1977: انتوني ايدن, مذكرات انتوني ايــدن 1950-1957 ثلاثــة اجــزاء ، ترجمة خليل حماد، مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت.

12- Scott Lucas and Alistair Morey, "The Hidden 'Alliance': The CIA and MI6 Before and After Suez," Intelligence and Nationa. (Summer 2000),pp. 104-106.

13- Ibid,p.109.

14-MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.11.

15- Ibid,p.12.

(**) جمعية المنتفعين:- وهي جمعية دولية لها سفن عند كل طرف من طرف قناة السويس لمواجهة أي مشكلات تطرأ على المرور في القناة بحيث تتولى مهام الابحار كاقتراح من قبل وزير الخارجية الامريكي دالاس:

- انتوني ناتنج ، ناصر ، ترجمة شاكر ابراهيم سعيد ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ص196 .

16- Rupert Murphy, diplomat among warriors , doubleday, gardecity, 1984,p.380.

17- ميثاق بيات ألضيفي, انتوني ايدن والقضية المصرية ,رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لجامعة تكريت,2002, ص 153.

18-MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.14.

19- Victor Flintham, the law national and Suez, (New York: Facts On File, 1990),p.32.

20- (Scott Lucas and listair Morey, op, cit,p.111.

(***) منتفعي قناة السويس SScuA :- وهي فكرة طرحت من مؤتمر لندن الثاني في شهر أيلول 1956 عن طريق عقد اتفاق بين الدول التي تستفيد من استخدام قناة السويس وبين شركة القناة السابقة وأجبار اصحاب البواخر بدفع الاموال مقابل، المرور بالقناة إلى هيئة مستقلة تفتح لها حبنان مصر في مستقل، ويبقى الوضع هكذا إلى أن نحل الازمة الحاصلة بين مصر وشركة القناة أهما بقية إلا أن مصر رفضت بشكل قاطع هنا الاقتراح:- ناتج ، ناصر، المصدر السابق، ص195 .

21- Harold macmillan, riding the storm : 1956-1959, macmillan, London 1971, pp.121-144.

22-Scott Lucas and Alistair Morey, op, cit,p.116.

23- Anthony Nutting, op, cit,pp.88-93.
24- Kingseed, Cole C, Victory in SUEZ ,Military Review, 22 June 1995.
25- Ibid.
26- Ibid.
27- A. J. Baker, Arab-Israeli Wars (New York: Hippocrene Books, Inc., 1980),pp. 31-40.
28- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.19.
29- Ibid,p.21.
30- Richard Aldrich, "Intelligence, Anglo-American Relations and the Suez Crisis, 1956," Review Article in Intelligence and National Security 9 no. 3 (July 1994),p.549.
31- Ibid,p.550.
32- Christopher Andrew, For the President's Eyes Only: Secret Intelligence and the American Presidency from Washington to Bush (New York: Harper Collins, 1995; paperback Harper Perennial, 1996), p.228.
33- Herman finer, Dulles over Suez, quadrangle book, Chicago 1964,p.31.
34- ديمتري شبيلوف, مشكلة قناة السويس, ترجمة محمد مندور, مطابع دار الكتاب العربي, مصر, ص ص 112-117.
35- احمد حمروش, مجتمع جمال عبد الناصر,ط1, المؤسسة العربية للدراسات, بيروت 1977, ص ص 97-98.
36- un document s/3675.
37- Richard Aldrich, op, cit,p.563.
38- Anthony Nutting, op, cit,.110.
39- Christopher Andrew, op, cit,p.229.
40- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.24.
41- Ibid,p.25.
42- James Bamford, The Puzzle Palace: A Report on NSA, America's Most Secret Agency (Boston: Houghton Mifflin Company, 1982),p. 320.

43- Ibid,p.321.
44- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.34.
45- Ibid,p.35.
46- Ibid,p.36.
47- Ibid,pp.37-40.
48- James Bamford, The Puzzle Palace: A Report on NSA, America's Most Secret Agency, (Boston: Houghton Mifflin Company, 1982), p.320.

(****) غي مولية (1905-1975)، سياسي فرنسي، ورئيس وزراء ، عمل في التدريس وقاوم الاحتلال الالماني لفرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، فاصبح سكرتيراً للحزب الاشتراكي الفرنسي خلال الاعوام (1946-1969) أصبح رئيساً للوزراء 1956 ، وارسل القوات الفرنسية للقضاء على الثورة الجزائرية وللمشاركة في العدوان على مصر، سقطت حكومته عام 1957:-

Ar.wikipedia . org.op .cit .

49- James Bamford, The Puzzle Palace: A Report on NSA, America's Most Secret Agency, op, cit ,p.323.
50- Paul Greengrass, Spy Catcher: The Candid Autobiography of a Senior Intelligence Officer (New York: Viking, 1987), pp.82-86.
51- Scott Lucas and Alistair Morey, op, cit,p.139.
52- John Ranelagh, The Agency: The Rise and Decline of the CIA, revised and updated (New York: Simon & Schuster, 1987), p.301.
53- Department of state , united state policy in the middle east , September 1956- June 1957, us government printing office, Washington 1957,p.135.
54- P.w. Thayer, tensions in the middle east , john Hopkins press, Baltimore 1958,p.72.
55- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.40.
56- Ibid,p.45.
57- The jewish virtual library , a division of the amrican – israel cooperative enterprise, 2007,p.1024.

58- Documents on Contadina external relations, decr, volume 11.
59- Donald Neff, Warriors at Suez: Eisenhower Takes America into the Middle East in 1956 (Brattleboro, Vt.: Amana Books, 1988),p.115.
60- Ibid,p.119.
61- Un document a/3276.
62- Sheldon L, Robert, "Ancient History": U.S. Conduct in the Middle East Since World war Il and the Folly Of Intervention, boston 1997,p.154.
63- Un document a /3306.
64- Michael H. Coles, SUEZ, 1956: A Successful Naval Operation Compromised by Inept Political Leadership, (Washington, 1982), p. 223.
65- (Lidll, f.mark, Expeditionary Warfare: America's Way of War" at the U.S. Naval Academy, Annapolis, Maryland, 7–8 April 2005.
66- Michael H. Coles, op, cit,p.252.
67- Lidll, f.mark, op, cit.
68- Ibid.
69- U.S. State Dept., Foreign Relations of theUnited States: The Suez Crisis, 1956 (Wash-ington, D.C.: Office of the Historian, 1990) [hereafter FRUS], p. 723.
70- Ibid,p.746.
71- Michael H. Coles, op, cit,p.266.
72- U.S. State Dept, op, cit,p.749.
73- Diane B. Kunz, The Economic Diplomacy of the Suez Crisis (ChapelHill: Univ. of North Carolina Press, 1991), pp. 91–134.
74- Michael H. Coles, op, cit,p.303.
75- Diane B. Kunz, op, cit, p.136.

الباب السادس

دور دوايت إيزنهاور في جبره (اسرائيل) الانسحاب من مصر

دور دوايت إيزنهاور في جبره (اسرائيل) الانسحاب من مصر

بتوقف أطلاق النار بدأت معركة سياسية شرسة حول الانسحاب من بور سعيد وشبه جزيرة سيناء ، فلقد أختلفت المصالح وكان موقف الولايات المتحدة الامريكية محوري في هذه الأزمة[1]. وبصفة عامة انتهجت الولايات المتحدة الامريكية سياسة غير ودية تجاه (اسرائيل) لتضارب المصالح بينهما ورغبة امريكا في استمالت اصدقائها العرب[2], يضاف لذلك أن ايزنهاور لم يجد أمام العالم أي مبرر سياسي أو قانوني يعطي (لاسرائيل) حق البقاء في سيناء، فضلاً عن خطر أن تفقد الولايات المتحدة الامريكية كل أصدقائها العرب في وسط المد الشعبي العربي عقب فشل العدوان الذي كان يشكل ضغطاً سياسياً هائلاً على الحكومات العربية الحليفة لها[3].

وفي الواقع فأن بن جوريون أعلن في 7 تشرين الثاني 1956 ما يسمى ب(خطاب النصر) في الكنيست (الاسرائيلي) واعلن ضم مناطق بور سعيد وشبه جزيرة سيناء إلى (اسرائيل)[4], وفي مساء ذات اليوم عقد مجلس الوزراء (الاسرائيلي) جلسة خصصت لمناقشة ضم الاراضي التي أعلن عنها بن جوريون في خطابه المذكور ، وقد قام المجلس بتعديل ضم تلك الاراضي وأقتصر على سيناء وغزة[5].

اثار خطاب بن جوريون في الكنيست ردود فعل دولية كبيرة بسبب ان هذه الاراضي تابعة لدولة أخرى فضلاً عن العبارات العنصرية التي استخدمها في خطابة والنغمة المتغطرسة التي كان يتكلم به,[6] وأثار الامم المتحدة فعقدت جلسة لمناقشة رفض اسرائيل الانسحاب من الأراضي المصرية ومن غير شروط وبشكل

فوري، واصدرت الأمم المتحدة قرارا يقضي بوجوب سحب (اسرائيل) جميع قواتها من الاراضي المصرية, لكن اسرائيل رفضت تنفيذ هذا القرار[7] . أزاء ذلك كان لا بد لإدارة ايزنهاور من التدخل بشكل فعلي وقوي لأجبار (اسرائيل) على سحب قواتها من مصر، وكان ما يدفع الأدارة الامريكية على ذلك هو خوفها من التدخل الشيوعي في المنطقة[8], ونتيجة لذلك قابل دالاس السفير (الاسرائيلي) في واشنطن وطلب منه سحب القوات (الاسرائيلية) من الاراضي المصرية وإلا سيتم فرض أجراءات قصرية وجزائية من الأمم المتحدة ضد اسرائيل يعقبها طرد (أسرائيل) من الامم المتحدة[9], وحاول السفير (الاسرائيلي) الضغط على دالاس لمنح (اسرائيل) فرصة أكبر للتعامل مع هذا الموضوع إذ إنها كانت تتعرض لهجمات الفدائيين العرب ضد المستوطنين فيها ,كما طلب من دالاس عقد مقابلة لبن جوريون مع الرئيس ايزنهاور لبحث الموضوع بشكل أعمق[10]. ولما وصل الطلب (الاسرائيلي) إلى ايزنهاور رفض ذلك بشدة وأكد أن أي مقابلة مع بن جوريون لن تعقد إلا بعد الانسحاب (الاسرائيلي)[11].

ما أن وصلت مواقف الادارة الامريكية إلى بن جوريون حتى سارع إلى عقد أجتماع طارئ لمجلس الوزراء (الاسرائيلي) في 8 تشرين الثاني 1956 واستمرت الجلسة الوزارية لمدة ثمان ساعات وافقت فيها على الانسحاب[12], أي الانسحاب من الاراضي المصرية أمر لابد منه بالنسبة (لإسرائيل). لكن بن جوريون اشترط لذلك أن يتواجد الأمن (الاسرائيلي) في غزة فضلاً عن التزام مصر الكامل بعدم السماح للفدائيين بالهجوم على الاراضي (الاسرائيلية)[13], وسرعان مارفض ايزنهاور الشروط (الاسرائيلية* قابلة في ذات الوقت رفض الأمين العام للأمم المتحدة (هامرشولد) تلك الشروط.[14]

وصلت إلى بن جوريون رسالة عاجلة من ايزنهاور يسأله فيها عن اسباب الرفض (الاسرائيلي) للأنسحاب[15], وقد أجاب بن جوريون على ذلك بقوله أن مصر طالما أستخدمت الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل الآن لأرسال الفدائيين

ضد المدنيين (الاسرائيليين)، وان (اسرائيل) لا تستطيع أن تنسحب بـدون ضـمان الامن التام في تلك الأراضي[16], وفي نهاية رسالة بن جوريون طالـب ايزنهـاور بضمان حق (اسرائيل) باستخدام قناة السويس[17]. ما أن استلم دالاس رسـالة بـن جوريون عن طريق السفير (الاسرائيلي) في واشنطن حتى أوصلها لأيزنهاور فـي يوم 15 تشرين الثاني 1956 وما أن قرأها حتى رفض كل الطلبات (الاسـرائيلية) وأكد على ضرورة الانسحاب غير المشروط[18].

وقد أوصلت هذه المسألة العلاقات بين أمريكا و(اسرائيل) إلى واقع جديد مما دفع (اسرائيل) إلى العمل بطريقة أو بأخرى لاستيعاب الغضب الأمريكـي عليهـا وحاولت أكثر مرة تعبيد العلاقات من جديد فقامت بإرسال (جولـدا مـائير) إلـى واشنطن لمقابلة الرئيس ايزنهاور لكنه رفض مقابلتها وأوعز إلى وزير خارجيتـه دالاس لمقابلتها[19], فالتقى بها دالاس في 27 كانون الأول 1956 وأكد لها رفـض الرئيس ايزنهاور للشروط (الاسرائيلية) وأنه يجب أتمام الانسحاب من غير شروط كما أكد لها أن الولايات المتحدة الامريكية لن تقف مـع (اسـرائيل) أن لـم يـتم الانسحاب بلا شروط[20].

لقد أثار موضوع الاحتلال (الاسرائيلي) للأراضي المصرية معظم دول العالم مما دفع الامم المتحدة لأصدار قرار آخر في 19 كـانون الثـاني1957 يطالـب (اسرائيل) فيها بانسحاب كامل وبلا شروط[21], وقد أدخـل هـذا الأمـر الـدول الصناعية المعتمدة على النفط في مأزق كبير بسبب رفض عبد الناصر فـتح قنـاة السويس قبل أن يتحقق الانسحاب (الاسرائيلي) من الاراضي المصرية هذا من جهة ومن جهة أخرى دعمت البلدان العربية الموقف المصري وقد ظهـر ذلـك علنـاً برفضها لمذهب إيزنهاور[22]. هذا كله أدخل ايزنهاور في دوامه من المشاكل بسبب الضغط العربي عليه لأقناع (اسرائيل) بالانسحاب من الاراضي المصرية كي يفتح عبد الناصر قناة السويس ليسير عبرها النفط إلى الغرب[23]، هذا من جهـة ومـن جهة أخرى أوقع الاحتلال (الاسرائيلي) ايزنهاور بأزمة رفض لدى عدد كبير مـن

الدول العربية مما عنى ذلك له أن (اسرائيل) تساهم بشكل واضح بفتح باب الشرق الاوسط للنفوذ الشيوعي[24].

وما أن أقرت الأمم المتحدة قرارها الجديد ضد (أسرائيل) حتى سارع بن جوريون إلى طلب مقابلة ايزنهاور لكنه سرعان ما تسلم رفضاً كاملاً من قبل الخارجية الأمريكية[25]، فقام في 23 كانون الثاني 1957 بأرسال رسالة إلى ايزنهاور ضمنها شروحات حول الآراء (الاسرائيلية) بالمطالبة بضمانات كاملة للشروط التي وضعتها لأتمام الانسحاب[26].

في ذات اليوم قام (75) من أعضاء الكونغرس والذين ينتمون إلى الحزب الديمقراطي بتوجيه برقية إلى الادارة الامريكية تضمنت أعتراضهم الكامل على الضغط الامريكي على اسرائيل للقيام بسحب قواتها من الاراضي المصرية وأكدوا على احقية (اسرائيل) في المرور عبر قناة السويس[27]. وبعد يومين من ذلك قام أعضاء الكونغرس الامريكي بمطالبة الامم المتحدة بنشر قوات دولية في غزة وسيناء وشرم الشيخ لمنع عبد الناصر من توظيف تلك المناطق في الهجوم على اسرائيل وأكدوا أن (اسرائيل) بلد مسالم لا يبحث من كل ذلك إلا على تحقيق السلام!![28].

لم يتأثر أيزنهاور بما قام به أعضاء الكونغرس الامريكي بل عمل على أرسال برقية إلى بن جوريون في 3 شباط 1957 هدده فيها بأصدار عقوبات جديدة من الأمم المتحدة ضد (أسرائيل) إذا استمرت ممانعتها للانسحاب غير المشروط[29], وكرر دالاس ذلك التهديد في مؤتمر صحفي عقد له في (5 شباط 1957) في واشنطن[30].

أوقع هذا الأمر خلافات كبيرة ما بين الادارة الامريكية والكونغرس الامريكي مما أدى إلى انضواء اعضاء الحزبين الديمقراطي والجمهوري في كفة واحدة ضد الأدارة الامريكية,[31] اعقبه قيام اللوبي الصهيوني الأمريكي بأستخدام الاعلام

الامريكي لنشر مقالات كثيرة تدين كل من ايزنهاور ودالاس باعتبـارهم معـادين للسامية[32]. وأزاء هذه الضغوط قام دالاس في 11 شـباط 1957 بتقـديم بعـض الاقتراحات للحكومة (الاسرائيلية) لحل هذه الازمة، وارتكـزت اقتراحاتـه علـى انسحاب (اسرائيل) بموجب توصيات الجمعية العامة للأمم المتحـدة مقابـل ذلـك تستخدم الولايات المتحدة كامل تأثيرها في تأمين مسـألة تسـهيل مـرور السـفن (الاسرائيلية) عبر طرق النقل المائية التابعة لدول عربية و دوليـة[33], وفـي ذات الوقت الذي تنسحب فيه إسرائيل من قطاع غزة يجب أن يحل محلها قوات تابعـة للأمم المتحدة. لكن ذلك لم ينفع بانسحاب القوات (الاسرائيلية) ولا بتوقف الحملـة الاعلامية التي شنها اللوبي الصهيوني في الاعلام الامريكي ضد الادارة الامريكية وصاحب ذلك كله اتهامات جديدة من قبل اللوبي الصهيوني لأدارة ايزنهاور بأنهـا تعمل مع الدول الافريقية والاسيوية على فرض عقوبات اقتصادية وعسكرية علـى (اسرائيل) لأجبارها على القبول بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالانسحاب[34].

ولأن الضغط الصهيوني لم يؤدِ إلى نتيجة مستمرة مع الادارة الامريكية فـي داخل أمريكا عملت الصهيونية على توجيه ضغط دولي على ادارة ايزنهـاور فـي مساندة صبرها على الضغوطات الامريكية الكبيرة فعملت على جذب كل من كنـدا وفرنسا والمانيا الغربية لجانبها[35], عبر أعلان كندا أنها لن تتعاون مع العقوبـات التي تهدد الأمم المتحدة بفرضها على (اسرائيل)[36]، اما المانيا الغربية فأعلنت أنها ترفض تعليق دفع التعويضات للحكومة (الاسرائيلية)[37]، أما الجانب الفرنسي فقـد أعلن بأنه سيقدم قرضا" مالياً يقارب من 30 مليون دولار (لإسرائيل) وسيعمل على زيادة التبادل التجاري معها[38]، وقد أرادت اسرائيل من ذلك كله الضغط على ادارة ايزنهاور لتغيير موقفه اتجاهها، فضلاً عن الايعاز لإدارة ايزنهاور بأن (اسـرائيل) لها من يدعمها في اوربا والعالم على الرغم من غضب امريكا عليها[39].

لقد أثار موقف الادارة الامريكية الحزب الديمقراطي والذي عرف بمسـاندة الواسعة للحركة الصهيونية و(أسرائيل)[40], مما دفع زعيمه أنذاك هـو السـينانور

(لندون جونسون)[*] والذي كان انذاك يشغل زعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ الامريكي بتوجيهه في 19 شباط 1957 رسالة إلى دالاس حثه فيها على معارضة فرض العقوبات الاقتصادية والتي كانت تهدد بها الامم المتحدة على(اسرائيل)[41]، ومما يذكر أن رسالة جونسون قد وقع عليها أغلب اعضاء مجلس الشيوخ بشقيه الديمقراطي والجمهوري[42].

وأزاء انشغال مجلس الشيوخ بهذا الامر فقد شكل لجنة من كبار اعضائه ومن الحزبيين الديمقراطي والجمهوري وقابلوا ايزنهاور في 20 شباط 1957 وطالبوه بشكل مباشر بمساندة (اسرائيل) وعدم الضغط عليها وفرض الحماية الامريكية عليها[43]، لكن ايزنهاور رفض ذلك بشدة وعلل رفضه أن (اسرائيل) بموقفها هذا تفتح الباب للنفوذ الشيوعي في الشرق الاوسط وأنه لا بد من أنسحابها بغير شروط[44], وما ان أنتهى الاجتماع حتى قام ايزنهاور بارسال رسالة إلى بن جوريون أكد له فيها بأن بلاده ستؤيد قرار الامم المتحدة بفرض عقوبات اقتصادية على اسرائيل إذا لم توافق (اسرائيل) على الانسحاب بغير شروط[45]. وفي ذات الليلة ظهر ايزنهاور على قنوات التلفاز الامريكية والقى خطاباً موجهاً إلى الشعب الامريكي بين فيه موقف ادارته أزاء قضية الانسحاب (الاسرائيلي) من الاراضي المصرية وأكد أنه يجب ان يتم بلا شروط والا ستقف أدارته مع العقوبات التي ستفرضها الأمم المتحدة ضد (اسرائيل)[46], وقد حاول أيزنهاور من ذلك كسب التأييد من الشعب الامريكي لموقفه هذا.

وفي محاولة من دالاس لكسب تأييد أكبر لموقف ادارته قام بمقابلة عدد من ابرز رجال الاعمال اليهود والذين كانوا في الوقت نفسه من زعماء اللوبي الصهيوني في أمريكا في محاولة منه للحصول على دعمهم,[47] وبعد ان شرح موقف ادارة ايزنهاور من قضية الانسحاب (الاسرائيلي) أكد لهم أن كل ذلك سيكون في المصلحة (الاسرائيلية) في نهاية الأمر لكنهم رفضوا بشكل علني الوقوف مع ايزنهاور و دالاس ضد (اسرائيل) وأكدوا أن موقف الأدارة الامريكية موقف خاطئ

أخلاقياً[48]. وفي ذات اليوم قابل دالاس السفير (الاسرائيلي) في واشنطن وقدم لـه مذكرة فيها توضيح كامل لوجهة النظر الامريكية أضافة إلى الرغبة الامريكية في هذا الامر من دون التقليل من قيمة (اسرائيل) في المنطقة لكن السفير (الاسرائيلي) طالب بضمان كامل (لاسرائيل) من قبل الولايات المتحدة مما آثار غضب دالاس ومن ثم ايزنهاور الذي كان يؤكد على ان المهم في هذا الوقت هو منع الشيوعيين من الدخول إلى المنطقة فلا بد من مجاراة (اسرائيل) للمصالح الامريكية والغربية في الشرق الاوسط[49].

بعد عدة لقاءات أخرى ما بين دالاس والسفير (الاسرائيلي) في واشنطن وكان كل منهما يمثل رئيسه, دالاس يمثل ايزنهاور وابيان يمثل بن جوريون واستطاعا أن يتوصلا في 28 شباط1957 إلى اتفاق بسحب القوات (الاسرائيلية) من غير شروط,[50] وأزاء ذلك ضمنت (اسرائيل) عودة التأييد الامريكي لها بتقديم أمريكا للمساعدات الاقتصادية والعسكرية وضمان حصولها على مساعدات مالية من قبل اللوبي الصهيوني في أمريكا والحصول على القروض والمنح والكثير من المسائل التي تغيب عن الأذهان[51].

في الأول من آذار اعلنت وزيرة الخارجية (الاسرائيلية) جولدا مائير بأن (اسرائيل) ستنسحب من سيناء وغزة وان هذا الانسحاب سيتم في 7 آذار[52], في اليوم التالي أرسل ايزنهاور رسالة إلى بن جوريون معلناً عن سعادته بالموافقة (الاسرائيلية) على ما أراد ومؤكد على الصداقة الامريكية- (الاسرائيلية)[53], ورد بن جوريون على ايزنهاور ببرقية أكد فيها على ان انسحابه جاء إرضاء لأمريكا فقط وبأنه سيتعاون مع الادارة الامريكية إلى أقصى حد[54], وهكذا انتهت هذه المسألة.

مما يذكر في هذه القضية هو بروز التأييد الأعمى لزعيم الاغلبية في مجلس الشيوخ الامريكي لندون جونسون والذي كان من أبرز قادة الحرب الديمقراطي

حيث كتب رسالة إلى دالاس ، كما ذكرنا من قبل بضرورة عدم دعم امريكــا لأي عقوبات من قبل الامم المتحدة ضد (اسرائيل) كما قام بنشر تلك الرسالة في جريدة نيويورك تايمز في (20 شباط 1957)[55], وأكــد أن الادارة الامريكيــة تســتخدم سياسة ذات وجهين فهي من جهة تفرض الشروط والعقوبــات علــى بلــد مســالم وصغير مثل (اسرائيل)!! بينما لا تستطيع أن تفعل شيئاً أمام بلد كبيــر كالاتحــاد السوفيتي[56]. كما قام جونسون بحث الديمقراطيين وحتى الجمهوريين بمعارضــة فرض أي عقوبات ضد اسرائيل, وبذلك أستخدم السياسة المدنية لأجبار ايزنهــاور على التراجع[57], وحاول في نهاية شباط واثر اعلامه من قبل اسرائيل بنفاذ المــال لديها، حاول جمع الأموال من قبل انصار (اسرائيل) في أمريكــا وأرســاله إليهــا لحمايتها من الوقوع في الإذلال المتوقع من الأمم المتحدة[58]. وهكذا يتضح بشــكل كبير التأييد الواضح لجونسون لأسرائيل في أزمة الســويس وبعــدها فــي حــرب 1967[*] والطريقة التي وصل فيها للحكم بمقتل كندي ولعلنا قد نلاحظ من ذلك من قتل كندي والكيفية التي أوصلت نائبة إلى الحكم .

لقد مارس أيزنهاور ودالاس ضغط كبير على (اسرائيل) لسحب قواتها مــن الاراضي المصرية ومن غزة ، وكان هذا عملاً جيداً لهذه الادارة وان قامــت بــه للحفاظ على مصالحها في الشرق الاوسط ولخوفها من دخــول نــد عنيــد وقــوي كالاتحاد السوفيتي, وفيما يبدو كان كلا من ايزنهاور ودالاس مؤمن بشكل كبير بما يفعل, لكن هذا الأمر وهذا الايمان وهذا الاقتناع بما قاموا به قد تغير خصوصاً بعد وفاة دالاس في عام 1959 ونهاية الفترة الرئاسية لايزنهاور, إذ اعترف ايزنهــاور لعدة اشخاص ومن بينهم نائبه نكسون, بأنه كلما كان يفكر بما قام به أبــان ازمــة السويس كان يصل إلى أن ما قام به كان خطأً" كاملاً[59]، لأنه أوصل عبد الناصــر لحالة كبيرة من الطيش والتدهور والعدوانية وزرع في ذات الوقت بــذور حــرب أخرى في الشرق الاوسط وأنه لولا أن هذه المسألة جرت في أثناء الحملة الانتخابية الرئاسية لكان قراره مختلفاً!![60] كما أنه نادم جداً لإجبار (اسرائيل) على الانسحاب

من الاراضي التي احتلتها أنذاك!![61] وأكد ايزنهاور لنكسون مع أنه كـــان يهوديـــاً لكنه أخطأ خطأ جسيماً بعدم وضع مستشار صهيوني له[62]. فأن يهودية ايزنهـــاور لم تفلح في فهم ما أراده الصهاينة منه انذاك!! .

الهوامش

1- Foreign Relations of the United States, op, cit,p.703.
2- Bill Jackson and Dwin Bramall, op, cit,p.318.
3- The President's Special Assistant (Richards) to the State Department, 4 May 1957, Foreign Relations of the United States, 1955-1957, vol. XVII, The Arab-Israeli Dispute 1957 (Washington: United States Government Printing Office, 1990),p.664.
4- ibid,P.665
5- Ben-Gurion, Israel's Sovereignty and Britain's Policy in the Middle East, 1949-1959 (Hebrew) (Sede-Boker, 1992),p.47.
6- Jan Morris, Fisher's Face;or, Getting to Know the Admiral (New York:Random House, 1995), p. 136.
7- Jan Morris, op.cit,p.146.
8- Ben-Gurion, op, cit,p.55.
9- Michael R. Beschloss, Mayday: Eisenhower,Khrushchev and the U-2 Affair (New York:Harper and Row, 1986), pp. 137–139.
10- Abba Eban, Personal Witness: Israel through My Eyes (New York, 1992), p.129.
11- Ibid,p.133.
12- Michael R. Beschloss, op, cit,p.140.
13- Ben-Gurion, op, cit,p.57.
14- Ibid,p.58.
15- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.56.
16- The President's Special Assistant (Richards) to the State Department, op,cit,p.669.
17- Ben-Gurion, op, cit,p.58.
18- Ibid,p.60.
19- Robert Henriques, A Hundred Hours to Suez: The Epic Story of Israel's Smashing Victory in the First Sinai Campaign (New York: Pyramid Books, 1959), p. 172.
20- Ibid,p.177.

21- Lidll, f.mark, op,cit.
22- Michael H. Coles, op, cit,p.302.
23- Harvey O'Connor, World Crisis in Oil (New York: Monthly Review Press, 1962), pp. 271-365.
24- Michael H. Coles, op, cit,p,303.
25- The President's Special Assistant (Richards) to the State Department, op, cit,pp.675-678.
26- Ben-Gurion, op, cit,p.60.
27- The new York times, 24 January 1957.
28- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p,61.
29- Robert Henriques, op, cit,pp.179.
30- The new York times, 6 February 1957.
31- Admiralty Dept. of Operational Research, re-port, ADM 1/27051, 10 July 1958, pp. 2–4.
32- Isaiah L. Kenen,op, cit,p.151.
33- aJutland, Adm, "special relationship, New York Times, 13May1958.
34- Ibid.
35- Kunz ,Edward, Israel Economic Diplomacy of the Suez Crisis, (New York: Harper and Row, 1991), p.47.
36- Ibid,p.60.
37- Ibid,pp.63-65.
38- Ibid,p.72.
39- Ibid,pp.77-84.
40- Leonard Mosely, Dulles, (New York: Dell, 1978), p. 446.

(*) لندون جونسون(1908–1973): هو الرئيس (36) للولايات المتحدة الامريكية شغل المنصب (1963–1969)، وجاء ذلك بعد عمله لفترة طويلة في الكونغرس الامريكي وشغل كذلك منصب نائب الرئيس كندي,ووقف مع اسرائيل ضد العرب عام 1967. أنهارت شعبيته منذ عام 1966 اثر مشاكل داخلية وخارجية فاضطر الى الانسحاب من السباق الرئاسي 1968 . ar.wikipedia .org.op.cit.

41- Leonard Mosely, Dulles, op, cit ,p.449.

42- the new York times, 6 February 1957.
43- Kunz ,Edward, op, cit.
44- Ibid.
45- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.73.
46- Daniella Ashkenazy, "Israel and the Suez ," Link magazine (December 1994), pp. 41-74.
47- the new York times, 20 February 1957.
48- Kunz ,Edward, op, cit.
49- Abba Eban, op, cit,p.141.
50- Ibid,pp.142-158.
51- Gerald M. Steinberg, "Israel and the United States: Can the Special Relationship Survive the New Strategic Environment?" Middle East Review of International Affairs , November 1998.
52- George Will, Israel policy in middle east, Washington Post, November 1, 2001.
53- Gerald M. Steinberg, op, cit.
54- MARK A. BUCKNAM, op, cit,p.80.
55- the new York times, 20 February 1957.
56- Daniella Ashkenazy, op, cit,p.64.
57- Ibid,p.65.
58- Ibid,pp.66-69.

(*) حرب 1967:- هي حرب الايام الستة، وحدثت عام 1967 بين اسرائيل والتي كانت مدعومة بشكل كامل من الولايات المتحدة، مع كل من مصر وسوريا والاردن وانتهت بانتصار اسرائيل . وتعد حرب 1967 الحرب الثالثة ضمن سلسلة الحروب التي خاضتها اسرائيل مع العرب , وتسمى عند العرب بأسم النكسة . ar.wikipedia .org.op.cit.

59- Joseph Lerner, Eisenhower Regretted He Pushed For Sinai Withdrawal, (Annapolis, Md.: Naval Institute Press, 1989), p.77.
60- Max M. Fisher, Quiet Diplomat, (New York: Knopf, 2005),p.39.
61- Ibid,p.41; Joseph Lerner, op, cit,p.85.
62- Max M. Fisher, op, cit,p.43.

الباب السابع

موجز سياسة بنيامين دزرائيلي الخارجية

الباب السابع

موجز سياسة بنيامين دزرائيلي الخارجية

ما ان اجريت الانتخابات البرلمانية في عام 1874، حتى حقق حزب المحافظين نصراً واسعا, فشكل بنيامين دزرائيلي رئيس الحزب حكومته الوزارية التي استمرت حتى عام 1880[1]. وكان يعد السياسة الخارجية محورا فلكيا لأهم واجبات رجال الدولة, ويرى ان على بريطانيا ان تعزز من علاقاتها الدبلوماسية، ويجب عليها ان تحضى بالزعامة الدبلوماسية لاوربا[2]، لذا عمل لجعل السياسة الخارجية من الامور الأساسية على لائحة الاجندة الوطنية, بجعل بريطانيا قوة اوربية كبيرة وقوة امبريالية[3], ولهذا كله فقد اعطى اهتماماً كبيراً لصيغة الامبراطورية وكان يعتبر الهند من الاماكن التي لها مكانة مميزة في الفحوى الدائمة لاستمراريتها[4]. وقد عنت عبارة الامبراطورية الكثير لدزرائيلي لانه ومن خلالها عد الهند جزءاً لا يتجزأ من انكلترا وقال ان الصعوبات التي تواجهها الهند هي بالتالي ستواجه بريطانيا. واوضح مرارا بأن ممتلكات الهند تعزز من اقتصاد بريطانيا، مما سيجعل بريطانيا توظف الهند وتستخدمها كسلاح في اية مواجهة اقتصادية لاجبار البلدان الاخرى على خفض الضرائب[5].

كانت بداية امبريالية دزرائيلي قد برزت في الحملة الحبشية لعام 1867، ولكونه كان وزيرا للمالية وزعيما لمجلس العموم البريطاني، فانه قام بتشجيع ارسال قوة استكشافية من اجل انقاذ الاسرى البريطانيين هناك[6] وهكذا اكدت بريطانيا مكانتها كقوة عظمى. وقد حدث هذا في الوقت الذي كانت الحكومة تواجه ازمة داخلية تتعلق بالاصلاحات البرلمانية[7] لذلك احتاجت الحكومة الى دعم شعبي. وقد تجادل المؤرخين حول كون هذين الحدثين جريا بالصدفة ام كونها كانا مفتعلين[8].

إن الانجازات الرئيسة لوزارة الخارجية البريطانية خلال الفترة 1874-1880 يمكن ايجازها: شراء حصص شركة قناة السويس[9]، حصول الملكة على لقب الامبراطورة على الامبراطورية الهندية[10]، بريطانيا وازمة الشرق الادنى (المسألة الشرقية)[11]، الدور البريطاني في مؤتمر برلين[12]، الحرب الافغانية الثانية[13]، وحرب جنوب افريقي[14]. لكن لم تتدخل بريطانيا بكل هذه الامور لو لا ارتباطها وتاثيرها على حدود امبراطوريتها في الهند . اردفها دزرائيلي بتعزيز السياسة الخارجية البريطانية لان هذا من شأنه كله ان يقوي ويعزز مكانة بريطانيا وهيبتها في اوربا[14].

حاز دزرائيلي في 1875على فرصة مناسبة من اجل التظاهر بان الحكومة البريطانية ليست مستعدة ان تبقى مكتوفة الايدي ومنعزلة في القضايا العالمية, لاسيما بعد الاشاعات التي ظهرت وانتشرت في 1871 عن نية المانيا لمهاجمة فرنسا واحتلالها مرة اخرى، وهذا ما جعل دزرائيلي يتدخل بالامر ويسافر الى روسيا وليتحرى عن الامر بدقة . كما راسل بسمارك والذي اكد بدوره انه ليس في نيته مهاجمة فرنسا والقى باللوم على اصدار هذه الاشاعات على الصحف الالمانية.[15] وبهذا التدخل أكد دزرائيلي للساسة الفرنسيين عن رغبة المانيا بالسلام وهكذا انتهت مخاوف الحرب. وبموقفه هذا أكد دزرائيلي على تغير السياسة الخارجية البريطانية وانتهاء فترة العزلة المجيدة. كما ان التعاون مع روسيا استمال خيال دزرائيلي وبدأ يفكر في بنود الاتفاق بين بريطانيا وروسيا.[16]

شراء اسهم قناة السويس:

عارضت بريطانيا انشاء القناة لانها تعرض الامبراطورية الهندية لخطر اساطيل القوى الاوربي[17]، بعد ذلك رفضت بريطانيا ان تاخذ اي حصص لها[18]. وكان دي ليسيبس De Lesseps مستاءاً من المعاملة البريطانية له مما زاد من ارتفاع الديون الواجبة على السفن البريطانية[19]، لكن عند وصول المحافظين الى السلطة توصلوا الى قرار وهو ان عدم شراء حصص شركة قناة السويس هو ليس

الا مجرد غلطة, بما ان قناة السويس على طريق الهند فبكل تاكيد سيكون من الافضل حماية المصالح البريطانية عن طريق المشاركة في القرارات لحكم القناة.[20]

واجه خديوي مصر الخديوي اسماعيل في عام 1875حالة مالية حرجة حيث كان يبحث عن شاري لحصصه في القناة, لهذا قام باجراء مفاوضات لبيع حصصه، ولما علم دزرائيلي بالامر حاول حسم القضية لمصلحته بكل حنكة ومهارة ودبلوماسية رفيعة[21]. في الحقيقة يرجع سبب عرض الخديوي اسماعيل باشا لحصصه في القناة للبيع لانه كان مستدينا مبلغ من المال فعرض حصصه بمبلغ اربعة ملايين باوند في 30 تشرين الثاني 1875[22]، حاول دزرائيلي ترتيب هذا المبلغ من دون ان يستشير البرلمان، عن طريق صداقته مع روث شيلد Roth Schilds وهم المسؤولين عن اغلب البنوك العالمية[23], وهكذا اشترى حصص الخديوي. وهنا اصبحت بريطانيا اكبر مشترك في اسهم شركة قناة السويس, فحصل دزرائيلي على دعم كامل من الملكة، ومن امير ويلز، ومن المحافظ العام للهند، اضافة الى موافقة كل اعضاء الوزارة البريطانية[24]. وان شراء حصص قناة السويس اثارت الرأي العام في بريطانيا في بادئ الامر وبعد فترة من التردد والارتباك تم الترحيب بهذا الامر اذ عد انتصار وطني, وعد بأنه خطوة دبلوماسية واستراتيجية مهمة لتأكيد القوة البريطانية امام البلدان الاوربية والتي اعتادت تجاهل بريطانيا[25]. وفي البرلمان اوضح دزرائيلي ان هذه الخطوة هي ليست مجرد انجازاً ماديا لكنه تحول سياسي مهم على المنطقة بأسرها لان هذه القناة تؤمن لبريطانيا الطريق سالك الى الهند ومن المهم ان نشير هنا بان مجلس العموم البريطاني قد صوت على الموافقة الاجماعية لشراء اسهم قناة السويس[26].

استعراض الصلة الهندية:

رتب دزرائيلي زيارة الامير ويلز الى الهند لتباهي بالامبراطورية البريطانية في الهند وليبين اهميتها بالنسبة لبريطانيا[27]. وقد كان الامير يتمنى زيارة

الامبراطورية، ونالت هذه الفكرة استحسان دزرائيلي لانه كان يعتقد ان العلاقات الشخصية والاحتفالات ستجعل بريطانيا والهند قريبة من بعضها البعض[28]. لكن كانت هناك مشكلة هي صعوبة التمويل لتحقيق مثل هذا الغرض لذلك عرض الامر على مجلس العموم البريطاني والذي اقر 52.000 دولار من اجل رحلة الامير ولحفلته وكان على الحكومة الهندية ان تقيم الاحتفال وقدم المجلس ايضاً 60.000 دولار لنفقات الامير الشخصية[29].

وقد قررت الحكومة في 1876م ان تكون الملكة فكتوريا "امبراطورية الهند" في هذه الاثناء قدم دزرائيلي قائمة العناوين الملكية لمجلس العموم البريطاني ،وبين ان هذه العناوين تبين لاوربا مدى اهمية الهند بالنسبة لبريطانيا, ولم يعارض المجلس محتويات القائمة، لكن كانت هناك معارضة من الجانب الدستوري لكن الامر دبر وفي الاول من كانون الثاني 1877 تم اعلان لقب الملكة فكتوريا امبراطورة الهند وتم الاحتفال بذلك وهكذا اقيم عشاء على شرف الملكة للاحتفال بهذه المناسبة وقد قامت فيها بأرتداء المجوهرات التي قدمت اليها من الحكام الهنود[30].

أزمة الشرق الادنى (المسألة الشرقية):

الثورة في البلقان:

حدثت ثورة في تموز 1875 ضد الاحتلال العثماني في البوسنة والهرسك Herzegorina[31] وكان هناك تعاطف شعبي مع الثائرين في كلا من صربيا ومونتنيغرو ادى هذا الى انسياق هاتين الدولتين الى الصراع مع العثمانيين, وكان هناك تعاطف لهم بين اوساط السلافيين Pan Slav في روسيا, وحتى النمسا – هنغاريا لم تستطع ان تبقى غير مكترثة لما يجري على الساحة، لان الالاف من الصربيين والكرواتيين بدأوا يدخلون حدودها هربا من العثمانيين. وهنا قرر دزرائيلي حماية المصالح البريطانية المعروفة.[32]

كان الرأي الاوربي العام هو ان في حالة عدم القيام بشيء سوف تنتشر الفوضى لذلك قامت القوى الاوربية بالتحرك من اجل حصول تسوية بين الاقاليم الثائرة والعثمانيين, عن طريق اقتراح قيام التغيرات في جوانب مختلفة من السياسات الادارية للدولة العثمانية[33]. استعدت القوى في نهاية كانون الاول 1875 بالتحضير لاجراء برنامج الاصلاحات من اجل تنفيذه من خلال الحكومة العثمانية في الاقاليم الثائرة، لكن لم تثمر هذه الجهود عن شيء لان الحكومة العثمانية لم تقم بأي جهود جادة لتحقيق الاصلاحات.[34]

حين فشلت الجهود لتسوية الخلاف، قام بسمارك بمحاولة تحقيق تسوية جديدة لكن جهوده خابت, وكان هناك اختلاف في الرأي بين المؤرخين حول دوافع بسمارك حول هل اراد الحصول على مكاسب سياسية في الدولة العثمانية ام العمل على اقتسامها مع الدول الكبرى. الا ان الحكومة البريطانية بقيت هادئة ازائها وكان هناك سبب واحد هو عدم الوثوق بدوافع بسمارك، وان المصالح البريطانية تبدو افضل في حالة استمرار وجود الدولة العثمانية[35]. انتشرت الثورة في غضون ذلك لتمتد الى بلغاريا حيث قامت الحكومة العثمانية باخمادها بعنف[36]، فتزامن معها بذل جهود من قبل قيصر روسيا بالتعاون مع بسمارك في صيف 1876 لحل الازمة، حيث تم عقد اجتماع بين وزراء خارجية الاقاليم الشمالية في برلين في الاسبوع الثاني من آيار, اذ عملوا على فتح برنامج لعقد مقابلات مع قادة الثوار ثم ارسل البرنامج الى لندن، باريس، وروما. وطلبوا من هذه الحكومات ان تقول نعم او لا عن طريق التلغراف, وقد رفضت الحكومة البريطانية هذا المقترح وذلك لان بريطانيا عوملت بتدني وكأنها اقل من المانيا وروسيا والنمسا[37]. حتى ان دزرائيلي اكد هذا بخطابه بمجلس العموم:- ((انهم بدأوا يعاملون بريطانيا وكأنها مونتينيغرو او البوسنة)). كما ارسل رسالة الى الملكة واصفاً بها شعوره "هل سمحتي جلالتك بعقد مذكرة برلين, اذ سيتم بها غزو القسطنطينية الان من قبل روسيا وثم وضع الاسطول التركي تحت الحماية الروسية"[38].

على الرغم من ان الحكومة البريطانية رفضت المذكرة الا انها اخذت احتياطات, اذ ان الفقرة الثالثة من مذكرة برلين اقترحت انه في حالة عدم نجاح الخطة، سيكون على كل القوى عقد اتفاق بشأن اجراءات القوة البحرية والالتزام به, فقامت وزارة الخارجية بتغيير القوة البحرية وفي 24 آيار تم ارسال الاسطول البريطاني الى خليج بسيكا Besika[39]. وهذا الامر ليس لتقوية الامبراطورية العثمانية بل لانه امر من دزرائيلي, اذ اخبر الملكة بأن ذلك ليس لحماية المسيحين او الاتراك لكن للحفاظ على امبراطورية جلالتك"[40]، وما ان وصل الاسطول البريطاني المياه العثمانية حتى تم الترحيب به من قبل العثمانيين وكان هذا كبرهان على ان بريطانيا تقف الى جانبهم.

توفي السلطان عبد العزيز في غضون ذلك في ظروف غامضة وادى هذا الى ارتباك وفوضى وتمرد في القسطنطينية[41]. وفي 30 تموز 1876 اعلنت صربيا الحرب، تبعتها مونتينيغرو في اليوم الثاني, اثر ذلك اصبحت القضية بالنسبة للقوى الاوربية هي ليست تهدئة المسيحيين في البلقان لكن منع انتشار الحرب، وعلى هذا الاساس، جرت محادثات متبادلة بين روسيا والنمسا بشأن امكانية انتصار العثمانيين على صربيا او هزيمتهم.[42]

كان دزرائيلي يأمل بان يخضع ويجمع ويقود بلاده الى سياسة وطنية من اجل تقوية الامبراطورية العثمانية, لكن في تموز بدأت التقارير تنتشر في اوربا عن الاعمال الوحشية التي يقترفها الجيش العثماني وان هذه الاعمال الوحشية جعلت الحكومات تنقلب على الحكومة العثمانية, ففي بريطانيا رأى غلادستون الذي توقف عن الاهتمام بالسياسة بعد هزيمته في 1874, ان الاحداث في البلقان هي فرصة للرجوع الى الوعي الوطني ضد الاعمال الوحشية التي يقوم بها الاتراك في بلغاريا[43]، وكان غلادستون مدعوماً من قبل الليبراليين والراديكاليين (المتطرفين). وفي كتيب ظهر في 6 ايلول 1876 تحت عنوان (رعب بلغاريا وقضية الشرق) استنكر غلادستون على المحافظين دعمهم الحكومة العثمانية وانهم استخدموا

تصرفات وسياسة بربرية لاخماد واضعاف الحاميات البلغارية وعارضوا روسيا وهي الحامي للمسيحيين في البلقان, اشتد الكره للاتراك حيث تم بيع 200.000 نسخة من الكتيب خلال شهر واحد.[44]

أصبحت الحكومة البريطانية قلقة من الموقف الروسي الذي بان له ان التعامل الدموي العثماني مع الثوار قد اضعف قدرة لندن في تقديم دعم فعلي للعثمانيين, مما دفع روسيا بالتفكير في دخول الحرب ضد الدولة العثمانية اعتمادا على غياب الداعم الاول للعثمانيين وهي بريطانيا, لذلك قام كلا من دزرائيلي وساليسبوري وليتون المحافظ العام للهند بالتفكير في فتح جبهة ضد روسيا في آسيا.[45]

وما ان اصدرت الحكومة الروسية انذاراً لاجبار الحكومة العثمانية على التراجع والانسحاب, حتى عزز دزرائيلي من فكرة عقد مؤتمر اوربي فتم عقده في القسطنطينية في 23 كانون الاول 1876 الى 20 كانون الثاني 1877، كان هدف هذا المؤتمر هو مصالحة الشعوب البلقانية مع الحكم العثماني وذلك عن طريق ازالة كل المعوقات. واراد العثمانيين عدم الاشتراك بهذا المؤتمر فهددتهم بريطانيا بتركهم لمصيرهم في حالة دخولهم الحرب مع روسيا, وازاء ذلك قبلوا المشاركة فيه, وقد مثل سالسيبوري الحكومة البريطانية في المؤتمر.[46]

اراد ساليسبوري ان يتفاوض مع روسيا على اساس تقسيم اقليم بلغاريا الى وحدات ذاتية لكن جهوده ذهبت سدى ولم تثمر عن نتائج ايجابية لصالحه ، وذلك بسبب عدم موافقة القوى الاخرى على مقترحه، لان ذلك يتطلب قوات عسكرية ضخمة ومن المهم ان نبين ان جهود ساليسبوري في التفاوض مع السفير الروسي في القسطنطينية للعمل من اجل تسوية وضمان امن الحدود الشمالية الغربية للامبراطورية الهندية لم تفلح هي الاخرى.[47] اما القوى الاوربية الكبرى فقد فشلت بجعل الحكومة العثمانية توافق على مشاريعهم, وفي 20 كانون الثاني 1877

فانتهى المؤتمر بالفشل[48]. وفي بداية 1877، اعلنت روسيا الحرب على الدولة العثمانية, وبدأت بذات الوقت بمفاوضاتها مع النمسا لتؤمن حياديتها في الحرب، ولم يكن ممكناً للحكومة البريطانية ان تبقى الا مكتوفة الايدي لما يجري على الساحة فقد كانت لديها الرغبة بان تمنع التقدم العسكري الروسي لكنها كانت مقيدة سياسيا اضافة الى انها كانت تفتقر لتوفر القوة العسكرية المطلوبة للقيام بذلك[49].

حتى لو كان للحكومة البريطانية الموارد العسكرية المطلوبة وتوفر دعم البلدان والقوى الاوربية الكبرى لها سوف لكنها لن تقوم بالمحاولة بالسيطرة على القسطنطينية لان ذلك سيكلفها من الناحية السياسية اذ ان المسلمين كانوا ينظرون الى السلطان العثماني كخليفة, وان اي سياسة ضد الدولة العثمانية ستثير مشاعر مسلمين الهند، ولا يمكن لبريطانيا القيام بذلك لانها ما زالت تذكر احداث تمرد 1857 في الهند[50].

الحرب الروسية العثمانية:

اعلنت روسيا في الرابع والعشرون من نيسان 1877 الحرب على الدولة العثمانية وفورا اعلنت بريطانيا حيادها, فسارعت الحكومة العثمانية بالتصريح ان بريطانيا قد بالغت بانانيتها وشعرت بالخوف[51], اما بريطانيا فقد اعربت عن حيادها لاسباب قد تعود الى المحافظة على مصالحها للربط بين اوربا والشرق عن طريق ان مصالح بريطانيا ترتكز على الحفاظ على الطريق الرابط بين بريطانيا والهند.[52]

ما ان اندلعت الحرب حتى سجل الروس عدة انتصارات مهمة, وقد سارع دزرائيلي من اجل الحصول على موافقة زملائه من اجل اتخاذ خطوات لمنع روسيا من الوصول الى غاليبولي والقسطنطينية، واوصى باتباع سياسة تقوية الاسطول والحاميات في مالطا وفي نهاية حزيران تم ارسال الاسطول البريطاني الى خليج بيسيكا Besika في مدخل الدردنيل[53], وفي تموز كان الجيش العثماني قادرا على

اعاقة تقدم الجيش الروسي، ونجح الجنرالات العثمانيين بتحقيق سلسلة من الانتصارات لكن في العاشر من كانون الاول كانت روسيا قادرة على سحق مقاومة الجيش العثماني وفي 4 كانون الثاني دخلت القوات العسكرية الروسية صوفيا، وفي 20 كانون الثاني اصبحت في ادريا نوبل Adrianople, كان ذلك في وقت لم تكن بريطانيا مستعدة فيه لرؤية القوات العسكرية الروسية وهي تصل القسطنطينية(54)، في هذا الوقت اجتمع اعضاء الحكومة حول رئيس الوزراء الى درجة ان هذا الموقف لم يحدث منذ سنتين وخلال ذلك اجريت لقاءات واجتماعات كثيرة للحكومة في الحادي والعشرون والثاني والعشرون من كانون الثاني على خلفية زحف الجيش الروسي وتقدمه عسكريا في المنطقة, وكان الوزراء منفعلين ومزاجهم حاد عندما قرروا اتخاذ خطوات جريئة(55)، من ضمن هذه الخطوات ارسال اسطول الى الدردنيل Dardanelle ويتفاوضوا لعقد حلف مع النمسا وكان من المفترض قيام البرلمان بتجميع ستة ملايين دولار للتصويت وللتامين، وقد تم هذا لانه قد صوت العديد من الليبراليين مع الحكومة.(56)

في غضون ذلك تم توقيع الهدنة بين روسيا وتركيا في 31 كانون الثاني 1878, الا ان هذا لم يغير في الموقف البريطاني اذ بقي الشعور بان روسيا ربما تحاول فرض سيطرتها على القسطنطينية, وخلال شهري شباط واذار كانت العلاقات بين بريطانيا وروسيا مختلفة وتكاد ان تكون معلقة(57) وتصاعدت المظاهرات الشعبية في لندن وندد المتظاهرون بنوايا روسيا، واصبحت المصالح البريطانية والمصالح الامبريالية من ابرز المطالب الشعبية(58).

بالرغم من الدعم الشعبي ودعم البرلمان الا ان الحكومة بقيت تجد صعوبة في اتخاذ سياسة صارمة ومستقيمة, وقد حث دزرائيلي مجلس الوزراء على اصدار امر باحتلال غاليبولي الا ان معظم وزرائه عارضوه , فبقي الاسطول البريطاني في بحر مرمرة Marmara وفي شباط اصدرت الاوامر للاسطول بان يتجه الى القسطنطينية لمدة ثلاث اسابيع, ان ذلك وبلا شك يدل على ارتباك الحكومة

البريطانية حول التقدم الروسي وفي السادس من شباط قرر مجلس الوزراء البريطاني تقديم قرض الى النمسا لتمكينها من تحشيد قوات عسكرية على حدودها مع روسيا[59].

في الاسبوع الاول من شباط قام الجيش الروسي بالوصول الى سان ستيفانو والذي يبعد عشرة كيلو مترات من القسطنطينية وفي الثالث من آذار تم توقيع المعاهدة هناك بين الحكومة الروسية والحكومة العثمانية وطبقا لبنود هذه المعاهدة فان رومانيا، صربيا، ومونتينغرو ستكون دول مستقلة ، اصبحت البوسنة والهرسك Bosnia and Herzegorina دول ذات حكم ذاتي اما بلغاريا فقد تم تكبيرها واصبحت تحت وصاية الحاكم العثماني مع تمتعها بحكم ذاتي متكامل تحت حكومة مسيحية وكان عليها ان تمتلك ميليشيا او قوات عسكرية خاصة بها، وقد كانت الحكومة الروسية تخطط لتاسيس حكم جديد وبأحتلال بلغاريا لمدة اكثر من عامين.[60]

ان الحرب الروسية العثمانية، لم تقم باضعاف الدولة العثمانية فقط وانما زادت من رغبة روسيا في التوسع. لذلك كانت بريطانيا ترغب باستخدام الدولة العثمانية كدرع ضد الاتساع الروسي في المنطقة وفي القسطنطينية وفي اسيا, حينما بلغت القوات العسكرية الروسية مشارف استنبول، كان الاسطول البريطاني داخل بحر مرمرة, وفيالق الجيش البريطاني الاول متجه نحو مالطا[61].

قام دزرائيلي في 27 آذار بعقد اجتماع لمجلس الوزراء من اجل جعل البحر المتوسط كجزء كبير للقوات العسكرية الهندية ليضيف الوزن والثقل الى الهيبة البريطانية.[62] ولما وصلت الحرب الروسية التركية الى نهايتها جعل الضعف والعزلة غير قادرة على مقاومة مطالب عقد مؤتمر اوربي وفي 25 كانون الثاني 1878 وعدت الروس بانهم سيقومون بالاتفاق على التسوية والسلام الذي من شأنه ان يصب في مصلحة القوات الاوربية[63]. وهنا اصبحت الحكومة العثمانية ذات

قوة مستنزفة ورأت من بريطانيا هي المنقذ الوحيد لها. واتفق ان يتم عقد المؤتمر في برلين، فتم دعوة البلدان التي وقعت على معاهدة باريس في 1856، وترأس بسمارك المؤتمر وكان مدركا بان التوسط بين قوتين هو ان يكون الى جانب واحدة من هذه القوى وان يبعد الاخرى.[64]

مؤتمر برلين:

بدأ اعمال المؤتمر في 13 حزيران 1878 وانتهى بتاريخ 13 تموز من العام ذاته[65]، وطبقاً للتسوية التي اقرت قللت الدولة العثمانية من ممتلكاتها الاقليمية، وتم الاعتراف باستقلال كلا من رومانيا، وصربيا، ومونتينغرو وسمح للنمسا باحتلال البوسنة والهرسك, وان دولة بلغاريا الكبرى التي خلقت في سان ستيفانو قد تقسمت الى ثلاثة اجزاء هي دولة بلغاريا الصغرى التي اصبحت لها حكم ذاتي، اقليم روملليا الشرقية اما الجزء الثالث فهو ماسيدونيا[66], وقد رفضت روسيا التخلي عن باتيوم كارس وفي الاسبوع الاخير من ايار جرت محادثات وهكذا نجح دزرائيلي بالحصول على تامين او تاكيد على ان الحدود الروسية في تركيا الاسيوية سوف لن تتسع اكثر, بعد ذلك قرر تقوية الوجود العثماني في ارمينيا لتكون ضد الروس[67].

وقبل البدء باعمال مؤتمر برلين، قام لايارد Layard في 4 حزيران 1878 بتبليغ من دزرائيلي بالتوقيع على معاهدة التحالف الدفاعي مع العثمانيين، واكدت هذه المعاهدة بان بريطانيا ستقوم بالدفاع عن المستعمرات العثمانية الاسيوية عن طريق قوة السلاح ومن جانبه وعد السلطان بتقديم الاصلاحات الضرورية لحماية المسيحيين والمناوئين الاخرون في ارمينيا وستقوم بريطانيا من جانبها الاشراف على تنفيذ هذه الاصلاحات وهكذا قدم السلطان جزيرة قبرص لبريطانيا من اجل حمايتها والاشراف عليها[68].

كذلك احتسب دزرائيلي اهمية احتلال قبرص وامكانية استخدامها للحاجة العسكرية ولاحتلال العسكري لمصر, وكتب دزرائيلي للملكة فكتوريا في 24 ساعة وغالبا في الليل ستكون زوج من سفن جلالتك تحمل الالاف من الرجال من تلك الجزيرة الى الاسكندرية، واعلن في مجلس العموم البريطاني ((ان امبراطوريتنا الهندية هي مصدر قلق عظيم ويبدو ان الوقت قد حان لانهاء هذا القلق ... ان اخذ قبرص هو ليس من اجل البحر المتوسط بل من اجل الهند)). ان الترتيبات المتعلقة بقبرص وارمينيا يجب ان تكون مترابطة ببعضها والهدف من هذا هو تامين السيطرة والحماية على الامبراطورية الهندية ان الحكومة البريطانية كانت حذقة عندما قامت بهذه الترتيبات من اجل الفوز بالدعم الفرنسي للعثمانيين قامت بالموافقة على سحب اعتراضها على اتساع التاثير الفرنسي على الجزائر الى تونس[69].

في مؤتمر برلين بدا دزرائيلي اكد بان الذي يملك امبراطورية كبيرة يجب ان يحافظ على مصالحها ومواردها عندما تتطلب الحاجة لذلك اصبح دزرائيلي شخص مشهور في اوربا. وكان الجمهور يتبعه اينما ذهب، وعند عودته الى بريطانيا تم الترحيب بدزرائيلي بحرارة لانهم جلبوا السلام والكرامة لبلادهم, وكان هذا السلام يصب في مصلحة بريطانيا, اذ انهم ذهبوا الى برلين ليس من اجل الحفاظ على كرامة وهيبة الدولة العثمانية بل من اجل منع انشاء اي قوة او نفوذ داخل المناطق المهمة لبريطانيا, واستطاعوا ان يوقفوا التقدم الروسي نحو القسطنطينية والبحر المتوسط والخليج العربي وفرضت بريطانيا ايضا سيطرتها على قبرص. واستطاع دزرائيلي عن طريق سياسته الخارجية ان يخرج بريطانيا من عزلتها, اما فيما يتعلق بالمسالة الشرقية فان كل ما قام به ليس الا خوفا على مصالح بريطانيا وامبراطوريتها في الهند.[70]

الحرب الانكلو - أفغانية الثانية:

قبيل الخوض بتفاصيل الحرب الانكلو- افغانية الثانية, لابد لنا من التطرق إلى احداث ومجريات ونتائج الحرب الأولى (1839-1842)[71]، وذلك للتقارب

الكبير بين أسباب نشوب كلا الحربين بصورة تقريبية. اذ اثر مرور أشهر من الفوضى في مدينة كابول Kabul نجح محمد اكبر في نيسان 1843، بالسيطرة على الوضع الداخلي للبلاد، كما قام بإعادة والدة الدوست Dost محمد إلى عرش أفغانستان[72], وفي العقد الثاني صب الدوست محمد اهتمام جهوده على السيطرة الكاملة لكلا من مزار الشريف Mazar-e-Sharif، كوندوز Konduz، باذخشان Badakhshan، وقندهار Kandahar ، وقبيل الحرب الانكلو- سيتح Anglo- Sikh الثانية، انتهت محاولات الدوست محمد بالسيطرة على بيشاور Peshawar بالفشل[73].

ادت هده التطورات مع بداية عام 1854، إلى دفع البريطانيين إلى صب اهتمامهم لاستئناف العلاقات مع الدوست محمد، والذين كانوا قد تجاهلوه منذ عام 1842. وبالرغم من عدم اهتمام المسؤولين البريطانيين في الهند، في بادى الأمر بافغانستان، إلا ان اندلاع حرب القرم Crrman ادى بهم إلى التفكير بأفغانستان والعمل على توظيفها سياسيا واستخدامها كرادع ضد التقدم الروسي نحو امو داريا Amu Darya. وفي الواقع وافق الدوست محمد على ذلك، حيث تم عقد معاهدة مع البريطانيين لتنظيم ذلك عرفت بمعاهدة بيشاور Peshawar في 1855[74]، والتي كان من شانها إن تعيد العلاقات الدبلوماسية بين بريطانيا وأفغانستان وان تنظمها من جديد، واتفقوا على إن يكونوا اصدقاءا لاصدقائهم واعداءا لاعدائهم. أي إن يكونوا حلفاءا لبعضهم وبكل محتوى ومعنى الكلمة[75].

وما ان قامت القوات العسكرية الايرانية باحتلال هيرات Heart وذلك في تشرين الأول 1856، حتى أعلنت بريطانيا الحرب على إيران لان السياسة الايرانية هدفت إلى استغلال واستقرار افغانستان, وهذا ما يتعارض بشدة مع السياسات البريطانية والتي كانت هادفة بالاصل لكل ذلك واكثر[76]. واثر التواجد الكثيف للقوات العسكرية البريطانية اجبرت القوات الايرانية على الانسحاب بعد ثلاثة أشهر فقط من هيرات Heart، اضافة إلى انهم عبروا عن التزامهم بعدم

التدخل في أي منطقة من افغانستان[77]. وإن هذه الحرب القصيرة سمحت للدبلوماسيين البريطانيين ان يوضحوا ويبينوا للدوست محمد خطر التحديات المستقبلية على افغانستان والقادمة من إيران وانه لابد له كي يستمر بالمحافظة على حدود بلاده واستقرارها من ترتيب اوضاعه مع بريطانيا ليحظى بمساندتها المستمرة. ولهذا وفي 1857، تم التوقيع على بند آخر ملحق ومكمل لمعاهدة 1855 يسمح بدخول وفد عسكري بريطاني إلى قندهار Kandahar (لكن ليس كابول Kabul)، وان يوفر هذا الوفد المعونات المالية والعسكرية للافغان في حالة دخولهم بحرب اخرى مع الإيرانيين. وقد وثق فراسر تيتلر Fraser– Tytler ذلك بقوله: أنه عندما وقع الدوست محمد الوثيقة أعلن:

((إن اجريت الآن تحالفا مع الحكومة البريطانية فقد جاء ما كنت اتمناه طيلة حياتي وحتى مماتي))[78].

الا ان الاحداث تعاقبت فما ان حدث التمرد الهندي الشهير في 1857، حتى اعلن الدوست محمد رفضه إن تكون مناطق بيشتون Pashtun تحت السيطرة العسكرية البريطانية, بذات الوقت قابله تصريح المحافظ العام البريطاني للهند حول مذكرة الاتفاق مع أفغانستان عام 1857، بان البريطانيين لن يتدخلوا في الشؤون الداخلية لأفغانستان مرة أخرى ولن يقوموا بارسال أي جيش عبر حدودهم وكل هذا سيتم شرط عدم محاصرة هيرات Heart من الايرانيين او الروس، ولن يتم التدخل البريطاني الا بعد مشاورة الافغان واخذ موافقتهم على ذلك[79].

وازاء كل ذلك نجح الدوست محمد باسترجاع مدينة هيرات Heart من البريطانيين في 1863، وبعد أشهر قليلة توفي الدوست محمد وخلفه ولده الثالث الشير علي Sher Ali، والذي لم ينجح في اخذ كابول من اخيه محمد أفضل Muhamed Afzal والذي كانت قواته العسكرية تحت زعامة ولده عبد الرحمن، حتى عام 1868. والذي قام بها بالعبور إلى امو داريا Amu Darya[80]. فأشر

ذلك بداية التمزق السلطوي الافغاني كما دون عملية التكالب المستمر على المناصب القيادية والاتكال على بعض الاطراف الدولية في محاولة الاستئثار بالحكم من دون البقية.

إن عقدة الحرب الانكلو- افغانية الأولى قد تواصلت باثارها السلبية على البريطانيين لعدة عقود، اذ كان لهزيمة 1842 فترة من الحساسية للسياسة البريطانية تجاه أفغانستان. وفي الاعوام التي تلت الحرب الانكلوا- افغانية الأولى، وخصوصا بعد التمرد الذي حدث في 1857 في الهند، بدأ الايرانيين يمارسون بسياسة التطلع وانتظار الاحداث القادمة(81). في ذلك الوقت ثبت الشير علي سيطرته على كابول في 1868، حيث وجد البريطانيين مستعدين لتزويده بالسلاح والاموال تقديم الدعم المباشر له لتعميد اسس حكمه ومواجهة الامال الفارسية والروسية بالتوسع في افغانستان على حساب المصالح البريطانية(82). وكذلك فقد أكد هنا فراسر- تيتلر Fraser- Tytler إن الشير علي قد أعلن:

ما دمت على قيد الحياة وما دامت حكومتي موجودة، فان تواجد الصداقة والعلاقة الطيبة بيني وبين الحكومة البريطانية القومية، سوف لن تضعف ابدا(83).

وهكذا دامت العلاقات الانكلو- افغانية بشكل حسناالى حد ما ولمدة عشرة اعوام, لكنه وعلى الرغم من إن الشعور الطيب بين الشير علي والبريطانيين في 1869 كان موجودا، إلا إن الحساسية المفرطة لاثار الحرب الأولى بينهم، جعلت الشير علي يرفض الاقامة البريطانية في كابول، ولعل هذه الأحداث قد تكون من ألاسباب والدوافع الاولى لقيام الحرب الانكلو- افغانية الثانية.(84)

ولابد ان نؤكد هنا ان العلاقات الانكلو- افغانية أصبحت في 1873 مربكة وقلقة بشأن لافت، فقد كان الحاكم الأفغاني قلقا بشان التحرك الجنوبي لروسيا، لما استولت روسيا على أراضي خان كيفا Khan Khiva وذلك في 1873, لذلك ارسل الشير علي مبعوثا إلى بريطانيا يطلب المساعدة والعون بصورة عملية

وبالاحرى بطريقة عسكرية، لكن البريطانيين كل ما قاموا به كان توقيعهم على اتفاقا مع الروسيين, فوافق الروس على احترام الحدود الشمالية لأفغانستان وان يجعلوا أقاليم الامير الأفغاني خارج مجال نفوذهم, إلا إن البريطانيين رفضوا إعطاء الشير علي أي ضمانات مما زاد احباطه واضعف هيبته امام منافسيه على السلطة الافغانية[85].

ولما أصبح بنيامين دزرائيلي رئيسا للوزراء في بريطانيا في 1874، قام بعدة انجازات ايجابية، ومع اننا ذكرناها مسبقا لكن من يتأمل حقيقة بما قام به فسيتضح له انه وبالرغم من إن قد اذهل البرلمان حول هذه القضية وكسبها بشكل ملفت للنظر، إلا انه لم يقم بأكثر من ذلك، ولم يكن له تأثير فعلي وعملي على السياسة البريطانية المتبعة في افغانستان. وكل هذا جرى في الوقت الذي كان يعد به دزرائيلي رمزا من الرموز الوطنية وذو شهرة وشعبية واسعة النطاق وكان بنظر الشعب البريطاني, وإلى حد ما بطل الساعة[86].

ولو اردنا معرفة ما قام به دزرائيلي ومناقشة اعماله تلك, فهل كان يود إن ينتهز الفرصة، ويقوم باجراء انتخابات عامة؟ ولو اجراها فعلا وفي غداة مؤتمر برلين لنجح بتامين بقاءه في منصب رئيس الوزراء لست سنوات جديدة على الاقل، ولكن لم يبق من عمر المجلس الوزاري الذي كان يتزعمه سوى سنتين فقط، وهو قائم باعماله في امانة[87]، لقد تم مناقشة هذه الفكرة في مجلس الوزراء في العاشر من آب، إلا إنها رفضت لأنهم كانوا يعتقدون إن الحزب الحاكم لا يمكن له إن ينهار، لذلك قرر مجلس الوزراء إن يتركه، وان دزرائيلي اكد بتصرفه هذا على ثقة مفرطة في ايمانه المفرط بما خطه له القدر. ثم إن البلاد لا تلبث إن تسام الامجاد التي احرزتها، وعلى صاحب السلطة إن يستشيرها في عهد رضاها عنه, وهذه كانت فلسفته ورؤياه عما قام به انذاك في افغانستان[88].

اما الرأي العام البريطاني فقد راى إن دزرائيلي قد اضاع فرصة ذهبية لحزب المحافظين بضمان التفويض لست سنوات أخرى، وان المتتبع للسياسة البريطانية الداخلية انذاك سيشكك باستطاعة المحافظين على تامين الأغلبية الساحقة، ولربما يحصلون على الأقلية ضد الليبراليين، لان مشكلة البطالة كانت الابرز على الساحة السياسية الداخلية والتي كانت وبلا شك ستطفو على الجو الانتخابي لذلك لم تكن تلك السنة لصالح حزب المحافظين[89]. لكن الأمر الذي لا يمكن الشك فيه، هو إن حظوظ دزرائيلي بدأت تتضائل في الحكومة، حيث واجهته مشاكل عميقة ومعقدة وقد كان ابرزها كلا من الكساد الزراعي والصناعي، وكارثة اسياندلوانا Isandhlwana وماساة كابول. ومع ما رافق هذا الرجل الناجح ذو الحنكة المتميزة من قدرات كبيرة، لكن خلال السنة والنصف الأخيرة لادارته للحكومة، بدى واضحا والى حد كبير ان دزرائيلي وزملائه قد فقدوا الحظ[90].

لكن كل ذلك لم يؤدي بمجلس الوزراء العجز والافتقار إلى التواصل والعمل الدئوب، اذ عمد دزرائيلي إلى إعادة تشكيله في العامين الآخرين، وتالف من:

سيد الخزينة الأول	الايرل بيكونسفايلد	Earl of Beaconsfield
السيد المستشار	الايرل كايرنس	Earl of Cairns
السيد رئيس مجلس الوزراء	دوق ريكموند	Duke of Richmmd
سيد الختم الخاص	دوق نورثومويرلاند	Duke of Norkumberland
وزير الداخلية	د. أ. كروس	R. A. Cross
وزير الخارجية	الماركوس سالسبوري	Marquis of Salisbury
وزير المستعمرات	الير ميخائيل هيكس بيج	Sir Michael Hicke Beach
وزير الحرب	العقيد ف. ا. ستانلي	Col– F. A. Stanley
وزير الهند	كاثورن هاردي	Cathorne Hardy
مستشار الخزينة	السير ستافورد نورث كورت	Sir Stafford Northcote
السير الأول للقوات البحرية	دبليو. ه. سمث	W.H. Smith.

رئيس لائحة التجارة	النائب ساندون	Sandon
الجنرال الأقدم	اللورد جون مانرز	Lord Juhn Manners

وتم استبدال ديربي Derby، كارنارفون Carnarvon، مالمسبوري Malmesbury، ووارد هونت Ward Hunt، ولم يشغلوا ذات المناصب التي مثلوها سابقا[91].

ما ان مضى على الانتصار بضعة اسابيع حتى سرعان ما ساءت الاوضاع مجددا اذ عمل الروس على الاقتراب سياسيا من امير أفغانستان، اد اراد الروس من ذلك صب تركيزهم على آسيا الوسطى لاسيما اثر الخلافات الكبيرة التي حدثت بين كلا من روسيا وبريطانيا بسبب الحرب الروسية- العثمانية والتي ادت إلى معاهدة سان استيفانوا التي كادت ان تدخل الدول الاوربية بحرب كبرى مع روسيا لكن هدا الاشكال السياسي الكبير حل بمؤتمر برلين في تموز 1878[92].

لم تمتز السياسة البريطانية في الهند بمدرسة سياسية واحدة بل ومنذ أيام التمرد الهندي 1857 وقبليه، كانت هناك مدرستان فكرية متعارضة فيما يتعلق بالحدود الشمالية الغربية للهند, كانت إحدى هذه المدارس هي مدرسة "سياسة القلع", حيث إن اللورد دالهوسي Dalhousie واللورد كاننك Canning، كانوا يعتقدون إن الهند لا يمكن لها إن تؤمن على حدودها وسلامتها بدون إن تضمن سيطرتها على ممرات خيبر، كورام، وكولان، والتي ستستطيع الجيوش عبرها السير من آسيا الوسطى إلى شمال غرب الهند. إلا إن آراء هذه المدرسة لا يمكن تحقيقها أو قبولها ما دامت روسيا قريبة وتتمتع بقوات عسكرية كبيرة وافكار واحلام قائمة على التوسع شرقا وغربا، فكان لابد للحكومة البريطانية في الهند الاقرار باتخاذ الخطوة الأولى لصد هذا التقدم الخطير[93].

اما المدرسة الثانية فقد تزعمها لورنس Lawrance ومناصريه وقامت على ضرورة الدعوة إلى سياسة الخمول " Masterly Inactivity "، تهتم هذه المدرسة

بالاندوس Indus أكثر من الهندوس كاش Hindus Kash، وهم أصحاب الحدود الطبيعية للهند، حيث كانوا يعتبرون القبائل البربرية التي تسكن خلفهم بالمتطفلين لذلك يجب عليهم ترك الأراضي. وقد كان لورنس يتمتع بالنفوذ والصلاحية أكثر من أي مسئول آخر في الادارة البريطانية في الهند، وأصبح مذهبه مقبولا خصوصا في الدوائر الليبرالية[94].

مع كل ذاك لم يكن دزرائيلي مقتنعا بسياسة الخمول، ولما عاد إلى السلطة في 1874 قام بتغييرات سياسية عدة وإستخدم خرائط كبيرة من اجل قياس المسافة بين الإمبراطورية الروسية والإمبراطورية الهندية[95]. فلذلك حدثت خلافات بين أعضاء مجلس الهند، وعندما أصبح ساليسبوري وزيرا للهند، أصبح مكتبه مفعما بالافكار, وقرر إن يكرس نفسه ووقته لدراسة سجلات مكتب الوزارة الهندية، وهكذا تم وضع عشرات الملفات الوثائقية امامه، فكانت هذه المهمة صعبة عليه، وكان عليه إن يصغي إلى آراء وأحاديث واقتراحات زملائه في مكتب الوزارة وان لا يهملها[96].

قد أصبح ساليسبوري مقتنعا إن موقف بريطانيا في الهند لوحدها هو موقف غير ملائم لها، هذا من اجل الإستراتيجية الدفاعية بسبب الاخطار الروسية . فبدأت حكومة المحافظين تشعر بالقلق والخوف من التحركات الروسية في آسيا الوسطى. وقد شعر ساليسبوري بالاحراج الشديد لأنه تخوف من حدوث المشاكل، وكتب ساليسبوري للورد نورث بروك Northbrook إن يهتم بالادارة البريطانية في الهند في غيابه، لأنه كان ذاهبا مع وفد بريطاني إلى كابول[97]. غير انه وبمرور الوقت اخذ يشعر بالقلق حيال سياسة نورث بروك Northbrook في غيابه نتيجة لمعارضة نورث بروك كل المقترحات التي تنص على اجبار حاكم أفغانستان لقبول التواجد البريطاني في كابول[98].

لهذا اتفق مع دزرائيلي على اجبار اللورد نورث بروك على الاستقالة، وتم تعيين اللورد ليتن Lytton والذي كان يشغل منصب وزير بريطانيا في ليسبون Lisbon، محافظا عاما للهند[99]، وقد كان التعيين مفاجاة حتى لليتون نفسه، لأنه لا يملك أدنى تجربه في إدارة القضايا الهندية، فتسلم ليتون رسالة في لندن من دزرائيلي ومحتوية على السياسة المستقبلية له في الهند. وقد كانت هذه الرسالة مؤرخة بتاريخ 28 شباط 1876، فتم ابلاغه بان يقوم ببعثة بريطانية مؤقتة ليتم استقباله في كابول ليلتقي خان كالات Khan of Qalat والذي تغطي مقاطعته كل ما سمى بالوشيستان Baluchistan وكان مصرا على إنشاء وجود بريطاني في كابول . وحال وصوله إلى الهند افتتح ليتن Lytton المفاوضات مع الشير علي Sher Ali فيما يتعلق بهذه القضايا[100].

في غصون ذلك، أعلنت صربيا ومونتينغرو الحرب على الدولة العثمانية، في صيف 1876 وبالتدرج دخلت روسيا الحرب.وفي خضم ذلك، قام كلا من دزرائيلي وساليسبوري وليتن في تشرين الأول من نفس العام, بفتح الجبهة ضد روسيا في آسيا الوسطى[101]. وفي كانون الأول قامت الحكومة البريطانية في الهند بعقد معاهدة مع خان كالات Khan of Qalat من اجل إن يكون للبريطانيين تأثير كبير من الهيمنة والنفوذ والسيادة في الإقليم وتامين ممر بالون Balon، وان يكون لهم الحق في الاستيلاء على مدينة كوتيا، التي تقع على بعد مسافة تقدر ب 400 كيلو متر خلف الحدود البريطانية[102], فتم احتلال كوتيا Quetta في 1877 والسيطرة على التجارة مع دول آسيا الوسطى. وقد اعتبرت هذه الخطوة من قبل الافغان وكأنها هجوما على افغانستان، وبدا هذا الاحتلال نقلة وتحرك خطير في الدوائر السياسية البريطانية, اد ان هذه الخطوة قد مكنت بريطانيا من احتلال بالوشستان Baluchistan. وإن هذا التحرك جعل الشير علي Sher Ali مستوعبا للنوايا البريطانية، والتي بدت غير مكترثة بتقديم المساعدة له في حالة مواجهته لهجوم روسي على افغانستان, كما ان البريطانيين طلبوا ان يقدم الامير Amir

اعتذارا لانه قد أوقف ضابط بريطاني في كابول[103] وعنى ذلك اذلالا كبيرا لـــه، ولاجل معالجة هذه المسألة تم إجراء المفاوضات مع الممثل الأفغاني فـــي ســـيملا Simla في تشرين الأول 1876 وفي بيشاور Peshawar خلال الأشهر الثلاثـــة الأولى لعام 1877, وقد فشلت هذه المفاوضات لان الشير علي Sher Ali لم يكـــن مستعدا للاعتراف بالضباط البريطانيين في أفغانستان, واكد بأنه لـــن يســـتطيع إن يضمن امن وسلامة البريطانيين لان شعبه يرفضهم. فكانـــت تصـــريحات الاميـــر Amir مخيفة لساليسبوري، لـــذلك تـــم تفـــويض ليـــتن Lytton لحمايـــة الحـــدود البريطانية[104].

ما ان بدأت الحرب الروسية التركية في نيســـان 1877, وأخـــذت روســـيا بالتوسع في آسيا الوسطى، واحتلت كلا من كيزيل ارفات Kizzil Arvat ، وعنـــى هذا اقتراب روسيا من هيرات Herat, واجه المســـئولين البريطـــانيين مشـــروع الاستيلاء على العاصمة العثمانية استنبول من قبـــل روســـيا. وازاء ذلـــك كتـــب دزرائيلي للملكة فكتوريا رسالة تتعلق بخطورة التوسع الروسي في آسيا:-

((إن من البداية قام رأيي تجاه هذه القضية على إن روسيا كان لابد إن تهاجم من آسيا، وان قواتنا العسكرية يجب إن ترسل إلى منطقة الخليج (الفارســـي), وان جيوشنا في الهند لابد ان تقوم بعملية تصفية للروس من جميع مناطق آسيا الوسطى وتبعدهم إلى منطقة كاسبيان Caspian))[105].

هكذا تطورت الاحداث بسرعة فقد وصل الامر إلى قيام الادارة البريطانيـــة في الهند إلى الطلب من الوزارة البريطانية إلى اعتبار التحركـــات الروســـية ازاء المصالح البريطانية في الدولة العثمانية بأنه بوادر هجوم مباشـــر علـــى الحكومـــة البريطانية وإنها ستعتبر الخطوة القادمة للتقدم الروسي بأنه وكأنه هجـــوم مباشـــر عليها " وبأنها ستعمل على ارسال قوات عسكرية إلـــى ميـــرف Merv لمســـاعدة التركمان ضد الروس[106]. وفي العاصمة العثمانية استنبول، قام لايـــارد Layard

وليتن Lytton وبدون ابلاغ مكتب وزارة الخارجية في صيف 1877، بالاعداد لارسال وفد عثماني إلى أفغانستان من اجل مناهضة التأثير الروسي المحتمل في الهند، اضافة إلى تقوية موقف الادارة البريطانية الهندية على الحدود الشمالية(107).

حين وصلت الحرب الروسية- التركية إلى نهايتها في بداية 1877، وتم عقد معاهدة الصلح بين الروس والعثمانيين, فتسببت بنود هذه المعاهدة والتي عرفت بأسم معاهدة سان ستيفانو San Stefano استياءا شديدا في بريطانيا. وفي غضون ذلك، قررت روسيا ارسال وفد إلى كابول ليوضح النوايا البريطانية للامير الافغاني من الأحداث التي تجري في الشرق الادنى. وقد نجحوا بكسب الموقف الافغاني لجانبهم(108), وفي آب وصل وفد روسي عسكري بقيادة الجنرال ستوليتوف Stolytov إلى كابول للتفاوض من اجل ابرام معاهدة مع أفغانستان(109). على هذا الأساس، قرر ليتن Lytton إن يلزم الامير باستقبال وفد بريطاني، وليس هذا فقط بل يجب ان يقوم كذلك بطرد الروسيين أيضا. ولان الامير الافغاني انصاع للاوامر البريطانية فقد اعلن الروس رفضهم لأي تعاون حاضرا او مستقبلا مع الجانب الافغاني.(110)

كانت هناك نقطة هامة في 19 آب لدزرائيلي وهو بانتظار الرد قبل منح الصلاحية الأخيرة لليتن بارسال وفده. بدى من الواضح إن دزرائيلي لم يقدر خطط النائب حتى وقت لاحق ومتأخر جدا, فقد كانت التلغرافات التي ارسلها ليتن في تموز واب غامضة ولم تصل التفاصيل الكاملة لتعليماته إلى رئيس الوفد، الجنرال السير نيفيل جامبرلين Nevel Chanberlain في لندن حتى 9 أيلول. بعد ذلك ادرك دزرائيلي ولاول مرة إن ليتن ينوي إن يطرد الشير علي Sher Ali وكان هذا أمر مختلف جدا من مجرد ارسال وفد بريطاني، وكان مبررا جدا لان التحدي الروسي كان ضروري على الأرض(111).

لم تكن هذه مسالة سهلة بالنسبة لدزرائيلي و كان من الواضح إن اقرار ارسال الوفد قد تم قبل عدة اسابيع من وصوله, لذلك عبر دزرائيلي عن مخاوفه بشان جهل ليتن للمفاوضات التي تجري مع روسيا, وهكذا قرر مع وزرائه على تاجيل ارسال الوفد(112). لكن ليتن شعر بان الحكومة تريده إن يسير قدما لهذا أمر جامبرلين وقواته بالدخول إلى أفغانستان, وكان لتصرفه هذا تجاوز كبير على سلطات رئيس الوزراء وادخله بحالة من الغضب الشديد(113)، لكن دزرائيلي وبما اتصف به من تفاني كبير في سبيل تحقيق اهداف بلاده الكبرى فقد قام تقبل الامر وبادر إلى تقديم الدعم والمساندة لليتن(114).

في لندن، كانت هذه المسالة هي مجرد اختبار او امتحان للتقدم الروسي تجاه الحدود الهندية، لذلك جرت محادثات متبادلة في مجلس الوزراء, ووصف دزرائيلي هذا الاجتماع بأنه من الاجتماعات المهمة والذي سيبقى خالدا في ذاكرته, مع هذا فقد شعر العديد من أعضاء مجلس الوزراء بالخوف والقلق من خطة غزو أفغانستان وكان ابرزهم المستشار اللورد كايرنس Cairns ووزير الداخلية ر. أ. كروس R.A. Cross وساليسبوري.(115)

أما ساليسبوري فقد كان يشعر بالمرارة حيال اجبار الحكومة البريطانية بالدخول بحرب غير منتظرة وغير مستعدة لها. هذا من جانب ومن جانب آخر، لم يكن لدى دزرائيلي أي شكوك بأنه بحاجة في هذه اللحظة من اجل التظاهر بقوة بلاده، لكنه مع ذلك أراد ممارسة سياسة اتخاذ القرارات، التي تبين وتعبر عن شخصيته الحاسمة في الحالات الحاسمة والضرورية. واخيرا قرر كل الوزراء ومن بينهم ساليسبوري بدعم ومساندة دزرائيلي. لكن اعضاء المجلس طلبوا من رئيسه بوجوب ارسال الادارة البريطانية في الهند برسالة استئذان مما ستقوم به في افغانستان وتكون هذه الرسالة موجهة إلى البرلمان البريطاني وقد وافق دزرائيلي على ذلك. كما اكد رئيس الوزارء برسالة اخرى للادارة البريطانية في الهند بوجوب تجهيز كافة الاستعدادات العسكرية. وبعد كل ذلك، وجه مجلس الوزراء

إلى الادارة البريطانية في الهند بضرورة تقديم انذار بغاية الحدة للامير الافغاني "كي يقدم اعتذار جلي لبريطانيا لاستقباله وفد روسي ويتعهد بعدم تكرار خطئه هذا مستقبلا وان يعلن موافقته التامة والنهائية على استقبال وفد بريطاني بارز ودائم داخل إقليم أفغانستان"[116].

انتهى الانذار وفي الحادي والعشرون من تشرين الثاني، عبرت قوات الادارة البريطانية في الهند باتجاه كابور وقندهار، وهكذا بدأت الحرب الأفغانية بسبب السياسة العدائية للورد ليتين[117]، وبموافقة دزرائيلي الذي وجد نفسه مرغما أما إن يطأطئ رأسه امام الاهداف الروسية بالتوسع ، وأما إن يعلن حربا لاحتلال افغانستان[118]. في 21 تشرين الثاني 1878، دخلت القوات العسكرية البريطانية أفغانستان واجتاحت عدة مدن بسرعة كبيرة, وادى ذلك إلى ان يشعر الشير علي بالاحباط الكبير من الموقف الروسي والذين وعدوه بتقديم المساعدة لكنهم لم يساندوه عندما طلب منهم المساعدة والدعم. وهكذا انهارت القوات الافغانية بسرعة كبيرة واضطر الامير ان يتنحى عن منصبه فتم تعيين ولده يعقوب خان على عرش كابول[119].

وسرعان ما وصل الجيش البريطاني إلى قندهار في كانون الثاني 1879، ووجد الجيش الأفغاني فارا فقد ترك مواقعه و فر إلى الجهة الشرقية من جلال آباد Jalal abad[120]. فأعلن الامير الجهاد أي الحرب الدينية، ووعد أولئك اللذين قتلوا بأنهم سيدخلون الجنة، أما اللذين عارضوا هذه الحرب الدينية فأنهم سوف يعذبون عذابا شديدا في الاخرة[121]. على كل حال فقد ناور الافغانيين من اجل السلام، وهكذا قام البريطانيين بتوقيع معاهدة كانداماك Gandamak، ووفقا لهذه المعاهدة، وافق يعقوب خان على الاقامة البريطانية في كابول، حيث كان ذو شخصية ضعيفة للغاية[122] وتنازل عن مناطق بيشين Pishin، سيبي Sibi، ووادي خرام Khurram إلى البريطانيين. وفي تموز 1879 وصل الجنرال كافاكناري Gavagnari إلى كابول كمقيم بريطاني[123].

من الجدير بالذكر ان الشعب الافغاني رفض إن يستسلم بهذا التذلل، فلـذلك حدثت ثورة عارمة. في الثالث من أيلول اسـتطاعوا فيهـا مـن تكبيـد القـوات البريطانية خسائر جسيمة ثم قاموا بقتل كل المقيمين البريطانيين في كابول, ساعدهم في ذلك الجنود الافغان، كما قاموا بقتل كافاكناري في صيف 1879، ودفنوه تحت البناية[124]. ولمواجهة هذا الموقف العصيب للقوات البريطانية فتم ارسـال قـوات عسكرية أخرى إلى أفغانستان، وبعد حملة دموية، تم محاصرة كـابول و قنـدهار. والملاحظ جدا ان في تلك الاحداث فأن الروس لم يتدخلوا، ثم اعقبوا ذلك بقـرارهم القاضي بسحب وفدهم وابطال المعاهدة التي ابرمت مع الشير علي[125] وهذا الأمر ساند باتخاذ ليتون Lytton منهجية سياسة احتلال أفغانستان فـي نيسـان 1880، وكل هذا كان مدعما بموافقة اللورد كران بروك.

اختلف أعضاء مجلس الوزراء البريطاني فيما بينهم وكانوا يفضـلون إبقـاء مشكلة أفغانستان بدون حل على إن يمتدوا باحتلالهم أكثر، وفي هذه الاثنـاء، تـم التحالف مع الامير عبد الرحمن، وهو احد احفـاد دوسـت محمـد, و تـم البـدء بالمفاوضات معه، لكن قبل إن تنتهي هذه الأمور، سقطت حكومة دزرائيلي[126].

كان الرأي السائد على الحرب الأفغانية الثانية هو إن ليتن لم يكـن شخصـا مطيعا للأوامر لأنه اجبر الحكومة على التدخل بهـذه الحـرب. أمـا غلادسـتون وأصحابه فقد حملوا مسؤولية هذه الحرب على السياسة العدائية المتعمدة لدزرائيلي. لكن هل يجب توجيه اللوم إلى ليتن وتبرئة ساحة الحكومة على حساب مـرؤوس؟ ولكن ذلك ينافي جميع المبادئ التي يدين بها الوزير الأول. وانتهى بهم الأمر إلـى لوم ليتن[127]. لكن الأمر المهم هو الذي يجب ذكره هو إن دزرائيلي قد كان محقـا وحذقا عندما قال "يجب تصفية آسيا الوسطى من الروس"، واثناء دفاعه عن سياسته في هذه الحرب في مجلس اللوردات استأنف معارضته لمبدا "الحصول على السلام بأي ممر كان، وهذا ما يؤكده الحزب المعارض". كان ذزرائيلي مستعدا لخـوض حروب من إن تشعر بلاده بالذل أمام نفوذ آخر[128]. ويجـب إن نـذكر هنـا إن

أفغانستان كان من الضروري غزوها من اجل "التظاهر بقـوة انكلتـرا وحجمهـا الدولي والامبريالي".

حرب الزولو:

بدأت اعداد الاسلحة النارية تتزايد في الزول في نهاية 1860، و[129] وهذ الامر يمكن ربطةُ بمجمل الاوضاع في جنوب افريقيا وبالتقدم التكنولوجي للاسلحة النارية في اوروبا, اذ دخلت البلدان الاوربية في الاعـوام 1867 و1875 بطفـر تطور عسكرية سريعة وبمختلف انواع الاسلحة[130]. وفي نفس الوقت فأن اكتشاف المناجم والفحم في افريقيا الجنوبية ادى الى الازدهار والنمو وتغييرات اقتصـادي واجتماعية[131], على حد سواء بالاضافة الـى نشـوء حركـة عمـل والمعامـل الافريقية[132], وكان هنالك سوق كبير للأسلحة الاوربية في افريقيا وقد تم تصـدير 60000 قطعه سلاح بصورة قانونية الـى الناتـال Natal فـي اعـوام 1872-1877[133], ومع هذا التزايد الهائل للأسلحة النارية ازداد تفـاقم الاوضـاع فـي الزولو, ومن الصعوبة ان نخمن عدد قطع الاسلحة التي دخلت الى ارض الزولـو في هذه الفترة.

كانت بريطانيا تتعامل بحساسية وجدية كبيرة لاي تهديد لمنطقة رأس الرجا الصالح[134], وكانت هناك اربعة دول صغيرة في جنـوب افريقيـا,اثنـان منهـ للمستعمرات البريطانية هما ناتال وجمهورية بوير الافريقية, وشـعرت الحكومـ البريطانية بالقلق حيال طموحات المملكة الافريقية للزولو وتنظيمها العالي[135]، وقد عارضت الزولو وقاومت اي محاولة من السكان البـيض لزيـادة تـأثيرهم فـي المنطقة[136]. وفي الثاني والعشرون من كـانون الثـاني 1879 عـانى الجـيش البريطاني من انهزام كبير لما تم هزُم 1.500 عسكري بريطاني وهـم مُسـلحين بأحدث الاسلحه في معركه ايساندلوان Islandlwana عن طريق جـيش الزولـو المكون من 25.000 محارب ولم يكونوا مجهزين الا بالرماح فقـط[137]. اذ قـاد جيش الزولو في جنوب افريقيا بالهجوم على الجيش البريطاني، واضافة إلى ذلـك

فقد حدثت معركه اخرى إذ قام 120 عسكري بريطاني على الاقـدام والمحاربـه والقتال بدلاً من الفرار من ساحة المعركة وواجهوا 4.000 محارب زولوي[138].

وهنا رُبما يتسائل احدهم، لماذا قاتل هؤلاء ضد الزولويين وهنا رُبما يتسائل احدهم، لماذا قاتل هولاء ضد الزولويين، ان الاجابه على هذا السؤال يقودنـا الـى بعض النتائج التي تبدو غير واضحة, في ان الامبراطورية البريطانية قد قدمت مثلاً للناس الرأسماليين الجشعين الباحثين عن الاسواق والمواد الجديدة. وفي حالة معاينة الظروف فقد اعطت مشهدا للتوسـع, ومـن الصـعوبه عـزل او فصـل الـدافع الاقتصادي. هذه هي الحاله في ارض الزولو، اذن ان الدوافع الاقتصادية هي التي شجعت التوسع الامبريالي في افريقيا في الربع الاخير من القرن التاسـع عشـر. ولابد من الاشارة هنا الى التقدم البريطاني في جنوب افريقيا، ترانسفال وبيكواتالاند وتدمير مملكه الزولو, كل ذلك كان قبل اكتشاف الذهب وقبل ثورة المناجم والفحم, اذ كانت جنوب افريقيا ضعيفه وفقيره جداً فأستمالت الحكومة البريطانية للسـيطرة عليها ولاسبابٍ إستراتيجية.

ان فكرة احتلال الزولو سجلت فوائد اقتصادية لتبرير التوسع والذي يتطلـب اجراءات كبيرة, على أي حال قامت بريطانيا بتوسيع سيطرتها على مناطق واسعة لأفريقيا الجنوبيه خلال القرن التاسع عشر, وفي 1876 كانت بريطانيا بدون ادنـى شك هي القوة العظمى في المنطقه، لكن لم يكـن الزولـويين او البـوير راغبـين بالاعتراف بذلك وكانوا يقاومون التأثير البريطاني, فحاول البوير البحـث توسـيع اقليمهم، بمساعدة المانيا من اجل عرقلة وتعقيد وتصـعيب المشـاكل الامبرياليـة البريطانية[139].

وفي حالة غياب الدوافع الاقتصادية للغزو البريطاني للزولو، فأن السـيطرة الإستراتيجية على الطرق البحرية للهند ذات الاهمية الكبرى لبريطانيا[140], وبـذلك تتضح ان اسباب هذه الحرب هي الاهمية الإستراتيجية لتعزيز سيطرتها على الهند،

وان الحرب مع الزولو تترابط في عقول صناع القرار البريطاني القيادي بالازمة العسكرية الكبيرة لعام 1876-1879 لما اراد معظم البريطانيين الحرب مع روسيا بسبب محاولات الاخيرة مهاجمة الدولة العثمانية واحتلال استنبول[141]. لقد كانت لمنطقة الزولو مهمة واساسية للسياسة البريطانية وللاهداف الامبريالية وللأغراض العسكرية والبحرية.[142]

ولقد تم اختيار السير بارتل فرير Bartle Frere كمبعوث سامي للتباحث على جعل جنوب افريقيا خط استراتيجي ودفاعي[143], اذ كان الخوف الحقيقي لبريطانيا هو في سقوط استنبول بيد الروس، وسيتمكنون اثرها من التدخل في مواصلات البحر المتوسط المارة الى الهند عن طريق سد قناة السويس، تاركين مواصلات وطرق الرأس وبذلك ستكون الطرق المائية المطلة عليها منطقة الزولو هي الطريق الرئيسي والوحيد المتبقي لها.[144]

وما إن تم تعيين السير بارتل فرير محافظا على اقليم البوتال والمبعوث السامي لجنوب افريقيا، فباشر في القيام بالتخطيط لاتساع صلاحية بريطانيا في نهر زامبيزي وما خلفه من اجل تقوية الدفاع الليبرالي على طول سواحل جنوب افريقيا ولاضعاف المطالب البرتغالية في الشرق والغرب[145]. وكان اضعاف واحباط قوة الزولو مهم لتدعيم السمو البريطاني في هذه المنطقة لذلك قامت الحكومة في لندن في 1879 بارسال قوات اضافية كبيرة لهزم قوة الزولو وتم تقسيم اقليمهم الى ثلاثة عشر قسم.[146]

كانت مهمة فرير Frere الحفاظ على مدينة الرأس Cape Town من اجل درء التهديدات الخارجية، ولضمان عدم تدخل القوى الاوربية في جنوب افريقيا[147], وان استبعاد التأثير الاوربي يتطلب السيطرة على الخطوط الساحلية في جنوب افريقيا. لقد كان فرير مهتماً بأمكانية الحصول على ممتلكات خليج ديلاغوا Delagoa Bay[148] وقد ناقش دزرائيلي ذلك في مجلس الوزراء البريطاني

تهديدات تأثير القوى الأوربية والأمريكية في جنوب افريقيا[149] فقرر بسط النفوذ البريطاني على هذه المنطقه[150]، ومن اجل تهديد التواجد الروسي وتأثيره في المنطقة قام دزرائيلي بارسال سته كتائب من جنود المشاة، وفوجين عسكريين من المدرعات واربعة فرق الى مالطا من اجل تهديد وتخويف الروس.[151] وهكذا فان الحرب الانكلو- زولو لعام 1879 يمكن ان نرى اسبابها بوضوح وهي اسباب إستراتيجية جغرافية وسياسية لشخص يعتبر نفسه مهتماً لمصالح الامبراطورية ولم يكن يثق بنوايا ونزاهة غيره من السياسيين.

مع نجاحات جنود الزولو بكسر الهيبة البريطانية فانهم قد عانوا من خسائر فادحة[152]، وقد يكون ذلك بسبب اعتمادهم في قتالهم على الاسلحة والاساليب التقليدية. ومما يجب توضيحه ان جنود الزولو لم يكونوا جيشا نظاميا بل كانوا مدنيين مسلحين, وفي القرن التاسع عشر، كان على المجتمعات الافريقية الجنوبية ان تدافع عن حدودها وقراها ومزارعها ومنازلها، لدرء ما يهددها من مخاطر, وتمخض ذلك في الغزو البريطاني لاقليم الزولو فقد كان في منتصف فصل الصيف أي قبيل موسم الحصاد، لذلك لم يتمكن سكان الزولو من البقاء في اراضيهم لفترة طويلة من اجل الحصاد[153] مما عنى هذا تعرضهم لمشاكل اقتصادية جمة قربت من إن تكون مجاعة حقيقية.

جنود الزولو لم يكونوا راغبين بخدمة الفرق والكتائب لفترة طويلة, لكنهم كانوا مستعدين للدفاع عن انفسهم من الغزو[154], وادرك حينها الملك ان جيشهُ لايمكن ان يُحقق الانتصار العسكري، لذلك اتجه حول مبادرات السلام فقام بسحب جنوده من اجل التفاوض لتسوية السلام[155]. وقد أدرك البريطانيين ان سكان الزولو وجيشهم لايمكن ان يُدمروا عن طريق استخدام القوة العسكرية[156], فاتجهوا إلى توظيف الدبلوماسية والسلام معهم لتحقيق مصالحهم.

ما زالت اسباب الحرب الانكلو – زولو تثير جدل وتفحص ومراقبة المؤرخين، لقد قيل انهُ لايمكن فهم الحرب الانكلو – زولو بدون الاخذ بنظر الاعتبار آراء ووجبات نظر الزولويين وسماع اصوات وآراء الافارقه[157]. وبذات الوقت لم يكن هناك حزب في بريطاني داعم ومؤيد لحرب الزولو[158], كما اننا لم نعرف من الافارقه الاسباب الحقيقية والغير معروفة لهذه الحرب, ولم نجد ملمسا واضحا لما جرى هناك الا انه عن طريق استخدام الارشيف في بريطانيا وجنوب افريقيا, والتي تبين قد جري بسبب عدم وجود حماية لطرق الرأس للهند والتي كانت مسيطرة ومهيمنة منطقة الزولو[159]، فكانت هناك حاجة اساسية الى لانشاء مراكز ومناطق للسيادة والنفوذ البريطاني.

هنا يجب إن نؤكد إن المؤرخين البريطانيين استمروا بالجدال حول جهل رئيس الوزراء عما كان يحدث, وان دزرائيلي كان يحث المسئولين المحليين البريطانيين على تحقيق وتنفيذ الامن , ويؤكد عليهم ضمانهم لممارسة سياسة الاتساع[160] خلال ذلك قام دزرائيلي بتسمية حزب المحافظين بالحزب الوطني وبريطانيا بالقوة الامبريالية العظمى وفي الحقيقة كان دزرائيلي وكل البريطانيين محافظين على امن حدود امبراطورية الهند,[161] الا ان دزرائيلي كان مختلفا في اهتمامه لها حيث قام بتقويتها وتعزيز مكانتها, ولقد قام بادخال السياسة الخارجية وركز على الصلة الهندية وثبتها لكن ما حدث هو ان دزرائيلي كان متأرجحا بين المحافظة على وجود الامبراطورية العثمانية وبين المسألة الشرقية، فأدى ذلك الى ضعف ثبات سياسته الا ان كل ما قام به كان يصب في مصلحة بريطانيا والحفاظ على الامبراطورية الهندية.[162]

وضح المؤرخين ان دزرائيلي استخدام المسالة الشرقية من اجل ان يؤكد هيبة بريطانيا وان ((ينهي عزلة بريطانيا الدبلوماسية)) فمثلا قال برنارد بورتر ان النتيجة المقتعة لدزرائيلي الازمة الشرقية هي ان المانيا، النمسا، وروسيا قد تم اضعافما وادخالهم في مرحلة جديدة. اما بالنسبة لبريطانيا ولاي دولة اخرى فان

العلاقات مع البلدان الجارة كانت وسائل للوصول الى النهاية وكانت الاهداف هي لمنع اي قوة قوية في السيطرة على منطقة البحر الشرقية للبحر المتوسط والحصول على حكم يسهل في التاثير البريطاني على المنطقة وكانت النتيجة الاكثـر اقناعـا وقبولا هي ان بريطانيا منعت روسيا من تثبيت امبراطورية لها, واعـاقوا التقـدم الروسي نحو الخليج العربي وقبرص[163]. وقـام اعضـاء البرلمـان والصـحافة والشعب بدعم الحكومة وكذلك قدم لها دعم الكبير من الليبرالين, وقد علقت صحيفة التايمز على ذلك بان السياسة الخارجية وسياسة المستعمرات قد ثبتت نظاما مستقلا لميول الحزب. حتى ان غلادستون لم يكن لديه شكوك حول تقديم الدعم الى حد ما لسياسة دزرائيلي . وكان دزرائيلي يتعامل مع الامبراطورية الهندية وكانها مسـالة او قضية داخلية، فقد كانت مسالة الهند تعني له مسالة التزام وقد اشـارت سياسـة دزرائيلي الحماسة لدى افراد الشعب البريطاني.

ان دزرائيلي الذي قد وضعته الانتخابات العامة في 1874 للمرة الثانية فـي عمر عمله الطويل في الرئاسة لبرلمان موثوق ومؤكد من الأغلبية، كان لديه العديد من مظاهر قوة العقل والفطنة, قد كان ينظر ببعد وعمق مع ومضات عبقرية كنوع من أنواع النبوءة السياسية. وقد انغمر بمركزه هذا لمجابهة العديد مـن العواقـب الهائلة واجتازها بذكائه وعزمه وقوة إرادته ولأكثر من خمسة وعشرين سـنه قـاد حزب المحافظين في مجلس العموم – القيادة المستمرة الأطول التي سجلت لزعامة حزب المحافظين إلى الأن–، وعلى الرغم من تميزه في المناقشة والتفـاوض فقـد كان ميله الأساس والرئيس للإصلاح السياسي والتقدم الاقتصادي والبناء الاجتماعي المؤسساتي.

وحين أجتاز السبعين من عمره توفت زوجته المخلصة، وقـد كانـت هـذه الخسارة كبيرة وحقيقية بالنسبة إليه لتقدمه في السن، فلذا وعلى الرغم من أنهُ يمتلك عبقرية جعلت الأشخاص يتبعوه، وتميزه بصورة كبيرة حتى على كلادستون فـي إداراته السياسية والشخصية، فأن طبيعته الداخلية قد استنجدت البهجة والمساندة من

مجتمع النساء لغرض ان يغري رغبته ويشبعها، بصورة جزئيه في الاتصالات الرومانسية، وبصورة اكمل في الاخلاص الغير معقول للملكة فكتوريا، التي تصورها على انها گلوريانا الثانية, والانيقة المقربة من بين حبيباته الخياليات, ولكن هذه التصورات قد قادته بالتالي الى إن تكون وحدته حقيقية، ولا يمكنه ان يتشبث طويلاً في وظيفته وذلك لأن أهتماماته الاصلاحية وافكاره الخاصة بهذا المجال بالنسبة لآولئك الذين قد أعتبروه بطلهم لم تجد مكانا للتطبيق السريع.

بدأ ديزي فكره راديكالياً مقسماً انكلترا الى قسمين فقير وغني ، ومطالباً بالحاجة الماسة من أجل جعلهم أمة واحدة, كان يهتم بأخلاص بأحداث الاصلاح الاجتماعي وقد اوجد عدة مفاهيم بمجالات متنوعة تشكلت فيما بعد بأسم المفهوم الدزرائيلي وأن فترة رئاسته للوزراء، قد أظهرت انبهار الامبريالية التي قد برقت في فترة قصيرة في بريطانيا وبعض دول كامونويلثها ببريق الإصلاح الاجتماعي.

كان لحسن حظ بلاده بأن إمراضه لم تعجزه لأنه الفترة الكلية لوزارته كان عليه الاحتفاظ بعين حريصة ومتيقضه على روسيا وألمانيا. فبينما روسيا كانت تضيف مقاطعة بعد اخرى الى سيطرتها، دزرائيلي لم يكن لديه إي ايمان في وجود بذرة امل في ايجاد تفاهم حقيقي او اولي مع الروس، وكان يعلم إن حصوله على إي سلام معهم فذلك لن يعني إلا أنه حصل على مساحة تنفس مؤقتة للتهيؤ لمشكلة جديدة بالمستقبل القريب.

الهوامش /

1- Barnett, Correll I , The Collapse of British Power, William Morrow, New York .1972, p56.
2- Ibid,p.78.
3- Bartlett, C.J., Defence and Diplomacy: Britain and the Great Powers 1815-1914, Manchester: Manchester University Press.1993,p. 178.
4- Ibid, p.186.
5- Beeler, J.F. , 'A One-Power Standard: Great Britain and the Balance of Naval Power 1860-1905', The Journal of Strategic Studies 15, 4: 1998, pp. 68-75.
6- Bartlett, C.J., op, cit,p.197.
7- Ibid, p.209.
8- Barnett, Correll ,p.83.
9- Ibid,p.84.
10- Ibi,p.85.
11- Anderson, M.S. , The Eastern Question 1774-1923: A Study in International Relations, London 1966, pp.15-169.
12- Addy, Premen , Tibet on the Imperial Chessboard: The Making of British Policy Towards Lhasa 1859-1925, Academic Publishers ,.calcutta/New Delhi 1987, pp.43-90.
13- Ibid, p.112.
14- Ibid p,139.
15- Barclay, T., Thirty Years: Anglo-French Reminiscences, London 1914,p 24..
16- Ibid, p.267.
17- Beeler, J.F. , op, cit, p.77.
18- Ibid, p.78.
19- Baumgart, W. , Imperialism: The Idea and Reality of British and French Colonial Expansion 1880-1914,: Oxford University Press. Oxford 1985, p.32.
20- Ibid,p.33.

21- Beachey, R.W, British Naval Policy in the Gladstone-Disraeli Era 1866-1880: Stanford University Press. , Stanford1997, p.78.
22- Ibid, p.79.
23- Ibid, p.81.
24- Blunt, W.S., Secret History of British Occupation of Egypt,: Greg Int,l. New York 1907, p,26.
25- Beachey, R.W, op, cit,p.85.
26- Blunt, W.S., op, cit, p.29.
27- Addy, Premen, op, cit, p.149.
28- Ibid, p.152.
29- Bodelsen, C.A., Studies in Mid-Victorian Imperialism, Heinemann. London: 1935,p.125.
30- Ibid, p.138.
31- Bodger, A. , Russia and the end of the Ottoman Empire', in M. Kent (ed.), The Great Powers and the End of the Ottoman Empire, Allen and Unwin.,London 1984, p.156.
32- Ibid, p.161.
33- Beachey, R.W, op, cit, p.86.
34- Bodger, A. ,, op, cit, p.168.
35- Ibid, p. 171.
36- Bond, Brian , The Victorian Army and the Staff College, 1854-1914, Methuen. London 1972, p.122.
37- Bodger, A. ,, op, cit, p.174.
38- Bond, Brian , op, cit, p.125.
39- Ibid, p.129.
40- Ibid, p.131.
41- Bodelsen, C.A, op, cit, p.147.
42- Bodger, A. ,, op, cit, p.150.
43- Bond, Brian , op, cit, p. 133.
44- Ibid, p.136.
45- Bodger, A. ,, op, cit, p.`155.
46- Ibid, p.159.
47- Blake, R. , Cecil, Hugh , Salisbury: The Man and His Policies,: St. Martin's Press.,New York 1987, pp.79-85.

48- Ibid, p.87.
49- Bourne, K., The Foreign Policy of Victorian England 1830-1902, Clarendon Press, Oxford 1970, p.182.
50- Ibid, p.186.
51- Bodger, A. ,, op, cit, p. 168.
52- Bourne, K., op, cit, p.173.
53- Alder, G., , the Great Powers and the Near East 1774-1923, Documents on Modern History,: St. Martin's Press., London 1970, p.108.
54- Ibid, p.113.
55- Ibid, p.115.
56- Bourne, K., op, cit, p. 180.
57- Alder, G., op, cit,p.119.
58- Bourne, K., op, cit, p. 184.
59- Bradford, Sarah , Disraeli, Weidenfeld and Nicolson, London 1982, pp. 156-157.
60- Bodger, A. ,, op, cit, p. 178.
61- Ibid, p.180.
62- Bradford, Sarah, op, cit, p.166.
63- Bridge, F.R. , Bullen, R. , The Great Powers and the European State System, 1815-1914, London 1980, p.211.
64- Bodger, A. ,, op, cit, p. 183.
65- Bradford, Sarah, op, cit,p.175.
66- Bridge, F.R. , Bullen, R. ,,p.213.
67- Bradford, Sarah, op, cit,p.177.
68- Alder, G., op, cit, p.128.
69- Carroll, E.M. (1931/1934) French Public Opinion and Foreign Affairs 1870-1914, Shoe String., New York 1931,p,94.
70- Ibid, p,96.
71- Durrans, P.J., A Two-edged Sword: The Liberal Attack on Disraelian Imperialism', Journal of Imperial and Commonwealth History 10, 3, 1982, pp.262-279..

72- Duthie, J.L., Some Further Insights into the working of Mid-Victorian Imperialism: Lord Salisbury, the Forward Group and Anglo-Afghan Relations 1874-1878', Journal of Imperial and Commonwealth History 8, 3, 1979,p. 181
73- .ibid, p.184.
74- Ibid, p,189.
75- Durrans, P.J., op, cit, p.280.
76- Gooch, G.P. ,Ward, A.W., The Cambridge History of British Foreign Policy, 1853-1919, New York, 1923.p, 89.
77- Ibid, p,91.
78- Duthie, J.L.,, op, cit, p.192.
79- Ibid, p. 195.
80- Havinden, M. , Meredith, Colonialism and Development; Britain and its Tropical Colonies 1850-1960,: Routledge, London 1993, p.109.
81- Gooch, G.P. ,Ward, A.W, op, cit, p.92.
82- Ibid, p,96.
83- Havinden, M. , Meredith, op, cit, p.111.
84- Ibid, p,112.
85- Heathcote, T.A. (1980) The Afghan Wars 1839-1919, Osprey., London 1`980, p.57.
86- Ibid, p89.
87- Havinden, M. , Meredith, op, cit,p.115.
88- Durrans, P.J., op, cit, p. 284.
89- Ibid, p.287.
90- Hazlehurst, C., 'Disraeli Prime Minister 1874-1880', English Historical Review 85, 3, 1971, p,518.,
91- Ibid, p,521.
92- Ibid, p.522.
93- Hutchins, F.G. , The Illusion of Permanence: British Imperialism in India, Princeton: Princeton University Press.1967, p,43.
94- Ibid, p.44.
95- Hazlehurst, C.,, op, cit, p.525.

96- Hutchins, F.G, op, cit, p.47.
97- Blake, R. , Cecil, Hugh, op, cit, p. 121.
98- Ibid, p.125.
99- Ibid, p.126.
100- Kazemzadeh,firuz, Russia and Britain in Persia 1864-1914, New Haven, Yale University Press. 1968 , p.202.
101- Hyam, R., Britain's Imperial Century, 1815-1914: A Study of Empire and Expansion, B.T. Batsford,. London 1976,p.156.
102- Ibid, p.160
103- Kazemzadeh, Firuz,., op, cit, p.212.
104- Blake, R. , Cecil, Hugh, op, cit, p.131.
105- Hyam, R, op, cit,p.166.
106- Kazemzadeh, Firuz,., op, cit,p.217.
107- Ibid,p.219.
108- Ibid, p221
109- Ibid,p,223.
110- Khalfin, N.A., 'Indian Missions in Russia in the Late Nineteenth Century and British Historiography of International Relations in Asia' , Modern Asian Studies 21, 4, 1987, p.639.
111- Blake, R. , Cecil, Hugh, op, cit,,p.134.
112- Kazemzadeh, Firuz,., op, cit, p.225.
113- Khalfin, N.A., , op, cit, p.625.
114- Lloyd, T.O.,, The British Empire 1858-1983, Oxford: Oxford University Press 1984, p.179.
115- Ibid, p.182.
116- Khalfin, N.A., , op, cit, p. 228.
117- Lloyd, T.O, op, cit, p.187.
118- Hyam, R, op, cit,,p.170.
119- Fenner, F.F., Disraeli's Indian Policy', unpublished M. Phil. thesis, St John's University, New York 1987,p 156.
120- Ibid, p.160.
121- Ibid, p.164.
122- Lloyd, T.O, op, cit, p.192.

123- Gillard, D.R, The Struggle for Asia: A Study in British and Russian Imperialism, London 1977,np.138
124- Ibid, p,141.
125- Fenner, F.F., op, cit,p.166.
126- Khalfin, N.A., , op, cit, p.235.
127- Gillard, D.R, , op, cit, p.142.
128- Fenner, F.F., op, cit,pp.168-169.
129- Mark tailoomt, The Private Life of the Queen., Quarterly Review 1897, vols.pp. 193-213.
130- Georgiana Bloomfield, Reminiscences of Court and Diplomatic, Bloomfield 1883,2 vol, p.86..
131- W.F. Monypenny G.E Buckle, The life of Benjamin Disraeli, Earl of Beaconsfield. Vols 6, london 1910. Pp.134-136.
132- ibid, p.137.
133- R. L. Cope, Ploughshare of War: The Origins of the Anglo-Zulu War of 1879 (Pietermaritzburg: University of Natal Press, 1999), p.229.
134- Georgiana Bloomfield, op, cit, p.91.
135- Mark tailoomt, op, cit, p.218.
136- ibid, p.220.
137- W.F. Monypenny G.E Buckle, op, cit, p.142.
138- ibid, p.222.
139- J. Dafforne. The history modern wars, london 1877,p. 87.
140- ibid, p,88.
141- ibid,p.90.
142- W. R. Guest, Langalibalele. The Crisis in Natal 1873-75, Durban: University of Natal Press,1976),p.11 .
143- Mark tailoomt, op, cit, p. 223.
144- ibid, p.225.
145- a.w. Kinglake. The Invasion of the Crimea, Vols 9, Cabine 1888, p.117.
146- ibid, p.119.
147- ibid,p.121.

148- J. Dafforne, op, cit, p.95.
149- ibid, p.97.
150- . a.w. Kinglake., op, cit, p.122.
151- ibid,p.124.
152- W.F. Monypenny G.E Buckle, op, cit, p.144.
153- ibid, p.147.
154- ibid,p.149.
155- ibid,p.152.
156- a.w. Kinglake., op, cit,p.126.
157- Mark tailoomt, op, cit, p.226.
158- Theodore Martin, Queen Victoria- Queen Victoria as I knew hear, London 1908, p.165.
159- ibid, p.167.
160- J. Laband , P. Thompson, An Illustrated Guide to the Anglo-Zulu War (Pietermaritzburg: University of Natal Press, 2000), 6.
161- ibid, p.25,
162- Hopkins, A.G. (1986) 'The Victorians and Africa: A Reconsideration of the Occupation of Egypt, 1882', Journal of African History 27, 2, 1986, pp 363-369.
163- ibid, p.386.

الباب الثامن

الشعب الأمريكي
والثورة الأمريكية

الباب الثامن

الشعب الأمريكي والثورة الأمريكية

إن المنقب لتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية يقع على حقيقة ثابتة هي – الهجرة– فالجغرافيا الأمريكية لم تفرز ولم تثمر شعبا اصيلا إذ إن المجتمع الأمريكي في حقيقة جوهره مجتمع استيطاني فالامريكان مستوطنون جاءوا من بلاد شتى ولدوافع واسباب شتى ليختاروا هذه الارض واستيطانها والتي لم تكن مهجورة فقد كان مستقر وعائش بها سكانها الاصليين –الهنود الحمر– والذين تم اضطداهم وفناء معظمهم على يد السكان الجدد, لذا قد نتمكن هنا من القول إن المجتمع الأمريكي الهارب من العنف والاضطهاد البريطاني طبق العنف ذاته على سكان امريكا الاصليين وعليه فأن الولايات المتحدة الأمريكية بدأت وجودها فعليا بصورة مجتمع مضطهد.

وعلى كل حال فكان قد اشتد الصراع الفرنسي الإنكليزي على مناطق شمال أمريكا في بداية القرن الثامن عشر، لا لينتهي كما هو متداول بين المؤرخين الفرنسيين بانتصار فرنسا بل إن حقيقته انتهت بسيطرة الإنكليز على جميع المناطق الشمالية من القارة الأمريكية إلا أن هذا النصر لم يدم. اذ سرعان ما تحالف المستوطنين البريطانيين في عدد من الولايات الأمريكية الشمالية ليعلنوا حربا امتدت لأكثر من عشر سنوات انتهت بإعلان الاستقلال للولايات المتحدة الأمريكية.[1] ولا شك أن الحروب التي سجلت تقدما أو أساسا في بنية الروح التوسعية كانت الحروب الفرنسية الانكليزية التي لم تنتهي إلا للتواصل بحروب جديدة مع بيان الحروب التي شنت ضد الهنود أصحاب الأرض الحقيقيين والسكان الأصليين لغربي القارة الذين أبيدوا بشكل شبه جماعي فلم يتبق منهم اليوم إلا بضعة ملايين بينما أبيد البقية في المائة سنة الأولى إذ تم تشتيتهم وإخراجهم من أراضيهم.[2]

اندلعت الحروب الاستعمارية على الأرض الأميركية بين الدولتين المتنافستين استعماريا انكلترا وفرنسا فأوقعت خسائر بالآلاف بين الطرفين وانتهت كما نعرف بنصر الانكليز على الفرنسيين علما أن الفرنسيين كانوا يستولون على الجزء الأكبر من الأراضي الجنوبية الأميركية التي امتدت من لويزيانا حتى كامل الأراضي الكندية.[3] وقد تتعدد أسباب نشوب هذه الحرب، والمؤرخين الغربيين أنفسهم لا يتفقون على سبب محدد لها فقد سيطر الفرنسيين بالطبع على المناطق الممتدة بين لويزيانا إلى كندا حتى حدود ألاسكا، وكانوا يحتاجون إلى حدود أو طريق لحماية هذه المناطق وكذلك استمرار التواصل فيما بينها فقد كان فصل الشتاء يقطع أواصل هذه الأراضي، وكانت الثلوج تغطي المناطق الشمالية وتحديدا عند الممرات المؤدية إلى كندا حيث كانت الثلوج تحول دون وصول المعونات إلى بعض مناطق لويزيانا، فكانوا يحتاجون إلى حماية الممر الذي يجمع ما بينها والذي هو نهر الميسيسيبي.[4] ولم يكن سهلا حماية خذا الممر، ما جعلهم بأمس الحاجة إلى قلاع محصنة رفعوا صروحها ما اعتبره الانكليز بادرة استفزاز استيطاني على اعتبار أنهم كانوا يوسعون مستوطناتهم نحو مناطق استوود, ولما وضعوا قلاعهم على حدود الميسيسيبي اقفلوا بذلك الطريق على الانكليز ومنعوهم من التوسع.[5]

هذا ما يتردد أحيانا في ألاوساط الدراسية الأميركية التاريخية حول بداية هذه الحرب ولكن هناك وجهات نظر تتحدث بكل بساطة عن إصرار المتطوعين الأمريكيين في الجيش الانكليزي على توسيع مساحات المستعمرات الإنكليزية على حساب تلك الفرنسية, لم لا وهي تتوسع منذ مائة وخمسون عاما على حساب الآخر، أي أنها حرب توسعية بامتياز.[6] ولأنه كان ضابطا في الجيش الانكليزي فقد أمضى جورج واشنطن جزءا من حياته في محاربة والفرنسيين والهنود على حد سواء ووقع معهما معاهدات سرعان ما نقضها، كما كرس جهودا كبيرة للمساهمة جدية في طرد الانكليز أيضا أي أن هذه الفئة الأولى والنخبة في الدولة الأميركية

توقع بكل سهولة على أي وثيقة وبعد ذلك تنقضها وتتخطاها عندما تعتد بالقوة اللازمة لتعاود حروبها التوسعية ثانية.(7)

ان الساسة الأمريكان يتخلون عن تعهداتهم حين يجدون الآخر ضعيفا فيبادرون إلى إعلان الحرب عليه وهذا ما حصل فعلا في السبب الثالث لاندلاع تلك الحرب، وهو انشغال فرنسا في حروبها الأوروبية،(8) فقد اندلعت في تلك الفترة حربي التنافس على منطقة سيليزيا بين فرنسا والنمسا التي هددت الألزاس واللورين، ما أدى إلى توقف الدعم اللازم للمستعمرات الفرنسية في أميركا وهو ما أعتبره الملك الفرنسي لويس الخامس عشر أن المستعمرات الفرنسية في أميركا الشمالية لم تكن إلا مجرد إسطبل بالنسبة له ولا يمكن لفرنسا أن تعينها في فترة يشتعل فيها البيت الفرنسي في حربه ضد النمسا.(9) هذا هو السبب الثالث الذي يقال أنه السبب الرئيسي لاشتعال الحرب وقد أدرك الانكليز والمستوطنين حالة الضعف الفرنسية وإمكانية التوسع على حسابها والاستيلاء على مناطقها. كان هذا درسا بازغا تلقنه المستوطنين وتحديدا جورج واشنطن، الذي يقول أنه لا بد من الاستفادة من قوة الذات وضعف الأخر لتوجيه الضربة الحاسمة له، أيا كانت المعاهدات والمواثيق والصداقة التي كانت تربطنا بالخصم الممكن التوسع على حسابه.(10)

هناك أسباب أخرى عديدة للخوض في تلك المعارك الشرسة التي استمرت عدة سنوات وانتهت لصالح الانكليز والمستعمرين الأمريكيين الذين تمكنوا من طرد الفرنسيين من شمال القارة الأميركية والاستيلاء على كندا كليا بعد احتلال كيبيك في وطردت القوات الفرنسية بعد أن أجبرتها على توقيع الاستسلام والخروج من هناك بكل بساطة.(11) لكن الأسباب التي أدت إلى هزيمة الفرنسيين هي عدة يمكن الإشارة إلى البعض منها باعتماد الفرنسيين على الميليشيات بشكل أساسي للنقص الذي كانوا يعانونه في وحدات الجيش النظامي الذي خرج جلّه للمشاركة في المعارك الدائرة في أوروبا، ما اضطرهم للاعتماد على المستعمرين.(12) والمراقب التاريخي يعلم أن المستعمر الفرنسي كان منشغلا في جمع الثروة من دون أن

يرعى الدفاع عنها، اذ كان الفرنسيين ساعين للتوسع على الأرض دون أن يبذلوا دماء ثمن هذه الأرض التي لا يهمهم فيها سوى جمع الثروات والتي لم يشعروا بانتمائهم لها بل بانتماء هذه الارض إلى الملك الفرنسي، لهذا تجدهم أشد اهتماما بحصد الثروات من دون خسائر كبيرة.(13)

كانت هناك خلافات كبيرة بين أبناء الشعب الأمريكي والجيوش الفرنسية النظامية على اعتبار أن الجندي كان يحصل على أجر يؤخذ من المستوطن الفرنسي، هذا جزء من الإشكالية التي يعانيها الفرنسيين ويعجز عن تحمل أعبائها وحده, وان السبب الآخر هو اعتماد الفرنسيين على الهنود بأعداد أكبر. فالهنود لم يساعدوا الانكليز الأمريكيين في هذه الحرب بل وقفت أعداد كبيرة منهم مع الفرنسيين انتقاما لما تعرضوا له خلال السنوات الماضية من قتل وتشريد وطرد من أراضيهم، فأخذوا يشنون نوعين من الحروب نوع انتقامي والنوع التقليدي.(14) والقبائل الهندية هذه كانت تشن الحروب للاستيلاء على غنائم القبيلة الأخرى ولكنها عندما شاركت الفرنسيين في الحرب ضد الانكليز لم تكن لتحصل من جنودهم على غنائم تستحق العناء، أي أنها لم تجد سببا كافيا من هذه الناحية لإعلان الحرب.(15)

بقيت مسألة الانتقام التي بددت فيه الكثير من الوقت والكثير من الجهود ولم تكن تلتزم في أي خطة على اعتبار أنها تصر أثناء القتال على بعض الطقوس الانتقامية كإخراج روح العدو من فروه رأسه، لهذا كانوا ينشغلون بذلك بما لا يتناسب مع الأداء الحربي الذي اتبعه الفرنسيين لما في ذلك من إضاعة للوقت في ساحات القتال.(16) وهكذا يمكن التوضيح هنا أنه لم يكن للهنود أي مصلحة فعلية في هذه الحرب ولا للمستوطنين ولا حتى للجنود لأنهم ليسوا من يقطفون الثمار التي كانت حينها تذهب لصالح الملوك ورجالات بلاطهم في أوروبا الذين ينتظرون أن تأتيهم الغنيمة بلا أي جهد يبذل. وهذه من الأسباب الرئيسة لشن الحرب التي أوقدت بمشاركة الشعب الأميركي وعلى رأسهم جورج واشنطن الذي لعب دورا

هاما مع غيره من المؤسسين لقيام هذه الدولة على مبادئها التوسعية منذ خطواتها الأولى بل وحتى قبل تأسيسها كما تبين هذه الحرب.

هناك أسباب جوهرية تسببت بهزيمة فرنسا.فهذه الحرب يمكن اختصارها باعتمادها على المليشيات بشكل أساسي وانشغال الملك لويس الخامس عشر بالحرب في أوروبا وقيام نزاعات شديدة بين قائد القوات النظامية وقائد المستعمرات الفرنسية، هذا إلى جانب اعتمادهما على هنود يتمسكون بمبدأ القتال من أجل الغنائم وممارسة طقوس الانتقام في المعارك. وكل هذا كان بمقابل اعتماد الانكليز على امدادات الأسلحة ووحدات من الجيوش القادمة من أوروبا وتشكيل وحدات الرانجر من المستوطنين الأمريكيين الذين يتبعون أساليب حرب العصابات لزرع القلق ونشر أجواء من الفوضى.(17) وهنا يمكن اعتبار أساليب الرانجر من أولى التقنيات القتالية التي طورها الأمريكيون واعتمدوا عليها في المعارك الغير نظامية.

بعد الاطلاع على هذه المجموعة من أنظمة وظروف إعلان هذه الحرب نستطيع القول أنها حملت معها الجذور التوسعية الأولى للسياسة الخارجية الأمريكية كونها بدأت بمبادرة من المتطوعين الأمريكيين وعلى رأسهم جورج واشنطن، وانتهت بجلب مجموعة الشروط التي أدت إلى حرب أخرى انتهت بهزيمة انكلترا وطردها من القارة وإعلان قيام الدولة الأمريكية.(18) وهنا لا بد من التأكيد بداية أن السبب الأساسي لما يعرف بحرب الاستقلال هو سبب توسعي، فالانكليز لم يكتفوا بنصف العالم كما يقال، بل أرادوا الحصول على نصفه الآخر أيضا وهذا ما تعلمه المستوطنون الذين ساهموا طوعا في التخلص من الفرنسيين وتلقنوا منهم هذا الدرس.(19)

مساهمة الشعب الأمريكي كانت السبب ألأساسي من أسباب التغلب على الفرنسيين فإلى جانب الأسباب التي أتينا على ذكرها تأتي مشاركة المستوطنين

الأميركيين بشكل فعال إلى جانب انكلترا في حربها ضد الفرنسيين لتأكيد رغبة هؤلاء الأمريكان بالتوسع على حساب الأراضي التي كانت تحت السيطرة الفرنسية وهكذا تعلم الأمريكي ضرب العدو والتخلص منه والتوسع على حسابه عندما يضعف والمفارقة هنا هي أن انتصار الانكليز في الحرب كان على حساب ضعف الفرنسيين ولكنه مع انتهاء الحرب أضعف الانكليز أيضا، لأن هؤلاء استنزفوا الكثير من الطاقات الانكليزية العسكرية والمادية والاقتصادية بشكل أساسي إلى جانب البشرية أيضا.[20] وهذا ما شهده أبناء الشعب الأمريكي حين انتهت حرب السنوات السبع إذ وجدوا أنفسهم أمام قوة انكليزية ضعيفة عسكريا ومستنزفة اقتصاديا لدرجة أنها فرضت على المستعمرين كما من الضرائب التي لا يمكنهم تحتملها وقد فرضت انكلترا الضرائب لتعويض خسائرها الهائلة في الحرب على كل ما هو مكتوب من وثائق وعقود وصكوك وأوراق قانونية تثبت الملكيات وغيرها، أي باختصار شديد كل ما يمس بالمستوطنين الأثرياء على وجه الخصوص.[21]

لم يكن ذاك هو السبب الرئيس الوحيد بل هناك أسباب أساسية أخرى وهي أن الأمريكان أرادوا التوسع فوجدوا أنفسهم في منطقة مليئة بالثروات التي لا يملكونها بل تملكها انكلترا التي تفرض عليهم الضرائب وهي الآن ضعيفة مستنزفة، ما يدعو للانقلاب عليها، للاستفادة من درس تعلمه الشعب الأمريكي من حليف الأمس الانكليزي الذي دوما يؤكد على ضرورة ضرب الخصم وهو ضعيف.[22] واستفاد الشعب الأمريكي من خبرتهم في حروب العصابات كانت تقلق العدو الفرنسي.[23] ورغم خبرة الانكليز لهذا الأساليب القتالية وممارستها إياها دوما لكنهم لم يتمكنوا من إتقانه لما يحتاج إليه من أرضية شعبية، بالإضافة إلى أن المواجهات سرعان ما اتخذت شكل حرب المواقع التي عجز الانكليز عن الاستمرار فيها طويلا لظروفهم المنهكة واستنزافهم الشديد بعد انتهاء المواجهات مع فرنسا وبالإضافة إلى أطماع المستعمرين وفرض الضرائب العالية على الأثرياء

منهم تأتي استهانة انكلترا بسكان المستعمرات واعتبارهم مواطنين من درجات أدنى وقد شكل هذا عاملا آخر يزيد من أسباب الاستياء لدى الأمريكيين العاديين وتأييدهم للتمرد على الدولة الأم.[24]

أدلى باتريك هنري في الحادي والعشرين من آذار من عام 1775 بتصريحات ما زالت كلماتها تستعمل وتتم العودة إليها وكأنها تعبر فعلا عن أهداف حركة الاستقلال هناك، علما أن جولة بسيطة على محتوياتها بعد الحرب تؤكد أنها كانت مجرد جمل رنانة استعملت لتحريض الشعب الأمريكي المرهق من أثقال الضرائب وصعوبة الركود الاقتصادي الذي نجم عن حرب السنوات السبع. ويقال اليوم أن باتريك كان من أهم الرجال الذين صنعوا الثورة الأمريكية، علما أن هذا قد يكون صحيحا من حيث التعبئة والتحريض إذ كان صلة وصل ربطت بين مصالح المستوطنين الفقراء وأصحاب المصالح الذين يجلسون على رأس الهرم في السعي لإخراج انكلترا من أمريكا, اذ كان باتريك قبل مجيئه من الفئات الشعبية في انكلترا على خلاف باقي رجالات الثورة الذين هم من كبار المزارعين والتجار والملاكين في المستعمرات الأمريكية، وكان قد وصل إلى أمريكا عام 1774، عشية انطلاقة حركة الاستقلال، وقد جاء بأفكار تتحدث عن سوء المعاملة التي يتلقاها الفقراء في إنكلترا، إلى جانب القوانين المجحفة الصادرة عن السلطات هناك، فأصدر عام 1776م كتيب كومون سينس، الذي كان أول مقال علني يتحدث جديا حول استقلال أمريكا، بيع منه 120 ألف نسخة خلال ثلاثة أشهر فقط، للبحارة وصغار التجار والمزارعين والعمال.[25]

جاءت في الكتاب عبارات قد تتناقض مع مصالح كبار القائمين على الثورة المناهضة لانكلترا إذ قال في أحد جوانبه: على من يحبون الجنس البشري، ويكره الطغيان وسلطانه، أن يقفوا جنبا إلى جنب، للتخلص من كل علامات العالم القديم بالضغط عليه، فالحرية أصبحت ملك للعالم أجمع. كما طالب بإقامة حكومة ديمقراطية جديدة ضمن ما عرف لاحقا بالولايات المتحدة، معتبرا أن مهمة هذه

الثورة الأمريكية تكمن بما أسماه قيام ملاذ آمن للحريات أي أنه لم يدع إلى حركة بضعة ملايين من الأشخاص يقاتلون على الجانب الآخر من المحيط ضد الدولة الأم وإلا لما تمكن من تحريض الأمريكان من شعوب ألمانيا وفرنسا على الانضمام إلى هذه الثورة أي أن المواصفات التي دعا إليها تكمن بالتحول إلى جزء من التوسع العالمي لمساحة الحريات، أي أن تتحول أمريكا إلى ملاذ آمن للحرية والديمقراطية.[26]

ونجح أسلوب التعبئة والتحريض هذا بتوظيفه لعبارات فارغة من محتواها الحقيقي في خداع الأمريكان البيض على اختلاف انتماءاتهم الأوروبية بالوقوف ضد انكلترا، كما نجح أيضا في خداع العبيد الذين وعدوا بنيل الحرية والمساواة، حتى أن وعود المساواة وعباراتها المنمقة تمكنت أيضا من ضم أعداد كبيرة من قبائل الهنود الذين انضموا للقتال ضد القوات الانكليزية إلى جانب المقاتلين الأمريكان الذين شاركوا في حملات اقتلاعهم من أراضيهم وكانوا سببا في تشريدهم أصلا.[27]

الرد الانكليزي على أولى أشكال التمرد الأمريكي جاء وحشيا، ومجزرة بوسطن التي رد فيها الجنود الانكليز بإطلاق النار على المستعمرين الذين قذفوهم بكتل الثلج، فكانت هذه الشرارة التي أطلقت ما يعرف بحرب الاستقلال وهي حرب توسعية أخرى بدأها قادة المستعمرون الأثرياء على التواجد الانكليزي في القارة.[28] فعشية اندلاع الثورة كان قلة من المستعمرين الفقراء أخذوا الثورة على محمل الجد، إذ لم ترغب الغالبية الأمريكية بالاستقلال عن إنكلترا، بل كانت تسعى بداية إلى معاملة عادلة ولكن الفئات الثرية والطامعة منهم استغلت قسوة الجيش الانكليزي العامل في مساشوسيس واعتبرته مسئولا عن دفع الأمور إلى حد المواجهة.[29]

تقول بعض المصادر الأمريكية أن من أسباب حماسة جورج واشنطن وبعض القادة العسكريين الأمريكيين لخوض المواجهة ضد انكلترا ما أصابهم من غبن إذ لم يحصلوا على الرتب والتعويضات والمكافآت التي كانوا يطمحون إليها اذ لم يحصل واشنطن على سبيل المثال إلا على رتبة بسيطة قبل تسريحه من الجيش الذي أدرك جيدا بأن عبارة الجيش الذي لا يهزم لا تنطبق عليه.[30] ومع وصول 841 جندي انكليزي إلى ليكسينتون، لمواجهة مجموعة مؤلفة من سبعة عشر رجلا مما كان يسمى بمليشيا المتمردين وقتل ثمانية مستوطنين، وأصيب عشرة بجروح، ثم تابع الانكليز مسيرتهم دون مقاومة.[31] هذا ما تجمع عليه غالبية المصادر التاريخية في تبريراتها لإعلان الحرب على انكلترا المفلسة والضعيفة المستنزفة بعد حربها الهادفة لطرد الفرنسيين من أمريكا.

وبإثناء تراجع الانكليز باتجاه بوسطن، حاصرهم الوطنيون من جميع الجهات وسقط 273 جندي انكليزي بين قتيل وجريح، وخلال ساعات أصبحت مدينة بوسطن تحت ضربات المستوطنين الأمريكيين فأعلن الكونغرس: قضيتنا عادلة واتحادنا مكتمل، جميعنا يتمتع بعقيدة تفضل الموت أحرار على العيش في العبودية.[32] هكذا تشكل المؤتمر الأول وأعلن الرغبة في إقامة دولة مستقلة عن الانكليز كما أعلن المؤتمرين الأول والثاني تشكيل جيش أطلق عليه لقب جيش الكونغرس الذي كلف بطرد الانكليز من الأراضي الأمريكية.[33]

تمكن واشنطن من تحقيق نصر بسيط في نيوجيرسي لكنه أخاف الانكليز وجعلهم يتخذون قرارا حاسما اتبعه المستعمرون لاحقا وهو تجنيد العبيد واستخدامهم في الحرب واعدين إياهم بالحرية ما جلب الكثير منهم إلى صفوف الانكليز، ولكنهم كانوا يجهلون سبل الحرب وكانت المسألة في بدايتها. فتعلم واشنطن هذا الدرس سريعا وكال الوعود للعبيد أيضا فشكل منهم وحدة خاصة تعمل تحت إمرته الشخصية وقد تألفت بداية من خمسة آلاف رجل عززوا من قوته العسكرية ومكانته السياسية بين منافسيه على السلطة أيضا.[34]

وافق أعضاء الكونغرس بالإجماع في الرابع من تموز 1776م على إعلان استقلال ثلاثة عشر من الولايات المتحدة الأمريكية، فأضيئت المشاعل احتفالا في جميع أرجاء فيلاديلفيا وأسقط تمثال الملك الانكليزي في مدينة نيويورك عن منصته، لتذويبه وتحويله بصناعة رصاص لبنادق الثوار.[35] وقد أعلن توماس جيفرسون هذه الوثيقة عام 1776م من دون أن يتخذ أي قرار فعلي يتعلق بالمساواة بين المستوطنين البيض أنفسهم، إذ استمر نزوح السكان الفرنسيين من لويزيانا إلى كيبيك الذي نجم عن الحرب الفرنسية الانكليزية أو حرب السنوات السبع، دون أن يحرك ساكنا لاعتبارهم مواطنين أمريكيين،[36] رغم المساعدات الكبيرة التي قدمها الملك الفرنسي في تعزيز الحصار البحري المفروض على القوات الانكليزية ومساعداته الكبرى أثناء حرب الاستقلال.

أما المواطنين السود الأحرار منهم والعبيد الذين شاركوا بالآلاف في حرب الاستقلال وغيروا موازين القوى بانضمامهم إلى الثورة بعد الوعود التي أغدقت عليهم بإعتاقهم ومنحهم الحرية، فلم يحصلوا الا على مجموعة من الأحداث ادت الى اتخاذ قرار يمنع بموجبه استيراد العبيد الأفارقة إلى الولايات المتحدة, أي أن إعلان الاستقلال حدد الخطوط العامة للثورة على الورق وفي العلن ولأهداف حشد أكبر عدد ممكن من التأييد من حوله، أما على الأرض فلم تفسح بالمجال للمواطنين عامة بالمطالبة بحقهم في المعارضة إذا شعروا بأن حقوقهم منتهكة.[37]

يتم الحديث اليوم بكثير من الضوضاء عن أفكار عصر النهضة الفرنسية ودورها الكبير في تحقيق النصر وإعلان الدولة واستقلال الولايات المتحدة أما الحقيقة فهي أن الصلة الوحيدة لفرنسا في هذه الحرب التوسعية للمستوطنين هي ان الفرنسيين أرادوا الانتقام لما تعرضوا له من هزيمة على يد الانكليز، فأرسل الملك الفرنسي لويس السادس عشر ستة آلاف جندي ضمن القوات البحرية المشاركة في الأسطول الأميركي ووضعهم تحت إمرة واشنطن لرد الطعنة وإضعاف الانكليز.[38] أضف إلى ذلك أن ما جرى بعد الثورة مباشرة يؤكد الفارق الشاسع

بين مثاليات مفكري الثورة الفرنسية ورجال الاستقلال الأمريكيين وعلى رأسهم جورج واشنطن الذي وقف إلى جانبه خمسة آلاف جندي من الأمريكيين العبيد حينها ولعبوا دورا أساسيا في خدمة المستوطنين الذين لم ينضموا إليه إلا بعد أن قطع لهم وعدا بتحريرهم مباشرة بعد الاستقلال.

لم يتحقق إلغاء العبودية بل بقيت واستمرت بأشكالها المختلفة أما الخمسة آلاف الذين شاركوا في الحرب فسرحوا من الجيش ولم تمنح لهم أية حقوق تذكر حتى نهاية القرن العشرين لم ينطبق هذا على العبيد وحدهم بل وعلى الفقراء من البيض أيضا الذين شاركوا في الحرب واضطروا للقيام بحركات تمرد واسعة بعد انتهائها طلبا لحقوقهم في الوفاء بتعهدات الدولة التي وعدتهم بتعويضات بعد انتهاء الحرب كما وبتشغيلهم ومنحهم بعض الامتيازات ولكنها لم تفي بوعودها.[39]

كما بنى واشنطن ملامح سياسته التوسعية تجاه الهنود على سياسة القرصنة والترحيل القسري التي تحولت إلى مشروع قدمه للكونغرس عام 1782 أي قبل أن يصبح رئيسا، يمكن الدولة الفدرالية بموجبه الاستيلاء على أراضي الهنود بأسرع ما يمكن.[40] ويتلخص هذا القانون بمنح المستوطنين مساحة حيوية ملاصقة لأراضيهم تبلغ خمسين هكتارا سرعان ما تتحول إلى جزء من العقار الاستيطاني ما يؤدي إلى التوسع بمساحات حيوية أخرى موازية للمجال الحيوي القديم، وهكذا إلى ما لا نهاية.

وهكذا لم تحقق حرب الاستقلال أيا من أهدافها النبيلة التي يقال أنها استلهمتها من عصر النهضة الفرنسية، بل تنكرت لها جميعا كما نرى ولم تمنح الهنود أو البيض ولا السود حقوقهم بل عززت العبودية وعززت تركيز الثروات في أيدي نخبة ثرية من المستعمرين على حساب الجميع, وحتى ان مسألة الهوية والاستقلال بقيت دون أي تغير كبير بعد الاستقلال فبعد أن هدأت الحملات المناهضة لإنكلترا بقيت هذه ولفترة طويلة النموذج السياسي والثقافي الأمثل لأمريكا، وما زالت تشكل

استمرارية لأساليب الاستعمار الانكليزي وتطلعاته التوسعية في العالم.[41] وشاء رجالات الاستقلال الأمريكي أن يواصلوا الثقافة التوسعية الانكليزية التي ورثوها وينطلقوا منها نحو العالم أجمع، فصنعوا أمة بروتستانتية للأنكلوسكسون البيض على من يريد التعامل معها أن يتأمرك بتقليدها والسير على خطاها. وقد خلفت الحرب الانفصالية مجموعة من ظروف القمع والاضطهاد والاستغلال لجميع الذين شاركوا فيها باستثناء فئة كبار التجار والصناعيين الذين كانوا يتاجرون مع طرفي النزاع ويحققون ثروات هائلة, وبينما كانت المدن الأمريكية منشغلة في تشيد صروح الأمة الجديدة، حيث يتمتع الناس بحرية بناء حياتهم في أي مكان يسعون إليه بدأ فرانسيس كابيت لو، أحد رجال الأعمال الأمريكيين بالعمل في التهريب، ولكنه لم يهرب العبيد، بل أسرار الثورة الصناعية فأخرج من إنكلترا تصميم آلات صناعة الأنسجة الواسعة النطاق، وهكذا حمل الثورة الصناعية إلى ضفاف نهر ماريماك في مساشوسيس، فغير أساليب العمل في أمريكا إلى الأبد.[42]

وتركت ثورة الاستقلال الامريكية أناس عاديين، بما في ذلك عدد من المحاربين القدامى من دون دفع التعويضات، متعبين ومرهقين جدا بديون لا تحتمل أي أن أمريكا لم تف بوعودها تجاههم فخرج المواطنين الغاضبين كمزارعي مساشوسيس في حركات تمرد قصيرة المدى ضد الحكومة فأثارت عمليات التمرد هذه غضب الممسكين بزمام السلطة جديا وعلق توماس جيفيرسون صاحب إعلان الاستقلال برسالة ديماغوجية رنانة من باريس حيث كان سفيرا بمرتبة وزير هناك، يعتبر فيها حركات التمرد أعمال ضرورية لا بد منها، اذ قال: (أعتقد أن أن حركات التمرد جيدة بين الحين والآخر، إذ لا بد من إنعاش شجرة الحرية بين الفينة والأخرى بدماء الوطنيين، والطغاة على حد سواء).

الهوامش

1- Ramiro Guerra, La Expansion Territorial de los Estados Unidos, Editorial Ciencias Sociales la Habana, Cuba 1973,p. 11.

2- موريس دوفرجيه ,المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى، ترجمة د.جورج سعد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت 1992,ص269.

3- المصدر نفسه, ص284.

4- Ramiro Guerra, op cit, p.13.

5- Edgar Cahen, The Indian in white Americatd, johan Brother's 1987,p.176.

6- Edgar Cahen, op cit, p.179.

7- Ramiro Guerra, op cit,p.17.

8- Ibid, p.22.

9- موريس دوفرجيه, المصدر السابق, ص286.

10- نورتون فريش وريتشارد ستيفنز، الفكر السياسي الأمريكي، ترجمة لجنة المترجمين, المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1991، ص10.

11- Ramiro Guerra, op cit,p.23.

12- Victor Perlo, El Imperialismo Norteamericano, Editorial Politica, La Habana Cuba 1963,p.34.

13- Edgar Cahen,op cit,p.181.

14- Victor Perlo, op cit,p.35.

15- Ibid, p.37.

16- David Svalsi ،Case Study in Indian-White Relations Stan, the Rhetoric of Extermination 1965,p.192.

17- James Adiar ،History of the American Indians, London 1775. p,12.

18- Edgar Cahen,op cit,p.183.

19- 1-Victor Perlo, op cit,p.40.

20- Ramiro Guerra, op cit,p.24.

21- محمد حسنين هيكل، إعادة اكتشاف أمريكا، مجلة وجهات نظر، العـدد 31، آب/ أغسطس 2001، ص13.

22- نورتون فريش وريتشارد ستيفنز،المصدر السابق, ص13.

23- Victor Perlo, op cit,p.41.

24- Josefina Zoraida Vasquez, Mexico al tiempo de su - 236 -uerra con Estados Unidos, Colegio de Mexico, Secretaria de Relaciones Exteriores, Mexico 1998,p.29.

25- Ibid, p.33.

26- Ramiro Guerra, op cit,p.25.

27- Josefina Zoraida Vazquez, La Intervencion Norteamericana 1776-1848, Secretaria de Relaciones Exteriores. Mexico 1997,p.40.

28- Josefina Zoraida Vazquez , op cit,pp.56-58.

29- Ibid, pp.60-67.

30- Tomado de Faulkner, La Guerra civil de los, LECTURASH.U. Historia Economica de los ,La Habana Cuba 1972,p.3.

31- Josefina Zoraida Vazquez, La Intervencion Norteamericana 1776-1848,op cit,p.72.

32- Tomado de, Faulkner, op cit,p.5.

33- Ramiro Guerra, op cit,p.30.

34- Victor Perlo, op cit,p.43.

35- David E. Stannard, The sun of the New World ،Boston 1949,p.121.

36- Ibid,p.126.

37- Tomado de, Faulkner, op cit,p.11.

38- Ramiro Guerra, op cit,p.31.

39- Victor Perlo, op cit,p.45.

40- David E. Stannard, op cit, p.122.

41- د. رمزي زكي, الكشوف الجغرافية وتجارة العبيد, مجلة العربي, عدد 406, ايلول/سبتمبر 1992م، ص124.

42- رمزي زكي, المصدر السابق, ص127.

43- David E. Stannard, op cit, p.123.

44- Victor Perlo, op cit,p.46.

45- David E. Stannard, op cit, p.123.

2





دار الحامد للنشر والتوزيع
الأردن-عمان
هاتف: 5231081 فاكس: 96265235594+
ص.ب:366 عمان 11941 الأردن
E-mail:dar_alhamed@hotmail.com
E-mail:Daralhamed@yahoo.com